

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أم القـرى

كلية التربية بمكة المكرمة

الدراسات العليا

\* نموذج رقم (أ)

اجازة اطروحة علمية فى صيغتها النهائية

بعد اجراء التعديلات المطلوبة

الاسم (رباعى) : محمد محمد العيون القسم : التربية الاسلامية والمقارنة  
الدرجة العلمية : الماجستير التخصص : تربية اسلامية  
عنوان الاطروحة : نماذج من التربية القرآنية بالأحداث .

الحمد لله رب العالمين والملاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه

أجمعين وبعد ،،،

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الاطروحة المذكورة عالية والتي

تمت مناقشتها بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٤٠٩ هـ بقبول الاطروحة بعد اجراء التعديلات  
المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم .

فان اللجنة توصى باجازة الاطروحة فى صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب

تكميلى للدرجة العلمية المذكورة اعلاه والله الموفق .

اعضاء اللجنة

مناقش من خارج القسم

مناقش من القسم

المشرف

د. الشريف منصور محمد العبدلى

د. عبد اللطيف محمد بالطو

الاسم : د. بشير حاج التوم

التوقيع :

رئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة

د. نجم الدين عبدالغفور جنان انسجاني

\* يوضع هذا النموذج امام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الاطروحة فى كل نسخة .

المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القـري  
كلية التربية



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠١٤١٣

=

نماذج

من

التربية القرآنية بالأحداث

ـــــــ

إعداد الطالبة

حصه حمد محمد العيون

=

إشراف الدكتور

بشير حاج التوم

ـــــــ

بحسب مقدم

لقسم التربية الإسلامية والمقارنة  
في كلية التربية بجامعة أم القـري  
متطلب مكمل لنيل درجة الماجستير  
فـي التربية الإسلامية

=

جامعة أم القـري

مكة المكرمة

١٤٠٩ هـ



" بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ "

=&=

قال تعالى :

\* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ  
جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ  
تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ  
وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا \* .

( الفرقان ٣٢ - ٣٣ )

## " ملخص البحث "

- عنوان البحث : " نماذج من التربية القرآنية بالأحداث " .  
 الاسم : حصه حمد محمد اللعبيون .

أنزل القرآن الكريم على نبي الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً على دفعات وفق الوقائع والتساؤلات . وحيث إن القرآن الكريم كتاب تربية فلا بد أن تكون لهذه الكيفية التي أنزل بها أثر تربوي فعال في تربية النفس الإنسانية . لذا فإن الهدف الأساسي من هذا البحث هو إيضاح كيف نجحت هذه الطريقة لنزول القرآن في تربية أفراد المجتمع الإسلامي الأول . وتحقيقاً لهذا الهدف فقد اعتمدت على المنهج التاريخي للبحث في مصادر أسباب النزول عن أحداث وقعت في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وكانت سبباً في نزول آيات قرآنية تعالجها في حينها، ثم اتبعت المنهج الوصفي في وصف تلك الأحداث والأسلوب التربوي الذي اتبعته التربية القرآنية لمعالجتها . بعد ذلك اعتمدت على المنهج الاستنباطي في استنباط مبادئ وتوجيهات تربوية من تلك المعالجة القرآنية لبيان كيف يمكن الاستفادة منها في مجال التربية والتعليم في الوقت الحاضر .

ولقد قصرت البحث على دراسة نماذج من الأحداث المتعلقة بمجالات الإيمان والأخلاق والمرأة وتوصلت منه إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- ١- كل آية من آيات القرآن الكريم كنز ذا خريستخرج منه المرىء ما ينشده بقدر ما يبذله من جهد في التنقيب عنه .
  - ٢- تميزاً وسيلة التربية القرآنية بالأحداث عن غيرها من الوسائل التربوية القرآنية بأنها إضافة إلى تضمنها الوسائل تربوية متعددة وعدم اقتصرها على وسيلة تربوية واحدة في معالجتها للأحداث استغلت ما يحدث في النفوس من انفعال في ظل الحادثة لتطبع فيها ما تريد أن تطبعه من توجيهات .
  - ٣- للأخلاق الإسلامية القدرة على توجيه جميع المؤسسات الموجودة في المجتمع .
  - ٤- عملت التربية القرآنية بالأحداث على الرفع من مكانة المرأة وتربيتها تربية تمكنها من بناء مجتمع إسلامي قوى وتحصنها من دعاوى أعداء الإسلام الموجهة إليها .
- كما تضمن البحث العديد من التوصيات أهمها :

- ١- الاهتمام بالتربية الإيمانية وجعلها المنطلق والأساس في التربية .
- ٢- استغلال الأحداث العامة الواقعة في المجتمع والأحداث الخاصة الواقعة في الأسرة أو المدرسة أو أي مؤسسة تربوية أخرى لتثبيت المبادئ والقيم الإسلامية وتقديس التوجيهات اللازمة من خلالها .

يعتمد، عميد الكلية  
 الدكتور/هاشم بكر حريري  
 التوقيع /

المشرف  
 الدكتور/بشير حاج التوم  
 التوقيع /

اعداد الطالبة  
 حصه حمد محمد اللعبيون  
 التوقيع /

( ب )

" إهداء "

---

إلى من تعهدانى بعد الله عز وجل بالرعاية والعناية منذ

اللحظة التى رأت عيني فيها نور هذه الدنيا.

إلى من أضاء لى طريق العلم وذلا لى كل ما فيه من

صعاب وجعلاه يبدو أمام ناظرى سهلاً ممهداً.

إلى من آثرا راحتى على راحتهما وسهرا ليلهما على

رعايتى وكافحا نهارهما لسعادتى .

إلى والدتى الحبيبتين

أهدى لهما ثمرة كدهما وكفاحهما وزرعهما وسقائهما

=

" شكر وتقدير "

---

إلى من خلقنى من عدم وعلمنى ما لم أكن أعلم وسدد خطاى فى هذا البحث وأنعم على بنعم أعجز عن عدها ويستعصى على حصرها .. أتوجه بالامتنان العظيم والشكر الجزيل شكراً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه .

ثم أتقدم بالشكر والتقدير للدكتور الفاضل / بشير حاج التوم على ما أولانيه من رعاية وما بذله معى من جهد وما قدمه لى من توجيهات قيمة وآراء بناءة كانت لها أكبر الأثر فى إخراج هذا البحث فى صورته النهائية .

كما أتقدم بالشكر لكل من الأساتذيين اللذين ناقشا خطة هذا البحث سعادة الدكتور : محروس سيد مرسى .. سعادة الدكتور : عويد المطرفسى .. وأعضاء مناقشة البحث سعادة الدكتور : عبد اللطيف بالطو .. وسعادة الدكتور : الشريف منصور بن عون العبدلى .

كما أتقدم بالشكر للمسؤولين فى جامعة أم القرى وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة الدكتور راشد الراجح وعميد كلية التربية الدكتور هاشم حريرى ورئيس قسم التربية الاسلامية والمقارنة الدكتور نجم الدين جان على اسهاماتهم الفعالة لتذليل المعويات للطلبة والطالبات . فجزاهم الله عنى خير الجزاء وجعل هذه الدراسة خالعة لوجهه الكريم .

"قائمة المحتويات"

---

رقم الصفحة	الموضوع
	<b>الفصل التمهيدي :</b>
٢	- مقدمة البحث .....
٤	- موضوع البحث .....
٥	- أهداف البحث .....
٦	- أهمية البحث .....
٧	- حدود البحث ومبرراته .....
٨	- منهج البحث .....
١٠	- الدراسات السابقة .....
	<b>الفصل الأول : " الحكم التربوية من نزول القرآن منجماً ".....</b>
١٢	- نزول القرآن الكريم .....
١٧	- نزول الكتب الإلهية السابقة .....
٢٥	- سبب اختلاف نزول القرآن عن الكتب الإلهية السابقة .....
٣٤	- الحكم التربوية من نزول القرآن منجماً : .....
٣٥	١- تشييت فواءاد النبي محمد عليه العلاء والسلام .....
٣٩	٢- التدرج في تربية الأمة الناشئة دينياً وخلقياً واجتماعياً .....
	٣- مراعاة مناسبات الأحداث والأسئلة ومايجرى في السر
٤٤	والعلن من أمور .....
	<b>الفصل الثاني : " التربية الإيمانية بالأحداث " .....</b>
٥٧	- تعريف الإيمان .....
٦٠	- أركان الإيمان .....
٦٦	- أهمية الإيمان .....



- بعض وسائل التربية القرآنية :
- ٦٨ ..... أولاً : العقل .
- ٦٩ ..... ثانياً : الحواس .
- ٧٢ ..... ثالثاً : الأمثال .
- تربية الايمان بالله بالأحداث :
- ٧٥ ..... ٨١ ..... النموذج الأول : تربية توحيد الربوبية بالأحداث ..
- ٩٢ ..... النموذج الثاني : تربية توحيد الألوهية بالأحداث ..
- ١١٦ ..... النموذج الثالث : تربية توحيد الأسماء والصفات بالأحداث
- ١٢٣ ..... النموذج الرابع : تربية الإيمان بالملائكة بالأحداث ..
- ١٢٦ ..... النموذج الخامس : تربية الإيمان بالكتب السماوية ..  
بـالأحداث .
- ١٤٧ ..... النموذج السادس : تربية الإيمان بالرسل بالأحداث ..
- ١٥٨ ..... النموذج السابع : تربية الإيمان باليوم الآخر ..  
بـالأحداث .
- ١٧٧ ..... النموذج الثامن : تربية الإيمان بالقدر بالأحداث ..

### الفصل الثالث : " التربية الخلقية بالأحداث "

- أهمية الأخلاق ..... ١٨٧
- النموذج الأول : تربية الأخلاق الفردية بالأحداث ... ١٩٢
- النموذج الثاني : تربية الأخلاق الأسرية بالأحداث ... ٢٠٣
- النموذج الثالث : تربية الأخلاق الاجتماعية بالأحداث ... ٢١٥
- النموذج الرابع : تربية الأخلاق الاقتصادية بالأحداث ... ٢٢٣
- ٢٣٢ ..... الفصل الرابع : " تربية المرأة بالأحداث " .
- ٢٣٣ ..... تمهيد

الموضوع	رقم الصفحة
الموضوع	رقم الصفحة
٢٣٥	٢٣٥
٢٤٦	٢٤٦
٢٦١	٢٦١
٢٧٩	٢٧٩
٢٩٠	٢٩٠
٣٠٠	٣٠٠
٣١٤	٣١٤
٣١٣	٣١٣
٣١٣	٣١٣
٣١٤	٣١٤

" الفصل التمهيدي "

-----

" بسم الله الرحمن الرحيم "

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين . والملاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وقدوة المرابين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

لقد بُعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع جاهلى يصفه أحد أفراده بقوله " كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف " .<sup>(١)</sup>

من بين هؤلاء القوم تكونت خير أمة أخرجت للناس \* كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ \*<sup>(٢)</sup>

فكيف جرى هذا التغير ؟ وكيف تم هذا التحول ؟ والأفراد هم الأفراد لم يتغيروا ؟ إن الذى تغير هو المعتقد وكذلك الأسلوب المتبع فى التربية . فالتربية الإسلامية التى أحدثت ذلك التغير الكبير فى ذلك المجتمع الجاهلى بما تتضمنه من مبادئ تربوية مصدرها القرآن الكريم والسنة الشريفة لابدأنهما استخدام وسائل تربوية قوية وهادفة . من هذه الوسائل التربية بالقدوة التربية بالموعظة ، التربية بالعقوبة ، التربية بالممارسة والعمل ، التربية بالأحداث ... الخ . ونظراً لما لهذه الوسائل التربوية من أهمية بالغة وأثر فعال فى التربية فقد حظيت بعض من هذه الوسائل باهتمام كبير من الباحثين لدرجة أن بعض الباحثين خصص بحثه لدراسة وسيلة واحدة فقط من تلك الوسائل ومن الأمثلة على ذلك بحث " أثر العبادة التربوى فى تكوين الشخصية وتحديد السلوك " ، وبحث " سيكولوجية القصص " .<sup>(٣)</sup>

(١) ابن هشام ، محمد بن عبد الملك : السيرة النبوية . تحقيق محمد فهمى

السرمانى . مصر : المكتبة التوفيقية . د . ت . ج ٠١ ص ٢٣٠ .

(٢) سورة آل عمران : آية ( ١١٠ ) .

(٣) اسماء على فضل : أثر العبادة التربوى فى تكوين الشخصية وتحديد السلوك .

بحث غير منشور للماجستير بكلية التربية . جامعة أم القرى . ١٤٠٤ هـ .

في القرآن " (١) ، وبحث " العبرة في قصة يوسف عليه السلام " (٢) .

وبعض الباحثين أدخل هذه الوسائل التربوية ضمن دراسته وخصص لدراستها فصولاً مستقلة ومن الأمثلة على ذلك " دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام " (٣) ، حيث خصصت الباحثة فصولاً مستقلة لدراسة التربية بالقصة ، التربية بالقدوة ، التربية بالممارسة والعمل ، التربية بالترغيب والترهيب . وبحث " دور الأم في تربية الطفل المسلم " (٤) حيث تعرضت الباحثة فيه للتربيسة بالقدوة ، والتربية بالقصة .

ويتضح مما سبق إغفال البحوث السابقة جميعها لوسيلة هامة من وسائل التربية الإسلامية وهي التربية بالأحداث ، ( وهي عبارة عن نزول عدد كبير من الآيات القرآنية لتجيب في حينها على تساؤلات وردت أو لتعالج مشكلة حيرت العقول أو تؤيد نصراً حدث أو تذكر السبب في هزيمة وقعت ... الخ ) (٥) .

وعند اطلاعي على مجموعة من الكتب المتخصصة في التربية الإسلامية لاحظت أن بعض هذه الكتب لم يتطرق نهائياً لوسيلة التربية بالأحداث عند عرضها لوسائل التربية الإسلامية ومن الأمثلة على ذلك كتاب " تربية الأولاد في الإسلام " (٦) وكتاب " أصول التربية الإسلامية وأساليبها " (٧) وبعضها الآخر خصص عدداً بسيطاً من الصفحات لعرض هذه الوسيلة القرآنية لا تتناسب في محتواها مع ما لهذه الوسيلة من قيمة تربوية ، ومن أمثلة هذه الكتب

- (١) التهامي نقرة : سيكولوجية القصة في القرآن . بحث دكتوراه . الحلقة الثالثة . جامعة الجزائر . نشر في تونس : الشركة التونسية للتوزيع . د . ت .
- (٢) رفيقة عمر صباغ : العبرة في قصة يوسف عليه السلام . بحث غير منشور للماجستير بكلية الشريعة . جامعة أم القرى . ١٤٠٦ هـ .
- (٣) فتحية عمر الحلواني : دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام . بحث ماجستير بكلية التربية . جامعة أم القرى . ١٤٠٢ هـ . نشر في جدة : تهامة . ١٤٠٣ هـ .
- (٤) خيرية حسين صابر : دور الأم في تربية الطفل المسلم . بحث ماجستير بكلية التربية . جامعة أم القرى . ١٤٠٣ هـ . نشر في جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع . ١٤٠٥ هـ .
- (٥) محمد شديد : منهج القرآن في التربية . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص ٢٧٧ .
- (٦) عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام . حلب : دار السلام . ط ٠٣ . ١٤٠١ هـ .
- (٧) عبد الرحمن النحلاوي : أصول التربية الإسلامية وأساليبها . سوريا : دار الفكر . ١٣٩٩ هـ .

كتاب " منهج القرآن فى التربية " (١) ، وكتاب " منهج التربية الإسلامية " (٢) وكتاب " فلسفة التربية الإسلامية " (٣) لذا رأيت أن من واجبي الإسهام فى إكمال هذا النقص ، فخصصت هذا البحث لدراسة هذه الوسيلة القرآنية فى التربية وأثرها التربوى تحت عنوان ( نماذج من التربية القرآنية بالأحداث ) وذلك عن طريق عرض بعض الوقائع والتساؤلات التى حدثت فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت سبباً فى تنزل آيات قرآنية . ومن هذه الآيات قمت باستنباط مبادئ وتوجيهات تربوية ليتضح من ذلك أثر هذه الطريقة التربوية لنسزول القرآن فى تربية المجتمع الإسلامى الأول والدور الذى يمكن أن تسهم به فى تربية أفراد المجتمع المعاصر .

ولقد بذلت قصارى جهدى فى إخراج هذا البحث فى هذه الصورة فما كان فيها من صواب فبفضل الله وتوفيقه وما كان فيها من خطأ فمن نفسى .

موضوع البحث وتساؤلاته :

لفت انتباهى الطريقة التى أنزل بها القرآن على نبي الهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجماً على دفعات وفق الوقائع والتساؤلات . وبما أن القرآن كتاب تربوى فلا بد أن تكون لهذه الكيفية التى أنزل بها أثر تربوى فعال فى تربية النفس الإنسانية . إذ أن الخالق لهذه النفس هو الأعلم بالوسائل الفعالة فى تربيتها . لذا قررت أن أخص بحشى هذا لدراسة هذه الوسيلة

- 
- (١) محمد شديد : منهج القرآن فى التربية . مرجع سابق . ص ٢٧٧ - ٣٠٠ .
- (٢) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية . بيروت : دار الشروق . ط ٧ . ص ١٤٠٣ هـ . ص ٢٠٧ - ٢١٥ .
- (٣) على خليل أبو العينين : فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم . القاهرة : دار الفكر العربى . ١٩٨٠ م . ص ٢٤٧ - ٢٥٠ .



( ٥ )

التربوية ، ومعرفة أثرها في التربية ، عن طريق استعراض نماذج من الأحداث التي وقعت في زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة الآيات القرآنية التي تنزلت فيها ، وكيف ساهمت هذه الآيات في تربية أفراد الحادثة خاصة وأفراد المجتمع عامة؟ وماهي المبادئ التربوية التي يمكن استنباطها من ذلك ، وإلى أي حد يمكن تطبيقها والاستفادة منها في تربية أفراد مجتمعنا المعاصر؟ وبالتالي يمكن تلخيص موضوع البحث في السؤوال الرئيسي التالي :

كيف تمكنت التربية القرآنية بالأحداث من تربية المجتمع الإسلامي الأول ؟

ويتفرع عن هذا السؤوال الأسئلة الفرعية التالية :

س (١) : كيف تمكنت التربية القرآنية بالأحداث من تربية المجتمع الإسلامي الأول تربية إيمانية ؟

س (٢) : كيف تمكنت التربية القرآنية بالأحداث من تربية المجتمع الإسلامي الأول تربية خلقية؟

س (٣) : كيف تمكنت التربية القرآنية بالأحداث من الرفع من مكانة المرأة وتربيتها ؟

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى مايلي :

أولاً : إيضاح الحكمة التربوية من تنزل القرآن الكريم وفق الأحداث .

ثانياً : إيضاح كيف عملت التربية القرآنية بالأحداث على تربية أفراد المجتمع الإسلامي الأول في مجالات الإيمان والأخلاق والمرأة .

ثالثاً : إيضاح كيف يمكن الاستفادة من التربية القرآنية بالأحداث في مجال التربية عامة في الوقت الحاضر .

#### أهمية البحث :

لقد سبق في المقدمة إيضاح أن ما هو موجود الآن في مجال التربية من بحوث وكتب تربوية لم تمنح وسيلة التربية بالأحداث حقها من الدراسة، ونظراً لما لهذه الوسيلة التربوية من أثر فعال في التربية فقد خصت بحثي هذا لدراسة هذه الوسيلة القرآنية في التربية ليتاح لي من خلال ذلك ما يلي :

- (١) الإسهام في إفادة واضعي المناهج والمعلمين والمربين عامة عن طريق تقديم مبادئ وتوجيهات تربوية قرآنية إليهم تعينهم على تربية أبناء المجتمع تربية إسلامية صحيحة .
- (٢) تنبيه الأخصائيين الاجتماعيين وأولياء الأمور والمربين عامة إلى ضرورة التدرج في التوجيه وحل المشاكل ، وعدم ترك فرصة أو حادثة تمر دون الاستفادة منها واستغلالها في التوجيه إلى سلوك يرغبون غرسه في المربي .
- (٣) تنبيه المعلمين والمعلمات إلى ضرورة استخدام الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب من الدرس . وأن الحكمة ليست في تعدد الوسائل وإنما المهارة في استخدامها وتحقيق الفائدة المنشودة منها .
- (٤) تحصين المرأة المسلمة من أقاويل وأكاذيب أعداء الإسلام ودعاة تحريرها .



حدود البحث ومبرراته :

نظراً لكثرة الأحداث الواقعة فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع المجالات من جهة ، وضيق الوقت المخصص لهذه الدراسة من جهة أخرى فقد رأيت أن أقصر بحثى هذا على دراسة الأحداث المتعلقة بمجالات الإيمان والأخلاق والمرأة .

فالتربية الإيمانية هى اللبنة الأولى والأساسية فى البناء التربوى الإسلامى إذا صلحت صلح البناء التربوى كله وإذا فشلت تهدم البناء من أوهن الأسباب وأضعفها . لذا فقد عرضت فى هذا البحث كيف تم تربويّاً ترسيخ جذور الإيمان فى نفوس أفراد المجتمع الإسلامى الأول .

وبما أن السلوك الصادر عن أفراد المجتمع المؤمن لابد أن يكون منبثقاً من الإيمان ولا بد أن يرقى فى مستواه ليتلاءم مع ما يشتمل عليه هذا الإيمان من مبادئ سامية فقد عرضت فى هذا البحث كيف تم تربويّاً توجيه أفراد المجتمع وتربيتهم للعمل بالأخلاق الإسلامية .

وحيث إن صيحات أعداء الإسلام أخذت تعلو فى كل مكان تنادى بتحريم المرأة وتطالب بمساواتها بالرجل وتعمل على إبعادها عن المنهج الربانى فقد رأيت أن من الملائم أن أخص جزءاً من هذا البحث ألقى من خلاله الضوء على اهتمام التربية القرآنية بالمرأة وعنايتها بشؤونها والعمل على تربيتها تربية إسلامية .

ونظراً لكثرة الأحداث فى كل مجال من المجالات التى اخترتها فقد حددت بحثى بالحدود الموضوعية الآتية :

- (١) دراسة نماذج من الأحداث المتعلقة بالتربية الإيمانية .
- (٢) دراسة نماذج من الأحداث المتعلقة بالتربية الخلقية .

(٣) دراسة نماذج من الأحداث المتعلقة بتربية المرأة .

منهج البحث :

لكي أتمكن من تحقيق الأهداف المنشودة من هذه الدراسة استخدمت المناهج الآتية في البحث :

(١) المنهج الاستنباطي :

بما أن المصدر الأول الذي اعتمدت عليه في الحصول على مادة بحثي هو القرآن الكريم ، وحيث إن أسس التربية الإسلامية وأهدافها ومبادئها دوت متناثرة فيه .<sup>(١)</sup> فقد استخدمت المنهج الاستنباطي ليسهل على استنباط هذه المبادئ . ويعرف هذا المنهج بأنه : " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة " .<sup>(٢)</sup>

(٢) المنهج التاريخي :

ينبغي على الباحث في وسائل التربية ومبادئها دراسة الفكر التربوي الإسلامي بعمق ، وذلك للتعرف على ما أسهم به هذا الفكر في تربية الأجيال المعاصرة له، والقادمة، والاستفادة منه في تطوير وتحسين وسائل التربية المستخدمة في الوقت الحاضر لذا فإن :

" استخدام المنهج التاريخي في التربية قصد  
يتناول دراسة أحداث ووقائع تمت في الماضي وذلك

(١) عبدالرحمن النحلاوي : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . الرياض :

مكتبة أسامة . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص ٢٥ .

(٢) عبد الرحمن صالح عبد الله ، حلمي محمود فودة : المرشد في كتابات

البحوث التربوية . مكة المكرمة : مكتبة المنارة . ط ٥ .

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م . ص ٤٣ .

بمقصد التوصل إلى نتائج معينة لاتقف عنـد حد وصف أو تقرير ماتم في الماضي فحسب وإنما يكون لها استناداً إلى الخبرات والممارسات الماضية ، قيمتها أو فائدتها في مجال العمل التربوي في حاضره أو مستقبله " (١).

وقد استخدمت هذا المنهج في الجوانب التالية :

- أ - البحث في مصادر أسباب النزول عن تساؤلات وأحداث وقعت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت سبباً في نزول آيات قرآنية تعالجها تربوياً في حينها بهدف الاستفادة منها في استنباط مبادئ تربوية .
- ب - العودة إلى كتب التفسير للحصول على شرح وافى للآيات التي قـمـت بدراستها .
- ج - العودة إلى كتب الحديث لاستخراج الأحاديث النبوية منها .

(٣) المنهج الوصفي :

" يقوم البحث الوصفي بوصف ما هو كائن وتفسيره وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع كما يهتم أيضا بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة والتعرف على المعتقدات والاتجاهات عند كل من الأفراد والجماعات وطرائقها في النمو والتطور " (٢).

ويفهم من ذلك أن المنهج الوصفي لا يقتصر على الوصف المجرد للأحداث وإنما يتسع ليشمل تحديد العلاقة بين هذه الأحداث من جهة والعلاقة بينها وبين الظروف والمعتقدات السائدة في المجتمع من جهة أخرى لكي يتم

- (١) جابر عبد الحميد ، أحمد خيرى كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس . القاهرة : دار النهضة العربية . ١٩٧٨ م . ص ١٠٩ .
- (٢) المرجع نفسه ، ص ١٣٦ .

التناسق والترابط بين أجزاء البحث . وبناءً على ذلك فقد استفدت من هذا المنهج فى الجوانب الآتية :

- (أ) وصف الأحداث التى وقعت فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .
- (ب) وصف الأسلوب التربوى جاء به القرآن لمعالجة كل حادثة من هذه الأحداث على حده .
- (ج) وصف حالة أفراد المجتمع أثناء هذه الأحداث ثم وصف حالتهم بعد نزول الآيات القرآنية فى هذه الأحداث . واكتشاف التغير الحادث والعلاقة بينه وبين أسلوب التربية المتبع .

الدراسات السابقة :

---

من خلال ما يسره الله لى من اطلاع لم أجد كتباً أو رسائل خصصت للكتابة فى موضوع هذا البحث .

" الفصل الأول "

---

الحكم التربوية من نزول القرآن منجما

=

تمهيد :

لنزول القرآن الكريم منجماً حكماً عديدة وفوائد جلية ، سأقوم فى هذا الفصل بعرض بعض منها . وقبل أن أبدأ بعرض هذه الحكم يجدر أن ألقى الضوء على الكيفية التى أنزل بها القرآن الكريم مقارنة بالكتب الإلهية السابقة .

نزول القرآن الكريم :

عظم الله أمة الإسلام ، وكرمها ، ورفع من شأنها، بأن أنزل فيها القرآن خاتم كتبه وأكمل رسالاته . فكيف تم هذا التنزيل ؟

أورد السيوطى أشهر ما قيل فى كيفية نزول القرآن حيث قال : " الأصح الأشهر أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم أنزل بعد ذلك منجماً " .<sup>(١)</sup>

ويستنتج من ذلك أن للقرآن الكريم تنزيلين :

الإنزال الأول :

إنزال القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، والأدلة على ذلك مايلى :

(١) قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ \* وأورد الطبرى فى

تفسير هذه الآية الكريمة مايلى :

" أما قوله ﴿ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فإنه ذكر أنه نزل فى ليلة القدر ، من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ، فى ليلة القدر من شهر رمضان ، ثم

(١) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر: الاتقان فى علوم القرآن .

بيروت : دار الفكر . ج ١ . ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، ص ٤١ .

(٢) سورة البقرة : آية (١٨٥) .

أنزل إلى محمد صلى الله عليه وسلم على ما أُرِاد  
الله ، أنزله إليه " (١)

(٢) قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (٢) وقد  
أورد الفخر الرازي في هذه الآية عدة مسائل ، يهمننا ما ذكره في المسألة  
الثامنة حيث قال : " أما قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ﴾  
فقد قيل إنه تعالى أنزل كلية القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا  
في هذه الليلة ، ثم أنزل في كل وقت ما يحتاج إليه المكلف " (٣)

(٣) قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٤) وقد فسر الطبري هذه الآية  
بقوله : " يقول تعالى ذكره إنا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى سماء  
السماء الدنيا في ليلة القدر " (٥)

الآيات السابقة تشبهت أن القرآن الكريم أنزل جملة واحدة  
إلى السماء الدنيا في ليلة مباركة ، تسمى ليلة القدر ، في شهر مبارك  
هو شهر رمضان ، وفي ذلك يقول ابن كثير :

" يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله  
في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل:  
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ وكان ذلك في شهر

- 
- (١) الطبري ، محمد بن جرير : تفسير الطبري . بيروت : دار الفكر ١٣٩٨ هـ /  
١٩٧٨ م . ج ٢ . ص ٨٤ .
- (٢) سورة الدخان : آية (٣) .
- (٣) الفخر الرازي ، محمد بن عمر : التفسير الكبير . بيروت : دار احياء التراث العربي ، ط ٣  
د . ت . ج ٢٧ . ص ٢٤٠ .
- (٤) سورة القدر : آية (١) .
- (٥) الطبري : المرجع السابق ، ج ٢٨ ، ص ١٦٦ .
- (\*) اختلف العلماء في تعيين الليلة المباركة . وأورد ذلك الفخر الرازي وعلق عليه  
بقوله : " اختلفوا في هذه الليلة المباركة ، فقال الأكثرون : إنها ليلة القدر ، وقال  
عكرمة وطائفة آخرون : إنها ليلة البراءة . وهي ليلة النصف من شعبان أما الأولون  
فقد احتجوا على صحة قولهم بوجوه . . . . . وأما القائلون بأن المراد من الليلة  
المباركة . . . هي ليلة النصف من شعبان ، فمأربيت لهم فيه دليلاً يعول عليه ، وإنما  
تنعوا فيه بأن نقلوه عن بعض الناس فإن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه كلام  
فلامزيد عليه ، وإلا فالحق هو الأول " . انظر الفخر الرازي : التفسير الكبير . ج ٢٧ ، ص ٢٣٧ .

رمضان كما قال تبارك وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي  
أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ (١).

### التنزيل الثانى :

تنزل القرآن من السماء الدنيا إلى النبی محمد صلى الله عليه وسلم  
منجماً. فما المقصود بكلمة " منجماً "؟

نجم لغة : " يقال جعلت مالى على فلان نجوماً منجماً. يؤدى كل نجم فى شهر  
كذا " (٢).

نجم اصطلاحاً: " جاء فى التفسير أن النجم نزول القرآن نجماً بعد نجم وكانت  
تنزل منه الآية والآيتان " (٣) أى أن تنجيم القرآن معناه نزول  
القرآن مفرقاً على نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم ومن  
الأدلة على ذلك ما يلى :

(١) قوله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكِّيٍّ وَنَزَّلْنَاهُ  
تَنْزِيلًا ﴾ (٤)

أورد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية الكريمة ما يلى :

" أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح  
المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم  
نزل مفرقاً منجماً على الوقائع إلى رسول الله صلى  
عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة، قاله عكرمة عن ابن  
عباس . وعن ابن عباس أيضاً أنه قرأ فرقناه  
بالتشديد أى أنزلناه آية آية مبيناً مفسراً ولهذا  
قال لتقرأه على الناس أى لتبلغه الناس وتتلوه  
عليهم ﴿ عَلَىٰ مُكِّيٍّ ﴾ أى مهل ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾

(١) ابن كثير، اسماعيل : تفسير القرآن العظيم . بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/

١٩٨٣م، ج ٤ ، ص ١٣٧ .

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على بن أحمد : لسان العرب . بيروت : دار صادر

د . ت . ج ١٢ ، ص ٥٧٠ .

(٣) المرجع نفسه . ج ١٢ ، ص ٥٦٩ .

(٤) سورة الإسراء : آية (١٠٦)



(١) أي شيئاً بعد شيء ."

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً . وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلِ إِلَّا جَعْنَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ . (٢)

وأورد ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات ما يلي :

" أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة . . . . . فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ليثبت قلوب المؤمنين به . . . . . ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم " . (٣)

(٤) وقد ذكر معظم المفسرين عند تفسيرهم للآيات التي تحدثت عن نزول القرآن العديد من الآثار لابن عباس ، والتي تثبت إنزال القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم نزوله على النبي محمد صلى الله عليه وسلم منجماً على دفعات وفق الوقائع والتساؤلات ، أورد منها فيما يلي ما ذكره الطبري :

(\*) "حدثنا ابن المثنى قال : ثنا عبد الأعلى قال : ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : أنزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا فكان الله إذا أراد أن يحدث

- (١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٦٨ .  
 (٢) سورة الفرقان : آية ( ٣٢ - ٣٣ ) .  
 (٣) ابن كثير : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .  
 (٤) من هو لا المفسرين :

- الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق ، ج ٢٧ ، ص ٢٣٩ ، ج ٣٢ ، ص ٢٧ .  
 - ابن كثير : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .  
 - السيوطي ، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ ،

ج ٢ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ ، ج ١٥ ، ص ٣٤٦ ، ج ١٩ ، ص ٢٥٤ .  
 (\*) "ثنا" اختصار لكلمة حدثنا .

في الأرض شيئاً أنزله منه حتى جمعه .  
 حدثني يعقوب قال : ثنا هشيم قال : أخبرنا حصين  
 عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس  
 قال : أنزل القرآن في ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء  
 جملة واحدة ثم فرق في السنين بعد . قال : تسلا  
 ابن عباس هذه الآية ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾  
 قال : نزل مفزقاً .

حدثني المشنى قال : ثنا سويد بن نصر قال :  
 أخبرنا ابن المبارك قرأه ابن جريج في قوله شهر  
 رمضان الذي أنزل فيه القرآن قال : قال ابن  
 عباس أنزل القرآن جملة واحدة على جبريل في ليلة  
 القدر فكان لا ينزل منه إلا بأمر" (١)

وقد علق الزرقاني على هذه الأقوال المشورة بقوله :

" هي أحاديث موقوفة على ابن عباس ، غير أن لها  
 حكم المرفوع إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم  
 لما هو مقرر من أن قول الصحابي ما لا مجال للرأى  
 فيه ولم يعرف بالأخذ عن الاسرائيليات ، حكمه حكم  
 المرفوع : ولا ريب أن نزول القرآن إلى بيت العزة  
 من أنباء الغيب التي لا تُعرف إلا من المعصوم ، وابن  
 عباس لم يُعرف بالأخذ عن الاسرائيليات فثبتت  
 الاحتجاج بها " (٢)

==

(\*) سورة الواقعة : آية ( ٧٥ ) .

(١) الطبري : تفسير الطبري . مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨٥ .

(٢) الزرقاني ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن . مصر :

دار إحياء الكتب العربية ، ط ٣ ، ص ٣٠٤ ، ج ١ ، ص ٣٨ .

" نزول الكتب الإلهية السابقة "

تم في الأسطر السابقة إثبات أن القرآن الكريم أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الوقائع والتساؤلات ، وهذا يقود إلى التساؤل عن الكيفية التي أنزلت بها الكتب الإلهية السابقة . هل أنزلت منجمة كالقرآن الكريم ، فحظيت بما للتنجيم من فوائد تربوية عظيمة سيأتى ذكرها فيما بعد؟ أم أنها نزلت جملة واحدة فكان للقرآن الكريم شرف الانفراد والاستئثار بهذه الطريقة التربوية؟ وقد أوضح الإمام السيوطى الكيفية التي أنزلت بها الكتب الإلهية السابقة بقوله عن هذه الكتب " إن سائر الكتب أنزلت جملة هو مشهور في كلام العلماء وعلى سنتهم حتى كاد يكون إجماعاً " .<sup>(١)</sup> أى أن الكتب الإلهية السابقة جميعها أنزلت إلى الأرض جملة واحدة وبذلك قال معظم المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾<sup>(٢)</sup> ومن هو<sup>(٣)</sup> الفخر الرازى حيث قال فى تفسير هذه الآية :

" قالوا تزعم أنك رسول من عند الله أفلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود " .<sup>(٤)</sup>

على الرغم من أن معظم العلماء والمفسرين قالوا إن الكتب الإلهية السابقة أنزلت جملة واحدة إلا أن هناك من يرى أن الكتب الإلهية السابقة أنزلت منجمة أيضاً وأن التنجيم غير قاصر على القرآن وحده ، ومن أمثلة هو<sup>(٤)</sup> محمد

(١) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن . مرجع سابق . ج ١ ، ص ٤٣ .

(٢) من هو<sup>(٤)</sup> المفسرين :

- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٣ ، ص ٣١٧ .

- الألوسى البغدادى ، شهاب الدين محمود : روح المعانى فى تفسير

القرآن العظيم . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م . ج ١٩ .

ص ١٥ .

(٣) سورة الفرقان : آية (٣٢) .

(٤) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٢٤ ، ص ٧٨ .

الغزالي حيث قال " أحب أن أشير هنا إلى خطأ شائع فكثير من الناس يظنون  
(١)  
أن التوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة " .

ويستند الغزالي فيما ذكر إلى دليلين :

أولهما :

" ليس في القرآن الكريم أن الله آتى عيسى الإنجيل دفعة واحدة ولا آتى  
(٢)  
موسى التوراة دفعة واحدة " .

ثانيهما :

" إن الواقع من مطالعة ما في يد اليهود والنصارى  
الآن ينفي هذا الزعم ، فالإنجيل المتداولة قصص  
كتبها تلامذة عيسى ودونوا فيها بعض تعاليمه التي  
صدرت عنه حسب الحوادث . وكذلك الرسائل الأخرى  
التي كتبها بولس وغيره " . (٣)

أما بالنسبة للدليل الأول فقد تكفل الإمام السيوطي بالرد على كل مسن  
قال بذلك فيما استنتجه من الآية الكريمة ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ  
الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (٤) إذ يقول :

" سكوته تعالى عن الرد عليهم في ذلك وعدوله إلى  
بيان حكمته دليل على صحته ، ولو كانت الكتب  
كلها نزلت مفرقة لكان يكفي في الرد عليهم أن  
يقول إن ذلك سنة الله في الكتب التي أنزلها  
على الرسل السابقة ، كما أجاب بمثل ذلك قولهم  
﴿ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي  
الْأَسْوَاقِ ﴾ (٥) فقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

(١) محمد الغزالي : نظرات في القرآن . القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ط ٤ ، ١٣٨٣ هـ .

ص ٢٢ .

(٢) المرجع نفسه . ص ٢٢ . (٣) المرجع نفسه . ص ٢٢ .

(٤) سورة الفرقان : آية ( ٣٢ ) .

(٥) السورة نفسها : آية ( ٧ ) .

إِلَّا بِإِذْنِهِمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْسُوكَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴿١﴾  
 وَقَوْلِهِمْ ﴿٢﴾ آتَيْتَ اللَّهَ بُشْرًا رَسُولًا ﴿٢﴾ فَقَالَ: ﴿٣﴾ وَمَا  
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴿٣﴾، وَقَوْلِهِمْ  
 كَيْفَ يَكُونُ رَسُولًا وَلَا هُمْ لَهُ إِلَّا النِّسَاءُ فَقَالَ: ﴿٤﴾ وَلَقَدْ  
 أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٤﴾  
 إلى غير ذلك .

(ومن ) الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى فى إنزاله  
 التوراة على موسى يوم الصعقة: ﴿٥﴾ فَخَذُّمَاءُ اتَّيَّتْكَ ﴿٥﴾  
 ﴿٦﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذُّهَا  
 بِقُوَّةٍ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ وَآلَقَى الْأَلْوَابِ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ وَنَمَّاسَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبِ  
 أَخَذَ الْأَلْوَابِ وَفِي نَسَخَتِهَا هُنْدِيٌّ وَرَحْمَةٌ ﴿٨﴾ ،  
 ﴿٩﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ  
 وَاقِعٌ بِهِمْ خَذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴿٩﴾ فهذه الآيات  
 كلها دالة على إتيانه التوراة جملة . . . . . (وأخرج)  
 ابن أبى حاتم عن ثابت ابن الحجاج قال جاءتهم  
 التوراة جملة واحدة فكبر عليهم فأبوا أن يأخذوه  
 حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوه عند ذلك (فهذه  
 أشار صحيحة صريحة فى إنزال التوراة جملة) " (١٠)

وقد أورد محمد أبو شهبة هذا القول للسيوطى وعلق عليه قائلاً :

" وإذا كانت التوراة وهى أعظم الكتب السماوية  
 السابقة وأكثرها أحكاماً وهداية وقد ثبت نزولها  
 جملة واحدة فأحر بغيرها من الكتب السماوية

- 
- (١) سورة الفرقان : آية ( ٢٠ ) .  
 (٢) سورة الإسراء : آية ( ٩٤ ) .  
 (٣) سورة الأنبياء : آية ( ٧ ) .  
 (٤) سورة الرعد : آية ( ٣٨ ) .  
 (٥) سورة الأعراف : آية ( ١٤٤ ) .  
 (٦) السورة نفسها: آية (١٤٥) .  
 (٧) السورة نفسها: آية (١٥٠) .  
 (٨) السورة نفسها: آية (١٥٤) .  
 (٩) السورة نفسها: آية (١٧١) .  
 (١٠) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن . مرجع سابق . ج ١ ، ص ٤٣ .

كالإنجيل والزبور وصحف إبراهيم أن تكون قد نزلت جملة واحدة " (١).

هذا فيما يتعلق بالدليل الأول الذي أورده محمد الغزالي فقد ثبت من الأسطر السابقة أنه لا يمكن الاعتماد عليه في إنكار نزول الكتب الإلهية السابقة جملة واحدة .

أما بالنسبة للدليل الثاني فلا يوجد ما يثبت صحته وذلك لأن ما في أيدي اليهود والنصارى الآن من كتب يدعون أن محتواها من عند الله هي في الواقع كتب انقطع تواترها واعتراها الكثير من التحريف وذلك لأن الله لم يتعهد حفظها كما تعهد حفظ القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٢) وإنما وكل حفظها إلى العلماء والفقهاء والعباد لقوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣)

وفسر الفخر الرازي هذه الآية بقوله :

" وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين : أحدهما : أن يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم ، والثاني : أن لا يضيعوا أحكامه ولا يهملوا شرائعه " (٤).

ويقول محمد الشنقيطي في ذلك أيضاً :

" أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأخبار والرهبان استحفظوا كتاب الله يعني استودعوه

- 
- (١) محمد محمد أبو شهبه : المدخل لدراسة القرآن ، ط ٢٠٠٢ ، ص ٥٨ .  
 (٢) سورة الحجر : آية (٩) .  
 (٣) سورة المائدة : آية (٤٤) .  
 (٤) الفخر الرازي : التفسير الكبير : مرجع سابق ، ج ١٢ ، ص ٤ .

وطلب منهم حفظه ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر  
فى ذلك وحفظوه أو لم يمتثلوا الأمر فى ذلك  
وضيعوه " (١)

غير أن بعضاً من هؤلاء الأخبار والرهبان لم يحفظوا الأمانة الموكلة إليهم  
وقاموا بتأليف كتب من عندهم وزعموا أنها من عند الله وقد أخبر الله تعالى  
عنهم بقوله جل شأنه :

\* قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ  
هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَّهُمْ  
مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ \* (٢)

وأورد ابن كثير فى تفسير هذه الآية قول السدى : " كان أناس من اليهسود  
كتبوا كتاباً من عندهم يبيعونه على العرب ويحدثونهم أنه من عند الله  
فياخذوا به ثمناً قليلاً " (٣) وروى البخارى فى صحيحه عن عبد الله ابن عباس  
قوله :

" كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى  
أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث  
تقروئه محضاً لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب  
بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب  
وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ،  
ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله  
ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل  
عليكم " . (٤)

يتضح مما سبق ذكره أنه لا يمكن الاستناد إلى صحة ما هو موجود الآن من

كتب إلهية سابقة لما طرأ عليها من تحريف وتغيير وبالتالي لا يمكن الأخذ بما

(١) محمد الشنقيطى : أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن . الرياض : الرئاسة  
العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . ج ٢ . ص ١٠٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ( ٧٩ ) .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ١١٧ . ١١٨ .

(٤) البخارى ، محمد بن اسماعيل : صحيح البخارى . بيروت : دار إحياء التراث

العربى . د . د . ت . ج ٩ ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم

لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء . ص ١٣٦ .

كتب فيها لنفى ما قيل من أن الكتب الإلهية السابقة أنزلت جملة واحسدة إضافة إلى ذلك نجد أن محمد الغزالي نفسه يعود بعد بضعة سطور فيقول : " ولا مانع فعلاً من أن ينزل الله على بعض أنبيائه كتباً كاملة ، لكن هذه الكتب لن تكون أسساً لرسالات بعيدة المدى واسعة الشرائع " .<sup>(١)</sup>

وبتعميق النظر فى هذا النص نجد أن محمد الغزالي يوافق الرأى القائل

بنزول الكتب الإلهية السابقة جملة واحدة إذا اتصفت بصفتين :

(١) أن تكون هذه الكتب قصيرة المدى ، بمعنى أن تكون خاصة بجماعة معينة

دون غيرهم .

(٢) عدم احتوائها على تشريعات واسعة .

والكتب الإلهية السابقة اتصفت بكلتا الصفتين السابقتين والأدلة

على ذلك قوله تعالى :

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ  
 أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴾ .<sup>(٢)</sup>  
 ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ  
 يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .<sup>(٣)</sup>  
 ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ  
 اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا  
 بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ .<sup>(٤)</sup>

فهذه الآيات السابقة تدل على أن كلاً من التوراة والإنجيل اختص إنزالها بجماعة

معينة من البشر هم بنو إسرائيل، وفى ذلك يقول سيد قطب :

" جعل الله فى الإنجيل هدى ونوراً وموعظة للمتقين،  
 وجعله منهج حياة وشريعة حكم لأهل الإنجيل أى أنه

(١) محمد الغزالي : نظرات فى القرآن . مرجع سابق ، ص ٢٢ .

(٢) سورة الإسراء : آية (٢) .

(٣) سورة المائدة : آية (٤٧) .

(٤) سورة الصف : آية (٦) .



خاص بهم فليس رسالة عامة للبشر شأنه في هذا شأن التوراة وشأن كل كتاب وكل رسالة وكل رسول قبل هذا الدين الأخير " . (١)

هذا بالنسبة للصفة الأولى، أما فيما يختص بالصفة الثانية فهي أيضاً متضمنة في جميع الكتب الإلهية السابقة وفي ذلك يقول سيد قطب :

" كل رسالة قبل الرسالة الأخيرة إنما جاءت لمرحلة من الزمان رسالة خاصة ، لمجموعة خاصة في بيئة خاصة . . . ومن ثم كانت تلك الرسائل محكومة بطورها هذه متكيفة بهذه الظروف . . . . . كلها تدعوا إلى إله واحد - فهذا هو التوحيد - ، وكلها تدعوا إلى عبودية واحدة لهذا الإله الواحد - فهذا هو الدين - ، وكلها تدعوا إلى التلقى عن هذا الإله الواحد والطاعة لهذا الإله الواحد - فهذا هو الإسلام - ولكن لكل منها شريعة للحياة الواقعية تناسب حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان والظروف . . . . . " . (٢)

وبذلك قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْضِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بَلِيقَاءَ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) حيث قال : " أي آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تماما كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه في شريعته " . (٤)

يتضح مما سبق عدم اتساع التشريعات التي اشتملت عليها الكتب الإلهية السابقة ، إضافة إلى ذلك فإن هناك كتباً إلهية لم تشتمل على تشريعات وإنما اشتملت على تسبيح وتحميد ومواعظ ومن أمثلة ذلك الزبور كتاب سيدنا داود عليه السلام الذي قال عنه الجمل : " هو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن . جدة : دار العلم للطباعة والنشر . ط ١٩٦٠ هـ .

١٩٨٦ م ج ٦ . ص ٩٠٠ - ٩٠١ .

(٢) المرجع نفسه . ج ٦ . ص ٨٤٢ .

(٣) سورة الأنعام : آية (١٥٤) .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٢ . ص ١٩١ .

ولا حلال ولا حرام بل فيها تسبيح وتقديس وتحميد وثناء على الله عز وجل  
(١) ومواعظ ."

وبالعودة إلى النص الذي كتبه محمد الغزالي نجد أنه قال فيمنه :  
" لمانع فعلاً من أن ينزل الله على بعض أنبيائه كتباً كاملة لكن هذه الكتب  
لن تكون أسساً لرسالات بعيدة المدى واسعة الشرائع " (٢) .  
وبما أنه تم فسي  
الأسطر السابقة إثبات أن الكتب الإلهية السابقة لم تكن رسالات بعيدة المدى  
واسعة الشرائع ، فبالتالي لا يوجد ما يعارض الرأي القائل بنزول الكتب الإلهية  
السابقة جملة واحدة .

=

---

(١) الجمل ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي : الفتوحات الإلهية بتوضيح  
تفسير الجلالين للدقائق الخفية . مصر : مطبعة البابي الحلبي  
وشركاه ، د . ت . ج ١ . ص ٤٤٨ .  
(٢) محمد الغزالي : نظرات في القرآن . مرجع سابق . ص ٢٢ .

" سبب اختلاف نزول القرآن الكريم  
عن الكتب الإلهية السابقة "

تم فى الأسطر السابقة من هذا الفصل إثبات مايلى :

- (١) نزول الكتب الإلهية السابقة على الرسل عليهم السلام جملة واحدة .
- (٢) نزول القرآن الكريم إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم إنزاله على  
النبي محمد صلى الله عليه وسلم منجماً .

ويتضح من ذلك اختلاف تنزل القرآن الكريم عن الكتب الإلهية السابقة

فما السبب فى هذا الاختلاف ؟

لاشك أن هناك أسباباً عديدة لذلك الاختلاف ، سأذكر فيما يلى بعضاً منها :

- (١) تعظيم أمر القرآن الكريم :

امتان القرآن الكريم عن الكتب الإلهية السابقة بأنه كان آخر الكتب  
الإلهية التى أنزلها الله سبحانه وتعالى ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام  
والمنزّل عليه هذا القرآن كان خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فلا بد  
إذن أن يُعظّم هذا الكتاب وأن يُعظّم هذا الرسول، وأحد وجوه هذا التعظيم هو  
أن تختلف طريقة إنزاله عن نزول الكتب الإلهية السابقة له . وفى ذلك يقول  
ابن كثير :

" وما هذا إلا اعتناء كبير وشرف للرسول صلى الله  
عليه وسلم حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل  
بالقرآن صباحاً ومساءً وليلاً ونهاراً وسفراً وحضراً ،  
وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتاب  
مما قبله من الكتب المتقدمة فهذا المقام أعلى  
وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء  
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالقرآن أشرف  
كتاب أنزله الله ومحمد صلى الله عليه وسلم أعظم  
نبي أرسله الله تعالى وقد جمع الله للقرآن الصفتين  
معاً، ففى الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح

المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم  
أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجماً بحسب الوقائع  
والحوادث " . (١)

(٢) القرآن رسالة عامة :

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وفسر ابن كثير هذه الآية  
بقوله : " يعنى أن القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن " (٣) وقسال  
سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) وأورد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية ما يلى :

" قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهرانى  
حدثنا حفص عن عمر العدنى . حدثنا الحكم  
ابن ايان عن عكرمة قال : سمعت ابن عباس رضى الله  
عنهما يقول : إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله  
عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا:  
يا ابن عباس فيما فضله الله على الأنبياء؟ قال  
رضى الله عنه: إن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا  
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ (٥) وقال للبنى صلى الله  
عليه وسلم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾  
فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس " . (٦)

وقد يتساءل سائل ، ما علاقة عمومية الرسالة بنزول القرآن منجماً ؟  
والإجابة على ذلك هى أن عمومية الرسالة تتطلب تربية أمة ، تأخذ على عاتقها  
الدعوة إلى هذه الرسالة ، ونشرها ، والإستمرار فى ذلك حتى بعد موت المرسل  
من عند الله بهذه الدعوة حيث قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٣ ، ص ٣١٨ .

(٢) سورة ص : آية ( ٨٧ ) .

(٣) ابن كثير : المرجع السابق . ج ٤ . ص ٤٤ .

(٤) سورة سبأ : آية ( ٢٨ ) .

(٥) سورة إبراهيم : آية ( ٤ ) .

(٦) ابن كثير : المرجع السابق . ج ٣ ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ \* (١) . ولذلك كان لابد من نيل نزول القرآن منجماً ، ليجيب على كل تساؤل ، ويوضح السبب في كل هزيمة ، ويبسرسر عوامل النصر في أى معركة ، ويكشف عن خفايا كل منافق ، وهو في ذلك كلسه يسعى لتأسيس البناء التربوي لهذه الأمة تأسيساً يُمكن أفرادها من الحفاظ عليه إلى يوم القيامة .

(٣) اشتمال القرآن على أكمل وأتم تشريع سماوى :

ترتبط هذه النقطة ارتباطاً وثيقاً بالنقطة السابقة ، وذلك لأن امتياز القرآن عن الكتب الإلهية السابقة بعمومية رسالته يقتضى اشتماله على أكمل وأتم تشريع سماوى ، وذلك بالطبع مع اتفاق القرآن وجميع الكتب الإلهية السابقة بأنها نزلت بدين واحد لقوله تعالى :

\* شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ \* (٢)

على الرغم من اتفاق القرآن الكريم والكتب الإلهية السابقة في أنها جميعها جاءت للدعوة بدين واحد إلا أن هذه الكتب اختلفت بعضها عن بعض فيما اشتملت عليه من تشريعات لقوله تعالى :

\* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ \* (٣)

- (١) سورة آل عمران : آية ( ١١٠ ) .  
 (٢) سورة الشورى : آية ( ١٣ ) .  
 (٣) سورة المائدة : آية ( ٤٨ ) .

فكل أمة جاءت شريعته متفقة مع ماتمعت به هذه الأمة من خصائص  
فشريعة التوراة تتصف بالشدة .

" سبب ذلك أن بنى إسرائيل كانت نفوسهم قد ذلت  
بقهر فرعون لهم واستعباد فرعون وقومه لهم فشرعت  
لهم الشدة لتقوى أنفسهم ويزول عنهم ذلك الذل" (١)

والآية التالية توضح جانباً من الشدة التي تميزت بها شريعة التوراة . قال تعالى:

\* وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ  
بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ  
وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ  
يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* (٢)

قال ابن عباس في هذه الآية : " يريد وفرضنا عليهم في التوراة أن النفس  
بالنفس ، يريد من قتل نفساً بغير قود قيد منه ، ولم يجعل الله له دية فـ  
نفس ولا جرح ، إنما هو العفو أو القصاص" . (٣)

والمثال السابق يوضح شدة شريعة التوراة والتي تبرز في عدم اشتغالها  
على الدية في حالة القتل أو الجرح وإنما كان هناك خيارات لا ثالث لهما إما  
القصاص أو العفو أما الإنجيل فشريعته :

" يغلب عليها اللين .. قالوا فلما نصر الله بنى  
إسرائيل وأظهرهم ظهرت فيهم الأحداث بعد ذلك  
وتجبروا وقست قلوبهم وصاروا شبيهاً بآل فرعون ،  
فبعث الله المسيح باللين والصفح والعفو عن المسيء  
واحتمال أذاه ليلين أخلاقهم ويزيل مافيه مسن  
الجبرية والقسوة .. . . . . . ولهذا قال بعضهم بعث موسى  
بالجلال وبعث عيسى بالجمال وبعث محمد بالكمال" (٤)

- (١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . قدم له وأشرف على  
طبعة على المدنى . مصر : مطبعة المدنى . د . ت . ج ٣ ، ص ٢٤٠ .
- (٢) سورة المائدة : آية (٤٥) .
- (٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ١٢ . ص ٧ .
- (٤) ابن تيمية : المرجع السابق . ج ٣ . ص ١٤٢ - ٢٤٣ .

أما القرآن الكريم فلأن تشريعاته غير محددة بفترة زمنية معينة إذ أنه خاتم الكتب الإلهية فلا يمكن أن يتنزل كتاب إلهي بعده لينسخ بعض أحكامه فشريعته ثابتة وخالدة ، وبما أن القرآن الكريم رسالة عامة لجميع البشر فخرى بشريعته أن تكون أكمل شريعة عرفتها الإنسانية لأنها لاتراعى خصائص جماعة معينة فى زمن معين وإنما تراعى الفطرة الإنسانية والإنسان فى أى زمان ومكان وفى ذلك يقول سيد قطب :

" حتى إذا أراد الله أن يختم رسالاته إلى البشر أرسل إلى الناس كافة رسولا خاتم النبيين برسالة " للإنسان " لا لمجموعة من الأناسى فى بيئة خاصة فى زمن خاص ، فى ظروف خاصة . . . رسالة تخاطب " الإنسان " من وراء الظروف والبيئات والأزمنة ، لأنها تخاطب فطرة الإنسان التى لاتتبدل ولا تتحور ولاينالها التغيير \* فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ \* (١) وفصل فى هذه الرسالة شريعة تتناول حياة " الإنسان " من جميع أطرافها وفى كل جوانب نشاطها وتضع لها المبادئ الكلية والقواعد الأساسية فيما يتطور فيها ويتحور بتغير الزمان والمكان وتضع لها الأحكام التفصيلية والقوانين الجزئية فيما لايتطور ولايتحور بتغير الزمان والمكان . . كذلك كانت هذه الشريعة بمبادئها الكلية وبأحكامها التفصيلية محتوية كل ما تحتاج إليه حياة الإنسان منذ تلك الرسالة إلى آخر الزمان من ضوابط وتوجيهات وتشريعات وتنظيمات لكى تستمر وتنمو وتتطور وتتجدد حول هذا المحور وداخل هذا الإطار وقال الله سبحانه للذين آمنوا \* الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا \* (٢) . " (٣)

(١) سورة الروم : آية (٣٠) .

(٢) سورة المائدة: آية (٣) .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٦ . ص ص ٨٤٢ - ٨٤٣ .

وأضاف إلى ذلك أيضا قوله :

" لقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها  
وجاء فى الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة  
البشرية عن علم بها من خالقها فجاء لذلك منجماً  
وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة " . (١)

(٤) اشمال القرآن على ناسخ ومنسوخ :

النسخ لغة : " نسخه ( أبطله وأقام شيئاً مقامه ) وقال الليث النسخ أن تزيل  
أمراً كان من قبل يُعمل به ثم تنسخه بحادث غيره " . (٢)

النسخ اصطلاحاً: " رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى " . (٣)

أى أن القرآن اشمال على آيات عمل بها المسلمون لفترة من الزمان ،  
ثم رفع حكم العمل بهذه الآيات وتنزلت آيات أخرى بحكم مختلف لحكمة يعلمها  
الله وفى ذلك يقول الزرقانى :

" سبحانه يعلم الناس والمنسوخ أولاً قبيل أن  
يشرعهما لعباده ، بل من قبل أن يخلق الخلق ،  
ويبرأ السماء والأرض . إلا أنه - جلت حكمته - علم  
أن الحكم الأول المنسوخ منوط بحكمة ، أو مصلحة  
تنتهى فى وقت معلوم ، وعلم بجانب هذا أن الناسخ  
يجب فى هذا الميقات المعلوم منوطاً بحكمة  
وبمصلحة أخرى . ولاريب أن الحكم والمصالح تختلف  
باختلاف الناس ، وتتجدد بتجدد ظروفهم وأحوالهم " . (٤)

فالحكم الناسخ يأتى دائماً لمصلحة الناس وهذه المصلحة إما مادية أو غيبية

- 
- (١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٩ ، ص ٢٥٦٢ .  
(٢) الزبيدى ، محمد مرتضى الحسينى الواسطى : تاج العروس . مصر : المطبعة  
الخيرية . ١٣٠٦ هـ . ج ٣ . ص ٢٨٢ .  
(٣) الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القسّرآن . مرجع سابق ،  
ج ٢ ، ص ٧٢ .  
(٤) المرجع نفسه . ج ٢ . ص ٧٨ .



وفى ذلك يقول ابن سلامة : " الناسخ لا يخلو من أحد النعمتين إما أن يكون أثقل فى الحكم فيكون أوفر فى الأجر ، وإما أن يكون أخف فى الحكم فيكون أيسر فى العمل " <sup>(١)</sup> حيث قال تعالى : \* مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* <sup>(٢)</sup>

وبما أن حكمة الله اقتضت نزول الكتب الإلهية السابقة جملة واحدة فمن غير المعقول أن تشتمل تلك الكتب على اعمالوا كذا لفترة من الزمن ثم انتهوا عن ذلك واعملوا بغيره ، فتنزه الله سبحانه وتعالى عن ذلك العيب ولكن الذى كان يحدث فيما سبق القرآن من كتب إلهية أن يأتى كتاب سماوى جديد يشتمل على أحكام تنسخ بعض أحكام الكتاب الإلهى الذى نزل قبله ، كما حدث فى الإنجيل حيث نسخت الأحكام الموجودة به بعض الأحكام التى كانت موجودة فى التوراة، وفى ذلك يقول تعالى : \* وَمَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا <sup>(٣)</sup> \* قال ابن كثير فى تفسيره هذه الآية "فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام نسخ بعض شريعة التوراة " <sup>(٤)</sup> وقال أيضا "ولهذا كان المشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة " <sup>(٥)</sup>

إذن يمكن مما سبق استخلاص أن اشتمال القرآن على ناسخ ومنسوخ كان من أحد الأسباب التى أدت إلى اختلاف طريقة تنزله عن الكتب الإلهية السابقة له .

(٥) أمية الرسول عليه الصلاة والسلام وأمىة أمته فى ذلك الزمان :

ذكر بعض المفسرين <sup>(٦)</sup> أنه من الأسباب التى أدت إلى اختلاف نزول القرآن

- (١) ابن سلامة ، أبى القاسم هبة الله : الناسخ والمنسوخ . فى الواحدى ، أبى الحسن على بن أحمد : أسباب النزول . بيروت : عالم الكتب . ص ٢٩ .
- (٢) سورة البقرة : آية (١٠٦) .
- (٣) سورة آل عمران : آية (٥٠) .
- (٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ ، ص ٣٦٥ .
- (٥) المرجع نفسه : ج ٢ ، ص ٦٤ .
- (٦) من هو علماء المفسرين :

— الفخر الرازى : التفسير الكبير : مرجع سابق . ج ٢٤ . ص ٧٩ .  
 — القرطبى ، أبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى : الجامع لأحكام القرآن . مصر : مطبعة دار الكتب المصرية . د . ت : ج ٣ ، ص ٢٨ .

الكريم عن الكتب الإلهية السابقة كون تلك الكتب أنزلت على أنبياء يقرءون ويكتبون بينما القرآن الكريم أنزل على نبي أمي ومن هو إلا الخازن حيث قال : " أنزلناه مفرقاً لتقوية قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرءون وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ " (١).

وأنا لا أنكر أمية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لإشارة القرآن الكريم إلى ذلك في أكثر من موضع ، منه قوله تعالى : \* وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآزْتَابِ الْمُبْطِلُونَ \* (٢) ، والتي قال ابن كثير في تفسيرها : " كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم دائماً إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده " (٣) . إلا أني أرى أنه يمكن تقوية الرأي السابق بالقول إن أمية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأميه أمته في ذلك الوقت تجعل من المعيب عليهم أخذ القرآن الكريم جملة واحدة لذا فإن الحكمة تقتضى التدرج مع هذه الأمة وتنزيل القرآن الكريم عليهم منجماً على دفعات ليسهل عليهم حفظه في صدورهم . وقد أخبر الله تعالى عن أمية العرب في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى :

\* هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ \* (٤)

أما بالنسبة لسيدنا موسى عليه السلام فلأنه يقرأ ويكتب ولأن قومه يقرءون ويكتبون أيضاً فمن المنطق نزول التوراة عليهم جملة واحدة . وذلك

- (١) الخازن ، علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي : لباب التأويل في معاني التنزيل . مصر : المطبعة البهية . د . ت . ج ٣ ، ص ٤١٤ .
- (٢) سورة العنكبوت : آية ( ٤٨ ) .
- (٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٤١٧ .
- (٤) سورة الجمعة : آية ( ٢ ) .

لأن علم قوم موسى عليه السلام بالقراءة يسهل عليهم قراءة التوراة لمعرفة الحكم في ما يستجد عليهم في حياتهم من أمور ، وكذلك تمكن معظم قـوم سيدنا موسى عليه السلام من الكتابة يجعل من السهل عليهم نقل ما كتب في النسخة الأصلية من التوراة وتداوله بينهم .

وقد تم الاستدلال على عدم أمية سيدنا موسى عليه السلام من قوله تعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا  
لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا  
سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

وتم استنتاج أن قوم سيدنا موسى عليه السلام على علم بالقراءة والكتابة وجود علماء منهم بدليل قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢) وفسر ابن كثير هذه الآية بقوله: " أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها " . (٣) إذن يمكن القول إن أمية النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأممية أمته في ذلك الوقت من الأسباب التي أدت إلى نزول القرآن منجماً .

==

(١) سورة الأعراف : آية (١٤٥) .

(٢) سورة الشعراء : آية (١٩٧) .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٣٤٧ .

## " الحكم التربوية من نزول القرآن منجماً "

لنزول القرآن الكريم منجماً فوائدها جلييلة ، وحكم عديدة ، سوف أقتصر على عرض ما ذكره الله منها في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ۚ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (١) والمتأمل في هذه الآية ، يجد أنها أجملت ثلاث حكم تربوية لنزول القرآن منجماً وهي :

### الحكمة الأولى :

تثبيت فؤاد النبي عليه الصلاة والسلام لقوله تعالى : ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ .

### الحكمة الثانية :

التدرج في تربية الأمة . وتستمد هذه الحكمة من قوله تعالى : ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ حيث فسر ذلك سيد قطب بقوله : " الترتيل هنا هو التتابع والتوالي ، وفق حكمة الله وعلمه ، بحاجات تلك القلوب ، واستعدادها للتلقى " (٢)

### الحكمة الثالثة :

مراعاة مناسبات الأحداث ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ .

وفيما يلي عرض كل حكمة من هذه الحكم بشيء من التفصيل :

(١) سورة الفرقان : آية ( ٣٢ - ٣٣ ) .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٩ ، ص ٢٥٦٣ .

## الحكمة الأولى :

تشببت فؤاد النبي محمد عليه الصلاة والسلام . وفى ذلك يقول مناع

## القطان :

" لقد وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
دعوته إلى الناس فوجد منهم نفوراً وقسوة ،  
وتصدى له قوم غلاظ الأكباد فطروا على الجفوة ،  
وجبلوا على العناد يتعرضون له بصنوف الأذى  
والعنت ، مع رغبته الصادقة فى إبلاغهم الخير  
الذى يحمله إليهم حتى قال الله فيــــه :  
\* فَلَعَلَّكَ بَلِّغٌ تَنْفَسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا  
بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا \* (١) فكان الوحي ينزل  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسرة بعد فترة  
بما يشبث قلبه على الحق " . (١)

ولقد عمل نزول القرآن منجماً على تشببت فؤاده عليه الصلاة والسلام

من عدة جوانب :

## الجانب الأول :

تشببت فؤاده عليه الصلاة والسلام عن طريق تكرار لقيه بالملك

المبعوث من ربه . وذلك لأن نزول القرآن منجماً يقتضى تكرار لقاء النبي  
عليه الصلاة والسلام بالملك المبعوث من الحق سبحانه وتعالى فيستشعر النبي  
عليه الصلاة والسلام فى كل لقاء من هذه اللقاءات عناية الله به ، وإحاطته  
برعايته ، فيشبت بذلك فؤاده ، ويزداد قوة إلى قوته ، وإيمانا إلى  
إيمانه ، ويمضى قُدماً فى دعوته . فكل لقاء من هذه اللقاءات يكون بمثابة  
قوة دفع له فى طريق الدعوة ، يجدد طاقته ، ويشحذ همته ، ويضاعف عزيمته ،  
ويهبون آلامه ، وفى ذلك يقول الفخر الرازى " . . . . أنه إذا شاهد جبريل

\* سورة الكهف : آية (٦) .

(١) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن . القاهرة : مكتبة وهبة

ط ٥ . ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . ص ٩٢ .

حالاً بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته . فكان أقوى على أداء ما حمل ، وعلى الصبر  
على عوارض النبوة ، وعلى احتمال أذية قومه ، وعلى الجهاد ... " .<sup>(١)</sup>

#### الجانب الثانى :

تشببت فؤاده عليه الصلاة والسلام عن طريق تيسير السبل عليه لحفظ  
وفهم جميع آيات القرآن الكريم . وذلك لأن :

" فى التنجيم تيسيراً عليه من الله فى حفظه  
وفهمه ، ومعرفة أحكامه وحكمه ، وذلك مطمئن  
له على وعى مايوحى إليه حفظاً وفهماً ، وأحكاماً  
وحكماً ، كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على  
ضبط ذلك كله " .<sup>(٢)</sup>

فقد كان عليه الصلاة والسلام حريصاً على ذلك كله . وقد بلغ من حرصه أنه كان  
يحرك لسانه أثناء تنزل الوحي عليه ، حتى طمأنه الله بأنه تعهد له حفظه  
وفهمه ، بقوله عز من قائل : ﴿ لَاتُحَرِّكَ بِوِ لِسَانِكَ لِتَعَجَلَ بِوِ . إِنَّ عَلَيْنَا  
جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾<sup>(٣)</sup>

#### الجانب الثالث :

تشببت فؤاده عليه الصلاة والسلام بتحدى من كذبوه بأن يأتوا بمثل  
القرآن الذى أوتى فتحداهم كما يقول محمد على الصابونى :

" بعبارات قوية ، ولهجات واخزة تستفز العزيمة  
وتدفع إلى المباراة ، وتنزل معهم من التحسدى  
بجميع القرآن ، إلى التحدى بعشر سور مثله ، ثم  
إلى التحدى بسورة واحدة من مثله وهم فى كسل  
هذا واجمون لا يبنسون ببنت شفة " .<sup>(٤)</sup>

- (١) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٢٤ . ص ٧٩ .
- (٢) الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٦ .
- (٣) سورة القيامة : آية ( ١٦ - ١٩ ) .
- (٤) محمد على الصابونسى : التبيان فى علوم القرآن . د . ن . ط ٢ .

حيث قال تعالى :

\* قُلْ لَّيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا  
بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَآيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ  
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً \* (١)

\* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ  
مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* (٢)

\* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ  
وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ \* (٣)

فنزول القرآن منجماً يعنى تكرار التحدى من الله سبحانه وتعالى لهم ،  
وبالمقابل تكرار فشلهم وعجزهم ، فيشعر النبى عليه الصلاة والسلام فى  
كل نوبة من نوبات التنزيل بضعفهم وقوته ، وهزيمتهم ونصره فيزداد  
بذلك فؤاده شباتاً .

#### الجانب الرابع :

تشببت فؤاده عليه الصلاة والسلام عن طريق تسليته ، لتخفيف ما  
يجده فى نفسه من آلام ، نتيجة تكذيب قومه له ، وتماديهم فى إيذائه ،  
وتدبير المكائد له . وقد كان هذا الإيذاء يتم فى أوقات مختلفة ،  
وبأساليب متنوعة ، لذا كان لنزول القرآن الكريم منجماً ، الأثر الكبير فى  
تسليته عليه الصلاة والسلام . فكلما اشتد إيذاء قومه وتكذيبهم له ،  
تنزلت عليه الآيات تسليه وتخفف عن نفسه شدة ما تلقاه . ونظراً لأن النفس  
البشرية تمل من اتباع أسلوب واحد معها فى التسلية ، لذا فقد تنوعت  
الأساليب القرآنية فى الترويح عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ودفعت

(١) سورة الإسراء : آية (٨٨) .

(٢) سورة هود : آية (١٣) .

(٣) سورة يونس : آية (٣٨) .

الأسى عن نفسه ، فتارة تجيء التسلية عن طريق وعد الله له بالنصر والتأييد كما قال تعالى : ﴿ وَيَنْصُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ <sup>(١)</sup> . وتارة تنهاه عن الحزن والحسرة عليهم كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ قَرَآءَهُ حَسَنًا فَاِنَّا اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> . وتارة أخرى تأتي التسلية عن طريق أمر الله له بالصبر والتسبيح ، وإحاطته له بالحفظ والعناية ، كما قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وتارة تكون تسليته ببيان مصير من كذبه وكفر برسالته كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ <sup>(٤)</sup> . وتارة تكون تسليته وتشبيته فواءه بأن تنزل عليه الآيات ، تقص عليه أخبار الأنبياء السابقين - عليهم الصلاة والسلام - وكيف كان نصر الله لهم ، وانتقامه من أعدائهم <sup>(٥)</sup> . وقد كشف الله سبحانه وتعالى عن الحكمة من ذكر قصص الأنبياء السابقين مع أممهم في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup> . وقد لخص مناع القطان هذه الحكمة بقوله :

" وهكذا كانت آيات القرآن تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعاً تسلياً له بعد تسلية ، وعزاء بعد عزاء ، حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه ولا يستبد به الأسى ولا يحد اليأس إلى نفسه سبيلاً ، فله في قصص الأنبياء أسوة ، وفي مصير المكذابين سلوى ، وفي العدة بالنصر بشرى " . <sup>(٧)</sup>

- 
- (١) سورة الفتح : آية ( ٣ ) .  
 (٢) سورة فاطر : آية ( ٨ ) .  
 (٣) سورة الطور : آية ( ٤٨ ) .  
 (٤) سورة آل عمران : آية ( ١٢ ) .  
 (٥) الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن . مرجع سابق . ج ١ ، ص ص  
 ٤٧ - ٤٨ .  
 (٦) سورة هود : آية ( ١٢٠ ) .  
 (٧) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن . مرجع سابق . ص ٩٣ .



فلو أنزل القرآن جملة واحدة ، مع استمرار المشركين في اضطهادهم ، وأذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لشعر بما يشعر به البشر في مثل هذه المواقف ، من أسى وحزن ويأس .

### الحكمة الثانية :

التدرج في تربية الأمة الناشئة دينياً وخلقياً واجتماعياً :

إن نزول القرآن الكريم منجماً أكبر برهان ، وأصدق دليل على مراعاة التربية القرآنية لمبدأ التدرج ، وتطبيقها له في أكمل صورة منذ أربعة عشر قرناً . ولقد تدرج القرآن مع الناس في تربيتهم في جوانب عديدة منها :

(١) التدرج في الحفظ والفهم :

بعث النبي الأمي عليه الصلاة والسلام إلى قوم أميين كمصا قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . ﴿١﴾  
نزل عليهم القرآن جملة واحدة ، لشق عليهم حفظه وفهمه وتدبر آياته ، إضافة إلى ذلك فقد يتجهون إلى حفظه قبل فهمه وتطبيقه ، رغم أن الواجب عليهم هو حفظه ، وفهم معانيه . لقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ . ﴿٢﴾ وبذلك فإن نزول القرآن الكريم منجماً سهل على المسلمين حفظه ، وفهم معانيه ، ثم تطبيقه في حياتهم .

وقد أدرك عليه الصلاة والسلام هذه الحكمة وطبقها في تعليمه القرآن لصحابته وذلك لأنهم رضوان الله عليهم لم يدخلوا جميعاً في الإسلام منذ بعثته عليه الصلاة والسلام ، ونزول أول آية من آيات القرآن عليه ، كما أنهم لم يسلموا جميعاً في وقت واحد . فكان لزاماً عليه صلوات الله وسلامه عليه أن يعلمهم مافاتهم من القرآن الكريم . وقد راعى عليه الصلاة والسلام التدرج في تعليمهم . فكان يعلمهم القرآن عشر آيات فإذا حفظوها ، وفهموها ، وظهر ذلك في تطبيقهم لها ، علمهم عشر آيات أخرى . وفي ذلك

(١) سورة الجمعة : آية ( ٢ ) .

(٢) سورة ص : آية ( ٢٩ ) .

يقول أبو عبد الرحمن السلمى : " حدثنا الذين كانوا يقرءوننا أنهم كانوا يستقرءون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل " .<sup>(١)</sup>

(٢) التدرج فى انتزاع الفاسد وتشبيث الصحيح من العقائد والعبادات:

بعث النبي محمد عليه الصلاة والسلام إلى قوم يعتنقون الوثنية ويعبدون الأصنام . ومن المسلم به أن للعقائد حتى ولو كانت باطلة سلطاناً على النفوس ، وأن النفس يصعب عليها ترك ما اعتقدته ، وتعودت القيام به بمجرد النهى عنه . والله سبحانه وتعالى هو الخالق لهذه النفس ، وهو الأعلم بالطرق المؤدية إلى صلاحها . فأنزل القرآن الكريم منجماً ليفطمهم عن شركهم ووثنياتهم بالتدرج ، مستخدماً لتحقيق ذلك شتى الوسائل وفى ذلك يقول الزرقانى:

" دخل عليهم من كل باب ، وآتاهم بكل دليل ، وحاكمهم إلى الحس ، وضرب لهم أبلغ الأمثال ، ولما عاندوا واحتجوا بما كان عليه آباؤهم نعى عليهم أن يمتهنوا كرامة الإنسان إلى هذا الحضيض من الذلة للأحجار والأصنام . . . . . وناقشهم كذلك فى عقائدهم الضالة التى نجمت عن تلك الوثنية . . . . . فتح عيونهم على ما فى أنفسهم من شواهد الحق ، وعلى ما فى الكون من أعلام الرشد ، ونوع لهم فى الأدلة وتفنن فى الأساليب ، ثم قادهم من وراء ذلك قيادة راشدة حكيمة ، إلى الاعتراف بتوحيد الله فى ألوهيته وربوبيته ، والإيمان بالبعث ومسئوليته ، والجزاء العادل ودقته ، ثم التسليم بالوحي وبكل ما جاء به الوحي " .<sup>(٢)</sup>

وهكذا استمر نزول القرآن منجماً ، تتنزل منه الآيات تلو الآيات ، تنتزع العقائد الفاسدة ، الواحدة تلو الأخرى ، وتشبث مكانها عقيدة التوحيد ،

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٣٠ .  
(٢) الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن . مرجع سابق ج ١ ، ص ١٩٥ -

شيئاً فشيئاً . لهذا كان من مميزات السور المكية : " الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، وإثبات الرسالة ، وإثبات البعث والجزاء ، وذكر القيامة وهولها ، والنار وعذابها ، والجنة ونعيمها ، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية " .<sup>(١)</sup> حتى إذا ما أستأملت الآيات العقائد الوثنية من نفوس الناس ، وغرست مكانها أن لا إله إلا الله ، وأصبحت قلوبهم خاضعة له ، وأيقنوا أن ما يرسمه لهم من طريق فيه صلاحهم . فرض عليهم سبحانه عبادات تقربهم منه ، وتجعل أرواحهم دائمة ألتعلق به ، وتدرج أيضاً فى إلزامهم بهذه الفرائض " فبدأهم بفريضة الصلاة قبل الهجرة ، وثنسى بالزكاة والصوم فى السنة الثانية من الهجرة ، وختم بالحج فى السنة السادسة منها " .<sup>(٢)</sup>

(٣) التدرج فى انتزاع المنكر من العادات والأخلاق وتشبيت المعروف :

إن صلاح النفس البشرية ، يبدأ من صلاح عقيدتها . ومالم تصلح العقيدة فلن يجدى مع هذه النفس تهذيب أو إصلاح لذلك لم يبدأ القرآن فى انتزاع عادات ورتائل الجاهلية ، إلا بعد أن مهد لذلك باقتلاع جذورها العقائدية الفاسدة من نفوس الناس ، وتشبيت عقيدة التوحيد مكانها . حتى إذا عرف الناس إلههم الحق ، وخلصت نفوسهم له ، وبدأت تتشوق إلى معرفة ما ينهى عنه ليجتنبوه ، وما يأمر به ليوعدوه ، بدأ فى تقييح عادات الجاهلية وتنفيرهم منها للتمهيد لكمال تحليهم بأخلاق لا إله إلا الله . وعلى الرغم من ذلك لم يفاجئهم بتشريعات وعادات وأخلاق لا عهد لهم بها ، بل تدرج معهم فى ذلك .

" فأصول المعاملات المدنية نزلت بمكة . ولكن  
تفصيل أحكامها نزل بالمدينة ....  
وأسس العلاقات الأسرية نزلت بمكة . أما بيان  
حقوق كل من الزوجين ، وواجبات الحياة الزوجية

(١) مناع القطن ؛ مباحث فى علوم القرآن . مرجع سابق . ص ٥٤ .  
(٢) الزرقانى : مناهل العرفان فى علوم القرآن ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٩ .

وما يترتب على ذلك من استمرار العشرة  
أو انفصامها بالطلاق أو انتهائها بالموت ثم  
الإرث... فقد جاء في التشريع المدنى.

وأصل الزنا حرم بمكة ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيْنَ  
إِنَّهُ كَانَ فَجِيسَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١). ولكن  
العقوبات المترتبة عليه نزلت بالمدينة.

وأصل حرمة الدماء نزل بمكة ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٢) ولكن تفصيل  
عقوباتها في الاعتدال - على النفس والأطراف  
نزل بالمدينة ! (٣)

هكذا عمل نزول القرآن منجماً ، على الارتقاء في تربية الأفراد ، مقدماً  
الأهم على المهم . وأوضح مثال لاتباع القرآن أسلوب التدرج في التربية  
تشريع تحريم الخمر . حيث لم يتم تحريم الخمر فجأة ، بل تم على مراحل  
وخطوات ذكرها سيد قطب في ظلاله وأذكرها فيما يلي بشيء من الإيجاز :

#### المرحلة الأولى :

مرحلة إطلاق سهم في الاتجاه ، حين قال الله سبحانه وتعالى في سورة  
النحل المكية : ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا  
حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) فلفتت هذه الآية انتباه المسلمين  
إلى أن هناك فرقاً بين السكر والرزق لثناء الله على الرزق دون السكر .  
فكان هذه الآية جاءت تمهيداً لتحريم هذا السكر الذى يذهب العقل .

#### المرحلة الثانية :

تحريك الوجدان الدينى ، عن طريق المنطق التشريعى ، فى نفسهموس  
الناس . حيث نزل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا

(١) سورة الإسراء : آية ( ٣٢ ) .

(٢) سورة الإسراء : آية ( ٣٣ ) .

(٣) مناع القطان : مباحث فى علوم القرآن . مرجع سابق . ص ٩٦ - ٩٧ .

(٤) سورة النحل : آية ( ٦٧ ) .

إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا... ﴿ الآية (١) . ففى هذه الآية تنفير مباشر عن طريق المقارنة العملية ، بين منافع الخمسر ومضارها ، وترجيح المضار على المنافع .

#### المرحلة الثالثة :

بعد التنفير المباشر من الخمر فى المرحلة السابقة ، فإنه لابد من أن يأتى التحريم ، لغلبة الضرر على النفع ، إلا أن التحريم فى هذه المرحلة كان تحريماً جزئياً ، وذلك لمعالجة عادة الإدمان ، التى تتعلسق بمواعيد التعاطى . وتم ذلك بنزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ . ﴿ الآية (٢) ، والصلاة فى خمسة أوقات ، معظمها متقارب ، ولايكفى ما بينها للسكر ، ثم الإفاقسة . وفى هذا تضييق لفرص المزاولة العملية ، لعادة الشرب من جهة ، وتقليل للكمية المشروبة من جهة أخرى .

#### المرحلة الرابعة :

وهذه هى المرحلة الحاسمة ، التى تمت فى سنة ثلاث للهجرة ، بعد وقعة أحد ، التى تأخرت حتى تهيأت النفوس لها ، تهيؤاً كاملاً . فبمجرد نزول قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ  
فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ  
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ  
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ  
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٣)

(١) سورة البقرة : آية ( ٢١٩ ) .

(٢) سورة النساء : آية ( ٤٣ ) .

(٣) سورة المائدة : آية ( ٩٠ - ٩١ ) .

بمجرد نزول هذه الآيات لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادي المدينة " ألا أيها القوم إن الخمر قد حُرمت " فمن كان في يده كأس حطمها ومسح كان في فمه جرعة مجها وشقت زقاق الخمر وكسرت قنانيه ٠٠٠ وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر .<sup>(١)</sup>

ولقد أشارت الصديقة بنت الصديق التي تربت في بيت النبوة إلى هذه الحكمة التربوية من تنزل القرآن منجماً وأثرها الفعال في تربية الرعيل الأول من المسلمين بقولها : ..

" إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا شاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لاندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا لاندع الزنا أبداً " .<sup>(٢)</sup>

كما أشار إلى ذلك الفخر الرازي بقوله : " إنه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك ، أما لما نزل مفرداً منجماً لاجرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحملها أسهل " .<sup>(٣)</sup>

#### الحكمة الثالثة :

مراعاة مناسبات الأحداث والأسئلة ومايجرى في السر والعلن من

أمور :

إن المتأمل لآيات القرآن الكريم ، يجد أنها انقسمت بالنظر إلى

أسباب نزولها ، إلى قسمين :

- (١) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٧ ، ص ٩٧٤ - ٩٧٥ .
- (٢) البخاري : صحيح البخاري . مرجع سابق ج ٦ ، كتاب فضائل القرآن . باب تأليف القرآن . ص ٢٢٨ .
- (٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق ، ج ٢٤ ، ص ٧٩ .



ومن الأمثلة على القسم الأول من الأسئلة ، والتي تستهدف التأكد من صدق النبي عليه الصلاة والسلام ، وصدق رسالته ، ما فعلته قريش . حيث أرسلت رجلين منهم إلى اليهود ، لأنهم أهل التوراة ، يسألونهم عن صدق سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فقال لهم اليهود :

" سلوا محمد - صلى الله عليه وسلم - عن الروح ، وعن فتية فقدوا في أول الزمان ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها . فإن أصاب فنى ذلك كله فليس بنبي ، وإن لم يجسب فنى ذلك فليس نبيا ، وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي فسألوه عنها " . (٢)

فأنزل الله سبحانه وتعالى في شأن الفتية قوله عز وجل : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكُفِّهِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ... ﴾ إلى آخر القصة . (٣)  
ونزل في شأن الرجل قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوهُنَّ عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ... ﴾ إلى آخر القصة . (٤) ونزل في الروح قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٥)  
فأثبت الله بذلك صدق نبيه .

أما القسم الثاني من الأسئلة ، والتي كانت لغرض التنوير والاسترشاد ومعرفة حكم الله فيما خفى عليهم من أمور . فالأمثلة على ذلك كثيرة ، منها ما حدث مع جابر بن عبد الله حيث قال :

" مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر يعوداني ماشيين . فأغمى علي ، فتوضأ ثم صب علي من وضوئه . فأفقت فقلت : يارسول الله كيف أقض في مالي ، فلم يرد

- (١) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر : لباب النقول في أسباب النزول ؛ تحقيق وتعليق قرني أبو عميرة . القاهرة : مكتبة نصير . ص ١٧٤ .
- (٢) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ص ٢٢٠ - ٢٢١ .
- (٣) سورة الكهف : آية ( ٩ - ٢٦ ) .
- (٤) سورة الكهف : آية ( ٨٣ - ٩٨ ) .
- (٥) سورة الإسراء : آية ( ٨٥ ) .



على شيئاً حتى نزلت آية الميراث". (١)

وهي قوله تعالى :

" يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكُلَّةِ  
 إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا  
 نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا  
 وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا  
 تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ  
 مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا  
 وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ " (٢)

ومن الأمثلة على تلك الأسئلة أيضاً : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حرم قتل الكلاب ، سأل الناس عن ما يحل لهم اقتناءه منهم . وقيل أيضاً إن عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماتقوم الكلاب بصيده من بقر وظباء ، ويقتل قبل أن يلحقوا ذكاته ، أياكلوه ؟ وقد حرم الله الميتة . فأنزل الله قوله :

\* يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ  
 وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ  
 مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ  
 وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
 سَرِيعُ الْحِسَابِ \* (٤)

ومن الطبيعي أن هذه الأسئلة على اختلافها ، لم تكن ترفع إلى النبي عليه الصلاة والسلام في وقت واحد ، بل في أوقات متباعدة . لذا فإن من الحكمة أن ينزل القرآن منجماً في أوقات متفرقة . فإذا سألوا النبي عليه الصلاة والسلام ، جاءه الوحي مجيباً على أسئلتهم ، وقال بذلك القرطبي في تفسير قوله تعالى : \* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا \* (٥) ،

(١) مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : صحيح مسلم بشرح النووي . مصر : المطبعة المصرية ومكتباتها . دت ، ج ١١ ، كتاب الفرائض . ص ٥٥ .

(٢) سورة النساء : آية (١٧٦) .

(٣) الواخدي : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٤) سورة المائدة : آية (٤) .

(٥) سورة الفرقان : آية ( ٣٣ ) .

أى " لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ماتجيب به ، ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت " .<sup>(١)</sup>

(٢) تعميق التأثير فى النفس عن طريق ربط الآية بالحادثة أو الواقعة :  
ومن الأمثلة على ذلك حادثة الوليد بن عقبة بن أبى معيط التى رواها الواحدى بقوله :

" بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق مصدقاً ، وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية ، فلما سمع القوم ، تلقوه تعظيماً لله تعالى ولرسوله . فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم ، فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم ، وأرادوا قتلى . فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم . فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : سمعنا برسولك ، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من حق الله تعالى ، فبدأ له فى الرجوع ، فخشينا أن يكون إنما رده عن الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا ، وإننا نعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله " .<sup>(٢)</sup>

فأنزل الله تعالى فى هذه الحادثة قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلِهِ فَتُصِِحُوا عَلٰنٍ مَّفَعَلْتُمْ تَلْدِمِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>

من الأمور البديهية الناس تأثروا بهذه الحادثة ، وتألموا التجزؤ رجلاً منهم على الكذب أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى اتهام قوم بما أشار غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم دون ما ذنب اقترفوه . ولم يكن القرآن ليدع حادثة مثل هذه تمر مرأً عابراً ، دون أن يستغلها

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٣ . ص ٢٩ .

(٢) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٢٩٢ .

(٣) سورة الحجرات : آية ( ٦ ) .

فى غرس مبدأ من المبادئ الأخلاقية والاجتماعية • وهو مبدأ التمهيس  
والتثبيت من خبر الفاسق •

هكذا كان أسلوب القرآن فى التربية ، لا يدع حادثة تمر دون أن  
يستفيد منها فى غرس مبدأ أو تثبيت حكم أو هدم باطل •••• فلا تمر  
بذلك حادثة دون الاستفادة منها فى تربية أفراد المجتمع وإصلاحهم •

(٣) إثابة المؤمن ومكافأتهم على ما يصدر منهم من أخلاق فاضلة  
أو تضحيات خالدة :

ومن الأمثلة على ذلك ما أبداه المسلمون من تضحيات خالدة  
يوم بدر • حيث نسوا رابطة الدم والقراية ، وتذكروا فقط رابطة الدين  
والعقيدة • فقتل أبو عبيدة ابن الجراح أباه ، وهم أبو بكر الصديق  
بقتل ابنه عبد الرحمن ، وقتل مصعب ابن عمير أخاه عبيد بن عمير، وقتل  
عمر بن الخطاب قريباً له ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب  
وعبيدة ابن الحارث قتلوا شعبة وعتبة أبناء ربيعة والوليد بن عتبة •  
(١)  
فتنزل عليهم الثناء من الله والمكافأة على عملهم بقوله تعالى :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا  
آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ  
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ  
مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ  
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢)

هذه الآيات وغيرها التى استغلت أحداث الحروب وما يصدر عن المسلمين فيها  
من تضحيات ومكافأتهم عليها فى حينها ، لتثبيت أقدامهم ، وتدفعهم  
للسير قدماً فى سبيل نصر دينهم ، لم تكن لتدع ما يصدر عن المؤمنيين

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم • مرجع سابق • ج ٤ • ص ٣٢٩ •

(٢) سورة المجادلة : آية ( ٢٢ ) •

من أخلاق فاضلة في السلم ، دون الثناء عليها . ومن الأمثلة على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال :

" جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء . ثم أرسل إلى أخرى ، فقالت : مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ، فقسام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : هل عندك شيء ، قالت : لا إلا قوت صبياني قال : فعليهم بشيء ، فإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج ، وأريه أنا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل ، فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال : فقعدوا وأكل الضيف " . (١)

فلم يدع الله هذه الحادثة التي تمت في السر ، دون أن يعلنها للناس ليثبت عن طريقها مبدأ الإيثار على النفس . وإمكانية تحقيق ذلك بنفس راضية إذا كان الهدف هو الحصول على مرضاة الله سبحانه وتعالى ، وأن الله سيجزيهم على ذلك خير الجزاء . فقال تعالى : \* وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَنَفْسِهِ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* (٢)

(٤) توجيه أنظار المسلمين إلى أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب في الوقت نفسه :

هذه الحكمة التربوية لنزول القرآن الكريم منجماً وفق الأحداث

ذكرها محمد على الصابوني بقوله :

" التنبيه على الأخطاء في وقتها فإن ذلك أوقع في النفس ، وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها ، عن طريق الدرس العملي . فكلما جد منهم جديد ، نزل من القرآن ما يناسبه . وكلما حصل منهم خطأ ، أو انحراف ، نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم ، إلى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين " . (٣)

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي : مرجع سابق . ج ١٤ . باب إكرام الضيف

وفضل إيثاره . ص ص ١١ - ١٢ .

(٢) سورة الحشر : آية ( ٩ ) .

(٣) محمد على الصابوني : التبيان في علوم القرآن . مرجع سابق . ص ص ٣٨ ، ٣٩ .

ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في غزوة حنين " هذه المعركة التي اجتمع فيها للمسلمين للمرة الأولى جيش عدته اثنا عشر ألفاً " (١) فغفلت قلوبهم لحظات عن السبب الحقيقي للنصر ، مأخوذة بالكثرة في العدد والعتاد ، وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قولة الإعجاب : " لن تغلب من قلعة " . (٢)

ولكن الله الذي أراد لهذه الأمة أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، لم يكن ليبدع هذه العبارة تمر دون أن يلحق المسلمين درساً عملياً لا ينسوه ، في أن عبدة النصر هي التجرد لله وتوثيق العلة به ، وأنهم لم يعيبيوا حين ظنوا أن قوتهم وعدتهم ستنصرهم على عدوهم . فهزمهم الله في أول المعركة ، على كثرة عددهم وعدتهم وفي ذلك قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْعاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ \* هكذا نزل النص القرآني .

" يعيد عرض المعركة بمشاهدها المادية ، وبانفعالاتها الشعورية ، . . . فمن انفعال الإعجاب بالكثرة ، إلى زلزلة الهزيمة الروحية ، إلى انفعال الضيق والحرج حتى كأن الأرض كلها تضيق بهم ، وتشد عليهم ، إلى حركة الهزيمة الحسية ، وتولية الأدبار ، والنكوص على الأعقاب " . (٤)

وبعد أن عرفهم سبحانه وتعالى بالخطأ الذي وقعوا فيه ، أرشدهم إلى طريق الصواب ، وهو العودة إلى الله ، والاعتزاز بقوته وحده ، والتجرد الخالص له ، لأنه هو وحده الذي بيده النصر ، وأنه هو الذي نصرهم في هذه الغزوة بعد هزيمتهم . فقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَسْرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ \* (٥)

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٠ . ص ١٦١٧ .

(٢) السيوطي : لسان النقول في أسباب النزول . مرجع سابق . ص ١٣٨ .

(٣) سورة التوبة : آية ٢٥ .

(٤) سيد قطب : المرجع السابق . ج ١٠ . ص ١٦١٧ .

(٥) سورة التوبة : آية (٢٦) .

(٥) تربية المؤمنين بالمشاهدة والتجربة على الإحساس بمعية الله :

" يربي القرآن المؤمنين على الإحساس بمعية الله فهو يسمع عبده ، ويجيب دعاءه ، دون حاجة إلى وسيط أو شفيع . والنفس لا تتقنع بالمعرفة وحدها ، بل تتشوق إلى المشاهدة والتجربة . وفي حادث خولة بنت ثعلبة ، تركيز لهذه المعرفة ، وشهود لحقيقة الصلة ، وواقع الإجابة . فقد شهد المؤمنون في المدينة ، كيف تتدخل السماء في شئونهم اليومية ، وكيف سمع الله لامرأة فقيرة محزونة ، وكيف استجاب دعائها ، وأنزل فيها قرآناً أعطاها حقها " . (١)

وحادثة خولة بنت ثعلبة ترويها لنا أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها

بقولها :

" تبارك الذى وسع سمعه كل شيء . إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ، ويخفى على بعضه ، وهي تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول : يا رسول الله : أكل شبابي ونثرت له بطني . حتى إذا كبرت سني ، وانقطع ولدي ، ظاهر مني . اللهم ! إني أشكو إليك . . . فما برحت حتى نزل جبرائيل ( عليه السلام ) بهؤلاء الآيات " . (٢)

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ . الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الْأَيْتَى وَلِذُنْهُنَّ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ مُدْرِكٌ . وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاذْطَعَامَ سِتِّينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣)

(١) محمد شديد : منهج القرآن في التربية . مرجع سابق . ص ٢٧٨ .

(٢) ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني : سنن ابن ماجه . تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة : دار الحديث . د . ت . ج ١ . كتاب

الطلاق . باب الظهار . حديث . ٢٠٦٣ . ص ٦٦٦ .

(٣) سورة المجادلة : آية ( ١ - ٤ ) .

إن تنزل الحل من الله سبحانه وتعالى لهذه المشكلة، قبل أن تبرح صاحبتهـا مكانها، جعل الناس يستشعرون أن الله معهم ، وأن رحمته قريبة منهم—م وأن عنايته محيطة بجميع أمورهم، جليلها ومغيرها، الخاص منها والعام، لتربُّبِ وفق منهجه ، ولتنهض بالمهمة التي أعدها الله لها، لتكون بذلك كله خير أمة أخرجت للناس .

(٦) موالاة تقريـع الكافرين بالحجة بعد الحجة وتجديد تذكيرهم بانحرافهم :

فنزول القرآن منجماً وفق الحوادث كشف عن انحراف من كفروا وأشركوا وأبطل دعاواهم التي ادعوا في الأسماء وغيرها من المعبودات الباطلة وفي وصف القرآن والرسول. فكلما احتجوا بحجة تبرر صحة دعاواهم من كون الأسماء تشفع لهم وتقربهم إلى الله ومن إنكارهم أن القرآن كلام الله وإنكارهم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، نزل من القرآن ما يبطل حجتهم . وكلما طعنوا في صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، أو في القرآن نزل من الله ما يبطل ادعاءهم ويدحض باطلهم .

ومــــن الأمثلة على حجتهم في شركهم وكيف دحضها الله بحجة أقوى

من حجتهم مارواه الواحدى بقوله :

" روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أسماءهم ، وعلقوا عليها بيض النعام، وجعلوا في آذانها الشنوف ، وهم يسجدون لها، فقال: يامعشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام . فقالت قريش : يامحمد إنما نعبد هذه حياءً لله ، ليقربونا إلى الله زلفى؛ فأنزل الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله وتعبدون الأسماء لتقربكم إليه، فاتبعوني يحببكم الله، فأنا رسوله إليكم ، وحجته عليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أسماءكم". (١)

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) . فحجتهم في إشراكهم بالله وعبادة الأسماء هي حب الله ، والتقرب إليه ، فبين الله كذبهم ، وبطلان حجتهم، بأن وضع لهم الطريق الصحيح الذي يجب أن يسلكوه إن كانوا يحبون الله ، ويرجون قربانه،

(١) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٧٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية (٣١) .

فإن سلكوه فإنهم حينئذ يكونون صادقين في كونهم يحبون الله ويحبون أن  
يتقربوا إليه ، وإن لم يسلكوه فإنهم كاذبون في ادعائهم .

ومع ذلك لم يرتدع المشركون عن اختلاقهم الحجج الباطلة ،  
التي يتذرعون بها ، ويجعلونها مبرراً لإشراكهم . بل تعدوا ذلك إلى  
إنكار رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأن ادعوا أن القرآن  
الذي يتلوه عليهم ، ليس وحى من الله بقولهم :

" إنما يعلمه ... القرآن بشر ويشيرون إلى رجل  
أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان  
بياعاً يبيع عند الصفا ، وربما كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء  
وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه  
كان يعرف الشيء اليسير " . (١)

فرد الله سبحانه وتعالى على حجته هذه في حينها ، بحجة أقوى منها ، بقوله  
تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ  
أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٢) . ردهم الله في هذه الآية إلى المنطق  
والعقل بأسلوب بسيط ، لا يحتاج إلى جدال وهو كيف يتسنى لرجل أعجمي أن يؤلف  
مثل هذا الكلام العربي المبين الذي تدركون أنتم يافرسان هذه اللغة مسدى  
إعجازه وبيانه .

(٧) تحذير المسلمين من المنافقين واليهود والكشف عن خبيثة نفوسهم :

كان المنافقون يخالطون المسلمين في مجالسهم ، بحكم تظاهرهم  
بالإسلام ، لذا فإن الخطر الآتي من قبلهم أكبر من الخطر الآتي من الخارج  
ونزول القرآن منجماً وفق الأحداث ، عمل على تعرية نفوسهم ، والكشف عن خباياها  
في كل حادثة يكيدون فيها للإسلام والمسلمين ، سراً أو جهراً ، ليُعرف المسلمون  
بهم ، ويثبت عملياً لمن يحسن الظن بهم ، ويصدق كلامهم ، أنهم لا يضمرون في أنفسهم

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٥٨٦ .

(٢) سورة النحل : آية ( ١٠٣ ) .



للمؤمنين خيراً ، ولا يرجون لهم نصراً ، ولا يريدون للدعوة ظهوراً ، لياخذوا حذرهم منهم ، ويمتنعوا عن الولاء لهم . ومن ذلك ما كان منهم يوم غزوة أحد ، حيث رجع عبد الله بن أبي راس المنافقين بثلك الجيش ممن اتبعه ، قائلين لمن لحقهم من المؤمنين يحرضونهم على القتال وعدم الرجوع: " لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكن لانرى يكون قتال " . فنزل القرآن

يكشف كذبهم ، ويفضح ما خباؤه في نفوسهم من نفاق بقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّفَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ تَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمِنِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ (٢)

وكما كانت آيات القرآن الكريم ، تنزل في أعقاب كل حادثة تفضح المنافقين وتعرف الناس بهم ، وكذلك الحال بالنسبة لليهود ، فقد هتك الله أستارهم وسراخهم ، فلا يكيدون كيداً للإسلام والمسلمين ، إلا أطلع الله نبيه والمسلمين عليه ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها الحادثة التالية :

" تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر ، وقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد ، واكفروا به في آخر النهار ، وقولوا إنا نظرنا في كتبنا ، وشاورنا علماءنا ، فوجدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ليس بذلك ، وظهر لنا كذبه ، وبطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا : إنهم أهل كتاب ، وهم أعلم به منافيرجعون عن دينهم إلى دينكم " . (٣)

إلا أن الله كشف عن سوء أمرتهم ، وأفشل خطتهم ، فنزلت الآيات تخبر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ، بما يكيد لهم اليهود ، لياخذوا حذرهم منهم ، فقال تعالى مخبراً عن مكيدتهم تلك : ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِاللَّهِ <sup>(٤)</sup> أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاتَّكَفَرُوا ؕ آخِرَهُ لَعْنَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

- (١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٢٥ .
- (٢) سورة آل عمران : آية ( ١٦٦ - ١٦٧ ) .
- (٣) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٧٩ .
- (٤) سورة آل عمران : آية ( ٧٢ ) .

(٨) الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد :

مع أن آيات القرآن الكريم نزلت في أوقات متباعدة ، تباعد  
الوقائع والأحداث ، ثم وضع كل آية منها في المكان المناسب لها من السورة  
إلا أن الناظر لسور القرآن الكريم يحسب كل سورة من هذه السور نزلت دفعة  
واحدة ، لما بين أجزاءها من تلاحم ، وما بين أفكارها من ترابط . كما أن مسنن  
يقرأ القرآن الكريم ، يجد أنه من أوله إلى آخره تجرى جميع آياته على نسق  
رفيع واحد ، دقيق العبارة ، رائع التعبير ، محكم الاتصال ، معجزاً في البلاغة  
والبيان ، مُثبتاً عن طريق ذلك أنه كلام الواحد القهار ، العالم بما كان وما  
سيكون . وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ  
الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١) .

وفي ذلك يقول الزرقاني :

" القرآن الكريم . . . . نزل مفرقاً منجماً ، ولكنه تم  
مترابطاً محكماً . وتفرقت نجومه تفرق الأسباب ، ولكنه  
اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب . ولم يتكامل  
نزوله إلا بعد عشرين عاماً ، ولكن تكامل انسجامه  
بداية وختاماً !! ليس ذلك برهاناً ساطعاً على أنه  
كلام خالق القوى والقدر ، ومالك الأسباب والمسببات ،  
ومدبر الخلق والكائنات ، وقيوم الأرض والسموات العليم  
بما كان وما سيكون ، الخبير بالزمان وما يحدث فيه  
من شئون؟؟" (٢) .

====

\*\*\*

-

(١) سورة النساء : آية ٨٢ .

(٢) الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . مرجع سابق . ج ١ . ص ٥٤ .

الفصل الثاني

===

التربية الإيمانية

بنا أحمد

————

تمهيد :

تم في الفصل السابق عرض الحكم التربوية من تنزل القرآن الكريم وفق الأحداث ، وسيتم في هذا الفصل إن شاء الله إيضاح الدور الذي ساهم به نزول القرآن وفق الأحداث في تربية الرعيل الأول من المسلمين تربية إيمانية وسأبدأ هذا الفصل بتعريف الإيمان ، ثم بيان الأركان الأساسية التي يستند عليها . ثم ذكر أهمية الإيمان ، بعد ذلك عرض بعض الأحداث المتعلقة بأركان الإيمان والتي كانت سبباً في تنزل آيات معينة فيها ، للتعرف على أسلوب التربوي الذي اتبعته هذه الآيات لغرس جذور الإيمان بكل ركن من أركانه في نفوس الناس ، والمبادئ التربوية التي يمكن استنباطها من ذلك .

تعريف الإيمان :

الإيمان لغة :

ذكر معظم علماء اللغة الذين تم الاطلاع على كتبهم ، أن الإيمان (١) يعني التصديق . وثبت ذلك ابن منظور بقوله " اتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق " . (٢)

الإيمان شرعاً :

بين الخازن تعريف الإيمان شرعاً بقوله : " الإيمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان " (٣) وذكر

(١) من هؤلاء العلماء :

- ابن سيده ، أبي الحسن علي بن اسماعيل : المخصص . مصر : المطبعة الكبرى

الأميرية . ١٣١٩ هـ . ج ١٣ . ص ٨٣ .

- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر : مختار الصحاح . مصر :

المطبعة الأميرية . ط ٣ . ١٣٢٩ هـ . ص ٣٨ .

- الزنجاني ، محمود بن أحمد : تهذيب الصحاح . تحقيق عبد السلام محمد

هارون وأحمد عبدالغفار . مصر : دار المعارف . د . ت . القسم الثاني .

ص ٨١١ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب . مرجع سابق . ج ١٣ . ص ٢٣ .

(٣) الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل . مرجع سابق . ج ١ . ص ٢٦ .

ابن كثير ذلك أيضاً فى تفسيره حين قال : " فالإيمان الشرعى المطلوب لا يكون إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً " .<sup>(١)</sup> وهذا هو مذهب السلف الذى بينه ابن حزم بقوله : " قول جمهور أهل الإسلام ومذهب الجماعة وأهل السنة وأصحاب الآثار ... الإيمان عقد وقول وعمل " . والأدلة على صدق هذا التعريف كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تَوَدِّعُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا  
 آسَلَّمْنَا وَلَمْ نَبْذُرْ فِي الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا  
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَأَنبِتَنَّكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ  
 وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقد استشهد ابن تيمية بهذه الآيات عند قوله : " نفى الله الإيمان

عمن قال بلسانه وقلبه إذا لم يعمل " .<sup>(٤)</sup> وفسر القرطبي قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا  
 الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا . . . ﴾ الآية ، بقوله  
 " أى صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهد والأعمال الصالحة ﴿ أُولَئِكَ هُمُ  
 الصَّادِقُونَ ﴾ فى إيمانهم " .<sup>(٥)</sup> وبهذا يمكن القول إن الإيمان فى الشريعة  
 هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل وفق شريعة الله .

- 
- (١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٠ .  
 (٢) ابن حزم ، أبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى : الفصل فى الملل  
 والأهواء والنحل . بيروت : دار الفكر . د . ت . ج ٣ . ص ١٩١ .  
 (٣) سورة الحجرات : آية (١٤ - ١٥)  
 (٤) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : مجموع فتاوى شيخ الإسلام  
 أحمد بن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن  
 قاسم العاصى . المملكة العربية السعودية : الرئاسة العامة  
 لشئون الحرمين الشريفين . د . ت . ج ٧ . كتاب الإيمان  
 ص ١٤١ .  
 (٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .  
 ج ١٦ . ص ٣٤٩ .

## أركان الإيمان :

يرتكز الإيمان على ستة أركان ، تعتبر الأساس الذى يقوم عليه البنساء  
الإيماني ، والذى يستمد منها قوته ودوامه ، والأصول التى تمتد منها كل فروعها ،  
إذ أن ما لا أساس له لا دوام له ، وما لا أصل له لا حياة لفروعه .

وقد ورد ذكر هذه الأركان فى مواطن عديدة من القرآن الكريم والسنة

الشريفة منها :

قولة تعالى :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ  
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَنْفُرُقَ بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا  
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

وقوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ  
الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِهِ  
وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ . (٢)

وقوله جل جلاله :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ  
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ..... ﴾ (٣)

بالنظر إلى الآيات السابقة يلاحظ أنها اشتملت على خمسة أركان من أركان

الإيمان . أما الركن السادس فلم يذكر فى الآيات السابقة ( وهو الإيمان

بالقدر ) ، إلا أنه ورد ذكره فى أكثر من آية من آيات القرآن وبين المفسرون

(١) سورة البقرة : آية ( ٢٨٥ ) .

(٢) سورة النساء : آية ( ١٣٦ ) .

(٣) سورة البقرة : آية ( ١٧٧ ) .

أن المقصود منها الإيمان بالقدر. ومن هذه الآيات :  
 قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ۖ ﴾ الآية .<sup>(١)</sup> والتي قال ابن كثير فـسـى  
 تفسيرها :

" أما الغيب المراد ههنا فقد اختلفت عبارات السلف  
 فيه وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد، قال  
 أبو جعفر الرازي : . . . يؤمنون بالله وملائكته  
 وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه  
 ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث ، فهذا غيب  
 كله . . . وقال زيد بن أسلم : الذين يؤمنون  
 بالغيب قال : بالقدر . فكل هذه متقاربة في معنى  
 واحد لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب  
 الإيمان به " .<sup>(٢)</sup>

وقوله سبحانه :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ  
 وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي سِ  
 كِّتَابٍ مُبِينٍ ﴾<sup>(٣)</sup> حيث ذكر سيد قطب عند تفسيره لهذه الآية : " ويبقى من الغيب  
 الذي لا يقوم الإيمان إلا بالتصديق به : قدر الله - وهو غيب لا يعلمه الإنسان حتى  
 يقع " .<sup>(٤)</sup>

ثم إن السنة النبوية الشريفة التي يعتمد عليها في تفصيل وتوضيح  
 ماورد في القرآن الكريم ،ورد فيها بصريح العبارة أن أركان الإيمان ستة ومن ذلك  
 ما رواه مسلم عن أبي هريرة حيث قال :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلونى  
 فها بوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه  
 فقال : يا رسول الله ما الإسلام قال : لا تشرك بالله

- 
- (١) سورة البقرة : آية ( ٣ ) .  
 (٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤١ .  
 (٣) سورة الأنعام : آية ( ٥٩ ) .  
 (٤) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٧ . ص ١١١٤ .

بالله شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان قال : صدقت قال : يارسول الله ، ما الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله . قال : صدقت . . . . ثم قام الرجل . . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا" (١)

يتضح من هذا الحديث والآيات السابقة أن أركان الإيمان ستة وهى: الإيمان بالله . . . الإيمان بالملائكة . . . الإيمان بكتب الله . . . الإيمان بالرسول . . . الإيمان باليوم الآخر . . . الإيمان بالقدر خيره وشره .

(٢) وبالنظر إلى قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۗ ﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ﴾ الآية (٣) والحديث النبوى السابق ، نجد أن أركان الإيمان ورد ذكرها وفق تسلسل منطقى فالركن الأول هو الإيمان بالله وحده ، لأنه الركيزة الأساسية ، ونقطة التحول الأولى فى حياة الإنسان . لذا فإنه كان لازماً لهذا الركن أن يتصدر ويتقدم الأركان الأخرى من أركان الإيمان .

ثم إن الإيمان بالله تعالى يجعل المؤمن ينزه الله سبحانه وتعالى عن العيب وأن يخلق هذا الكون وهذا الإنسان دون حكمة معينة من خلقه ، تلك الحكمة أوضحها جل جلاله بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۗ ﴾ (٤) والعبادة بمعناها الشامل تضمنها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴾ (٥) وبذلك فإن الخلافة من ضمن العبادات والحكم التى خلق الله الإنسان من أجلها . كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١ . كتاب الإيمان . ص ١٦٥ .

(٢) سورة البقرة : آية ( ٢٨٥ ) .

(٣) سورة النساء : آية ( ١٣٦ ) .

(٤) سورة الذاريات : آية ( ٥٦ ) .

(٥) سورة الأنعام : آية ( ١٦٢ ) .



لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ۞ الآية (١) . فأمدته بالإمكانات والطاقات التي تمكنه من الاستخلاف في هذا الكون المسخر كل مافيه لخدمته ، والأهم من ذلك أنه لم يدعه يتخبط في هذه الأرض بحثاً عن الطريق السليم ، والمنهج الصحيح ، الذي يسير عليه ، بل مده بمنهج رباني ينير له الطريق الأمثل ويبين له معالمه . وبالطبع فإن هذا المنهج الرباني يستلزم وجود وسيلة تنقله من واهه سبحانه وتعالى إلى هذا الإنسان الذي لا يمكنه الاتصال مباشرة به جل جلاله . وبذلك تتفتح آفاق الفكر الإنساني لقبول وجود مخلوقات أخرى يمكنها الاتصال بالله ، ونقل منهجه إلى الإنسان ، وهذا في النهاية يقود العقل إلى وجوب الإيمان بالركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالملائكة .

ثم إن هذا المنهج لا بد أن يحفظ من الضياع بوضعه في مكان معين يسهل على البشر الاطلاع عليه في كل وقت ، جيلاً بعد جيل ، ليطبقوا ما ورد فيه . وهذا يجعل كل من لديه عقل يوءمن بالكتب السماوية ، لضرورة وجودها للحفاظ على المنهج الرباني .

إضافة إلى ذلك فإن الحكمة تقتضي أن يخص الله من البشر شخصاً يحمل على عاتقه مسؤولية إيصال هذا المنهج الرباني إلى الناس ، وإيفاحه لهم ، حتى يلمس البشر إمكانية تطبيق هذا المنهج الرباني بصورته الكاملة النموذجية ، فإنه لا بد أن يقوم بتنفيذه على الوجه الذي مدرمته عز وجل رجل منهم يحس كما يحسون . ويألم كما يألمون . ويتعب كما يتعبون . يمرض كما يمرضون . الخ . وهنا تبرز ضرورة الإيمان بالرسول . وللعقل أن يتساءل ماذا بعد الإيمان بالرسول ، والسير وفق المنهج الذي رسمه الله للإنسان في حياته . ماذا بعد ذلك ؟ وما الفرق بين من التزم بهذا المنهج وجاهد نفسه ورغباتها ، وأطاع الله ، وبين من لم يلتزم بهذا المنهج الرباني ، وعصى الله ؟ وفي وسط هذه التساؤلات ، يأتي ركن الإيمان باليوم الآخر ، موضحاً أن هناك حياة أخرى غير هذه الحياة التي يحيها الإنسان ، يثاب فيها الملتزم على التزامه بمنهج الله ورفضه ما سواه ، ويعاقب فيها العاصي لأوامر الله كما قال أحكم الحاكمين : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسَ

أَشْتَاتًا يُبْرَوْنَ أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ \* (١)

ثم إن العقل البشرى بعد أن يقتنع بكل ما سبق ، قد يمنعه من الإيمان بما سبق ذكره من أركان ، وجود قوة أرضية متسلطة ، كحاكم قاهر .. أو صاحب عمل متسلط .... إلخ ، يخافه على نفسه ، أو قوته ، إذا هو آمن بالأركان السابقة وهنا يبرز ركن الإيمان بالقدر مبيناً للإنسان أن ما قد يصيبه من مصائب في حياته قد سجلت في كتاب عند الله قبل أن يخلق الخلق كما قال تعالى:

\* مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا وَإِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ \* (٢) فيعلن الإنسان إيمانه لا يخاف إلا الله .

يتضح مما سبق ذكره التسلسل المنطقي للإيمان بأركان الإيمان وفق الترتيب الآتي :

الإيمان بالله ... الإيمان بالملائكة ... الإيمان بكتب الله ... الإيمان بالرسول ... الإيمان باليوم الآخر ... الإيمان بالقدر . إلا أن هذا الترتيب ليس إلزامياً ، ففي قوله تعالى : \* لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ \* (٣) الآية ورد ذكر اليوم الآخر بعد ذكر الركن الأول مباشرة . إلا أن هذا لا يمنع من وجود تسلسل منطقي أيضاً في ذلك . ويمكن توضيحه بصورة موجزة فيما يلي :

الإيمان بربوبية الله تعالى وواحدانيته يقع في المرتبة الأولى ، فهو الركن الأول من أركان الإيمان . ثم يأتي بعد ذلك ما يلزم عن حكمة الخالق من خلق هذا الكون وأنه لم يخلقه عبثاً ، وهذا يهدى العقول إلى معرفة أن الإنسان بكل ما وهبه الله من خصائص إنما خلق للابتلاء ، وأن هذا الابتلاء يستلزم وجود قانون الجزاء . وبما أن هذه الحياة الدنيا هي الزمن المخصص لهذا الابتلاء فلا بد من حياة أخرى يكون فيها الجزاء الأمثل كما قال تعالى : \* وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْأَلُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا

(١) سورة الزلزلة : آية ( ٦ - ٨ )

(٢) سورة الحديد : آية ( ٢٢ ) .

(٣) سورة البقرة : آية ( ١٧٧ ) .

بِالْحُسْنَى \* (١) وهذا يقود العقل إلى الإيمان باليوم الآخر . ثم إن الابتلاء  
 الأمثل يقتضى بيان مواده حتى يكون الإنسان على علم بهذه المواد فيها لك  
 من هلك عن بينه . (٢) لذا فإنه لابد من وجود وسيلة تنقل هذه المواد من الله  
 سبحانه وتعالى إلى الإنسان لأنه لا يمكنه الاتصال مباشرة بالله ، وهنا لابد من  
 الإيمان بوساطة الرسل من الملائكة ، ثم إنه من تمام الحكمة أن يكون هناك  
 شخص مسؤول تقع على عاتقه مسؤولية تلقى هذه المواد من الملائكة وبيانها  
 للناس وتمثيلها في سلوكه ليكون قدوة لهم ، وهذا كله يفتح آفاق الفكر إلى  
 قبول ركن الإيمان بالرسل .

مما سبق يلاحظ أنه ليس من الضروري بعد الإيمان بالله باعتباره الركن  
 الأول من أركان الإيمان، الإيمان بالأركان الخمسة الباقية وفق ترتيب معين ، لأن الهدف  
 هو الإيمان بها جميعاً . والغاية من عرض التسلسل المنطقي السابق هو بيان  
 أنه يمكن للعقل منطقياً قبول الإيمان بأركان الإيمان جميعها وفق أى ترتيب  
 ذكرت به .

==

(١) سورة النجم : آية ( ٣١ ) .

(٢) عبدالرحمن حسن حينكه الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها ، دمشق : دارالقلم

## أهمية الإيمان :

تكمن أهمية الإيمان في أنه الأساس الذي تقوم عليه حياة الأفراد والجماعات المؤمنة . فبه يحافظ الإنسان على سلامة فطرته ، وفي ظله يعيش المؤمن متحرراً من العبودية والذل والخضوع لأي مخلوق من المخلوقات في هذا الكون ، لأنه متجه بأعماله وأفعاله وأقواله إلى خالق هذا الكون ومبدعه سبحانه عز وجل .

وعلى أساسه تقوم العلاقة الصحيحة بين الإنسان والكون من حوله فهو الذي يوجه العقل للتفكير في دقة مافي الكون للاستدلال على عظمة خالقه ، ويعينه على استثمار مافيه ، وعلى الكشف والبحث والتعرف على مافيه من أسرار . فهو المحرك والموجه للطاقات الإنسانية للعمل في طريق البناء والإنتاج . وهو أساس سلوك الفرد وأخلاقياته مع نفسه ومن حوله ، وهو الموجه لها في الطريق الذي يحقق له في النهاية رض الله . وهو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي . فمنه تستمد القوانين ، وفي ضوئه تخطط المشاريع ، ومن خلاله تقام العلاقات .

وهو الشرط الأساسي لقبول أعمال الإنسان ووزنها في ميزان الله سبحانه وتعالى ، لقوله عز وجل : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ (١) وذلك لأن أعمالهم لم تقم على الإيمان الذي يجعل العمل متجهاً لغاية كبرى وهدف عظيم وهو ثواب الله في الآخرة .

==

(١) سورة الكهف : آية ( ١٠٥ ) .

### " تربية الإيمان بالأحداث "

قبل التحدث عن التربية بالأحداث وهي الوسيلة القرآنية للتربية التي أنا بصدد دراستها في هذا البحث ، وبيان كيفية استخدامها في تربية المجتمع الإسلامي الأول تربية إيمانية ، يجدر أن ألقى الضوء بشكل موجسـر وسريع على بعض الوسائل التربوية التي استخدمتها التربية القرآنية في تربية الناس تربية إيمانية ، ومن هذه الوسائل : ( العقل .. الحواس .. الأمثال ) والذي دفعني إلى ذكر بعض وسائل التربية القرآنية الإيمانية ، هو من جهة بيان أن التربية القرآنية لم تقتصر على وسيلة واحدة ، وإنما استخدمت وسائل تربوية متنوعة في تربيتها للناس ، ومن جهة أخرى توضيحاً متمساز به وسيلة التربية بالأحداث عن الوسائل التربوية الأخرى المستخدمة ، لأنها إضافة إلى تضمنها لأكثر من وسيلة من الوسائل ، انفردت عن الوسائل الأخرى في التربية باستغلالها لحالة الانصهار النفسي الذي يكون فيه الأفراد عند وقوع الحادثة ، فتطبع في ذلك الوقت ما تريد أن تطبعه من توجيهات فلا يزول أثرها أبداً .

ولكى لا يكون الكلام عن الوسائل السابق ذكرها من غير دليل فقد تم الاستشهاد بنماذج من الآيات القرآنية التي تبين كيفية استخدام التربية القرآنية لكل وسيلة على حدة .

إلا أنه نظراً لضيق وقت البحث فسوف أقصر على بيان كيفية استخدام كل وسيلة من الوسائل السابقة في تربية ركني الإيمان بالله واليوم الآخر فقط ، وذلك لأن الإيمان بالله هو الركيزة الأساسية من ركائز الإيمان فلا يقبل إيمان الشخص بأى ركن من أركان الإيمان ما لم يتقدمه الإيمان بالله ، كما أن الإيمان بالله هو الدافع والموجه للإيمان بأركان الإيمان الأخرى ، فالإيمان بالله يستلزم الإيمان بالرسول لأنهم المبلغون عن الله ، وبالملائكة لأنهم الوسطاء بين الله ورسوله ، والإيمان بالكتب الإلهية لأنها كلام الله وأوامره ونواهيه ، وبالقدر لأنه أمر الله النافذ فيه ، والإيمان بذلك كله من أجل هدف واحد وهو الفوز

باليوم الآخر .

وفيما يلي عرض موجز لوسائل التربية الإيمانية السابق ذكرها .

### أولا : العقل :

العقل هو المصدر الثانى من مصادر المعرفة فى الإسلام بعد الوحي، وهو من أكبر الطاقات الموجودة فى الإنسان والتي أنعم بها الله عليه ، والتي يمكن أن يستغلها فى مجالات عديدة متنوعة ، لذلك فان التربية القرآنية استغلت هذا العقل فى تربية صاحبه تربية إيمانية ، فتكرر فى القرآن الكريم ذكر مجالات استخدام العقل كقوله تعالى : ( ... يعقلون ... يتفكرون ... يتدبرون ... يوقنون ... يفقهون ) .

والمجالات التي استخدمت فيها التربية القرآنية العقل لتربية النفوس على الإيمان بالله وحده عديدة، منها التفكير فى الكون حيث عنيت التربية القرآنية بذكر مشاهد الكون عناية كبيرة ، وأشادت بها وكررت عرضها ، وبينت أن الهدف من ذكرها هو دعوة الإنسان إلى استعمال عقله فى التفكير والتدبر ليصل من وراء ذلك كله إلى الحقيقة الكبرى فى هذا الوجود وهو الله ، ثم الإيمان به . وفى ذلك يقول سيد قطب : " القرآن يتخذ من أيسر المشاهدات المألوفة للبشر مادة لبناء أفخم عقيدة دينية وأوسع تصور كونى" (١) ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٢٧ . ص ٣٤٦٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ( ١٦٤ ) .

كما أن التربية القرآنية تدفع العقل للتفكر فى أكبر حقيقة ،  
 وإلى البحث فى أكبر قضية ، وذلك حين تدعوه إلى الإجابة عن أسئلة تدور حول  
 الخلق فى أكثر من موطن . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ  
 هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَآيُوقِنُونَ ﴾ (١) . فبمجرد توجيه هذا  
 السؤال إلى العقل الإنسانى وتأمله له يقوده للإيمان بالله ، فهو لم يـدع  
 أن الإنسان خلق نفسه بنفسه ، ولا يمكن أن يقبل أن خلقه وما فيه من إعجاز ،  
 وهذا الكون وما فيه من دقة ونظام وجدها هكذا من غير موجد . وهذا يقود بالتالى  
 إلى الإيمان بالله وحده . وهذا بالفعل ما حدث مع جبير بن مطعم رضى الله عنه  
 فقد كان مشركاً وآمن عندما سمع هذه الآية وعقلها . (٢)

كذلك عملت التربية القرآنية على تبسيط عملية البعث بعد الموت  
 وتقريبها للعقول لتربيتهم من خلال ذلك على الإيمان باليوم الآخر . وذلك بعرض  
 مشاهد يمرون عليها يومياً ومنعتهم الألفة من التفكير فيها ، ومن ذلك النوم الذى  
 يشبه الموت فى بعض صورته لما يطرأ على الإنسان خلاله من سكون العقل وركود  
 الحواس وسبات الوعى وتعطل المصالح . فالقادر على إرجاع هذه الحياة إلى ذلك  
 كله عند الاستيقاظ ، لابد أن يكون قادراً على إعادة الحياة للإنسان بعد موته ،  
 ويقول جل جلاله مقراً ذلك : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ  
 ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤)

ثانياً: الحواس :

الحواس الموجودة فى الإنسان كحاسة السمع .. البصر .. الذوق ..  
 الشم .. اللمس .. ورد ذكرها فى آى القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى:

(١) سورة الطور : آية ( ٣٥ - ٣٦ ) .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٢٤٤ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٧ . ص ١١٢١ .

(٤) سورة الأنعام : آية ( ٦٠ ) .

\* وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* (١) وقوله جل جلاله : \* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ  
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ \* (٢)

فيتضح من ذلك أهمية الحواس لأنها أداة من الأدوات الموصلة إلى المعرفة . وبما أن أولى المعارف التي يجب على الإنسان أن يعرفها هي معرفة الله سبحانه وتعالى ، فإن التربية القرآنية تدعو الإنسان دائماً إلى استخدام حواسه في الوصول إلى هذه المعرفة ، ومن ثم تنكر على من عطل حواسه ولم يستخدمها في الوصول من خلالها إلى خالقه ثم الإيمان به ، وتشبيهه بالأنعام لأن من أبرز الفوارق بين الإنسان والحيوان نمو الحواس لدى الإنسان نمواً يعين على الإدراك والتفكير والربط والاستنتاج ، ومن ثم سلوك الطريق المستقيم . بخلاف الأنعام التي تستغل حواسها في التمتع المادي فقط ، وفي هذا يقول تعالى :  
\* وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ  
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ  
الْعَافِلُونَ \* (٣)

والتربية القرآنية لا تقتصر على التوجيه العام للحواس ، وإنما دعت الإنسان إلى استخدام حواسه في مجالات محددة ، يجدها أمامه ويمر عليها ليتفكر ويتدبر فيها ، ويصل منها إلى الإيمان بموجودها سبحانه وتعالى ، ومن ذلك قوله تعالى : \* أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ  
وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ \* (٤)

فمن المعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وأول من دُعي إلى الإيمان به هم العرب . فلا عجب إذاً ، إن جمعت الآية السابقة جميع المشاهد التي يمكن أن يلمسها الأعرابي ويقع عليها نظره في جلسة واحدة من الجلسات التي يخلو فيها لنفسه ، فإذا نظر أول ما ينظر يجد أمامه إبله التي

(١) سورة النحل : آية ( ٧٨ ) .

(٢) سورة المؤمنون : آية ( ٧٨ ) .

(٣) سورة الأعراف : آية ( ١٧٩ ) .

(٤) سورة الغاشية : آية ( ١٧ - ٢٠ ) .



يعلم عن أسرار خلق الله فيها ما لا يعلمه غيره . وإذا ما رفع نظره عن إبله وصدق به إلى أعلى وجد سماء عالية رفعت دون عمد ، ومع ذلك فهي باقية وثابتة على ارتفاعها هذا ، لاتميل ولا تقع ، مع استحالة وقوع هذا الأمر لأبسط الأشياء في حياته . وإذا تلفت يميناً وشمالاً لا يرى إلا جبلاً راسخاً لاتميل ولا تنزل ولو تعرضت لأعتى الرياح . وإذا رد بصره إلى أسفل وجد أرضاً ميسوطة ممهدة للحياة والسير والعمل عليها . كل هذه الأمور توصل من نظر إليها نظرة تفكر وتأمل إلى الإيمان بوجود قوة خالقة أوجدتها في الكون ومنحتها تلك الخصائص .  
(١)

وهكذا استغلت التربية القرآنية مافى الكون من مشاهد لتربي الناس من خلالها على الإيمان بالله وحده .

كذلك استغلت التربية القرآنية الحواس لتبرهن للإنسان على

إمكانية البعث بعد الموت ، وتدفعه للإيمان به ومن ثم الإيمان باليوم الآخر، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ، فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ . فوجه الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات نظر كل من ينكر اليوم الآخر إلى أصل نشأته مِمَّ تكون وكيف صار، فالسدى حول ذلك الماء الذى لا إرادة له ولا قدرة ، إلى إنسان معقد التركيب . . متكامل الأجزاء . . مكتمل القدرة . . ألا يستطيع أن يعيد هذا الإنسان بعد موته وفناء جسمه ؟ بلى ، لأن القدرة التى حولت ذلك الماء الدافق إلى إنسان معجز لا بد أن تكون قادرة على إعادته متى شاءت .  
(٢)

(١) على عبد المنعم عبد الحميد : الإيمان كما يصوره الكتاب والسنة .

الكويت : دار البحوث العلمية . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . ص (١١٥)

(٢) سورة الطارق : آية ( ٥ - ١٠ ) .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن : مرجع سابق . ج ٣٠ . ص ص

فالتربية القرآنية تستشهد بهذا الواقع المحسوس لديهم على إمكانية حدوث البعث في اليوم الآخر، ذلك الغيب المجهول زمن حدوثه، لتربيتهم من خلال ذلك على الإيمان الآخر. وهى بالتالى تستنكر على كل من عطل حواسه ولم يستخدمها في الاستدلال على إمكانية البعث ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَدْرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

ثالثا : الأمثال :

استخدمت التربية القرآنية الأمثال لتربية الجانب الإيماني لدى البشر، لما لها من أثر في تقريب المعنى المقصود إلى الأذهان، فتشبيه القبيح بشيء معروف قبحه، يشير في النفس ويوقع في القلب التقبيح والاحتقار لذلك الشيء والتنفير منه بدرجة أبلغ مما لو ذكر القبح كحقيقة مجردة عن التمثيل .

كما أن تمثيل الحسن وتشبيهه بشيء مألوف حسنه يثير في النفس الارتياح لذلك الشيء والرغبة فيه والإقبال عليه، بدرجة أكبر مما لو ذكر الحسن مجرداً عن التمثيل. كما أن عملية الربط بين أوجه التشابه والاختلاف بين المشبه والمشبه به يساعد على أعمال العقل وتربيته على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم وفي ذلك يقول الفخر الرازي :

" أن المقصود من ضرب الأمثال أنها توءر في القلوب ما لا يوءر في نفسهم، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفى بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويهير الحس مطابقاً للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح " (٢)

والأمثلة التي استخدمتها التربية القرآنية لتربية الناس من خلالها على الإيمان بالله وحده عديدة منها قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَئِن كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)

تعمل هذه الآية على تربية جانب الإيمان بالله وحده، لأن تمثيل الذين يعبدون من دون الله أولياء بالعنكبوت التي تعتمد على أوهن البيوت يثير في النفس الاحتقار

(١) سورة الأحقاف : آية (٣٣) .

(٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير، مرجع سابق . ج ٢ . ص ٧٢ .

(٣) سورة العنكبوت : آية (٤١) .

والتقزز من هو إلا الناس ، ومن كل من سار على طريقهم في أى زمان ومكان ، والشعسور  
بضعفهم وضلالهم وعجزهم عن اختيار الطريق السليم ، مهما بلغوا من القوة  
المادية . كما أن تمثيل من يعبدون من دون الله ببيت العنكبوت يشعر الإنسان  
بمدى ضآلة وضعف وعجز هو إلا الأولياء وعدم استحقاقهم للعبادة .

وكما استخدمت التربية القرآنية الأمثال لتربية الناس على الإيمان  
بالله وحده ، استخدمتها أيضاً في تربية جانب الإيمان باليوم الآخر في النفوس  
ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزْنَةٌ  
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ  
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُمَصَّرًا ثُمَّ  
يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (١)

- تعمل هذه الآية على تربية جانب الإيمان بالحياة الآخرة لدى الناس، عن طريق تعظيم  
أمرها، وتحقيق أمر الحياة الدنيا لمن اغتربها وركن إلى نعيمها وانصرف عن طاعة الله  
وعمارتها على الوجه الذى أراه الله من عدة وجوه ، أهمها :
- وصف الحياة الدنيا باللغو واللعب والتفاخر يقلل من شأنها فلن تكون جديرة بالتمسك بها .
  - تمثيل الدنيا بالغيب بيان لعدم بقائها أو استقامة حالها .
  - تمثيل الدنيا بالنبات الذى اصفر بعد أن كان مخضراً يدل على قصر الدنيا  
وزوالها .
  - تعقيب ذلك التمثيل ببيان حال الحياة الآخرة ، واختلافها عن الحياة الدنيا،  
فهى إما عذاب دائم ، أو نعيم مقيم ، فيه تعظيم لشأنها ، لتتم المقارنة  
بين الحياتين فمن أراد النعيم الزائل ثم العذاب الشديد فليعمل له ، ومن  
أراد النعيم المقيم والرضوان الدائم فليعمل له .

وبعد أن تم بشكل موجز عرض بعض وسائل التربية الإيمانية ، أخصص  
ماتبقى من هذا الفصل للتعرف بشيء من التفصيل على وسيلة التربية بالأحداث  
وكيف تم عن طريقها تربية كل ركن من أركان الإيمان الستة ( الإيمان بالله  
..... الملائكة ..... الكتب الإلهية ..... الرسل ..... اليوم الآخر .....  
القدر ) .

وسأبدأ أولاً بركن الإيمان بالله .

==\*==

" تربية الإيمان بالله بالأحداث "

الإيمان بالله هو :

" الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه،  
وأنه الخالق الرازق المحي المميت، وأنه المستحق  
لأن يفرد بالعبودية والذل والخضوع وجميع أنواع  
العبادة، وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه من  
كل عيب ونقص ". (١)

وبذلك يمكن القول أن الإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور :

- توحيده بالربوبية .
- توحيده بالالوهية .
- توحيده بأسمائه وصفاته .

وإلى هذه الأنواع الثلاثة المتلازمة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين  
الذين جاءوا به من عند الله ، ولا بد لكمال إيمان الشخص أن يأتي بها جميعاً .  
(٢)

والإيمان الكامل بالله يورث حبه في القلب ، ذلك الحب الذي عبر عنه

عمار بن ياسر بقوله :

" اللهم إنه لو أعلم أنه أرضى لك عنى أن أرمى بنفسي  
من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت ، ولو أعلم  
أنه أرضى لك عنى أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها  
فعلت ، اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عنى أن ألقى  
نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت ، فإني لا أقاتل  
إلا أريد وجهك ، وأنا أرجو أن لاتخبيني ، وأنا  
أريد وجهك ". (٣)

(١) عبد العزيز السلطان : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية . المملكة العربية

السعودية : إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

ط ١١ . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب

التوحيد . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة . د . ت . ص ١٧ .

(٣) ابن سعد ( محمد بن سعد بن منيع البصري : الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر

د . ت . ج ٣ . ص ٢٥٨ .

والمؤمن بالله يكسبه إيمانه الصبر والقوة والقدرة على تحمل الأذى مهما بلغ، ومن ذلك ما لاقاه بلال بن رباح رضي الله عنه على يدي بنى جُمح ليفتنوه ويردوه عن إيمانه بالله . فقد كانوا يبطحونه على الرمضاء في حر مكة ثم يلقون على بطنه صخرة عظيمة ، وكانوا يلبسونه في ذلك الحر الشديد درع حديد ويضعون في عنقه حبلاً ويسلمونه إلى الصبيان يطوفون به . وهو مع ذلك صابر يردد قوله أحد . . أحد معلناً بذلك أن أي ألم يهون في سبيل الحصول على (١)  
رضى الله .

والإيمان بالله يجعل المؤمن حريصاً على الاحتكام إليه والالتزام بمنهجه، ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه عند بيعته: " . . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم " . (٢)

كما أن الإيمان بالله يدفع إلى الحكم بالعدل ، والخوف من الظلم ، وقد بلغ من حرص الصحابة على ذلك ما ذكره ابن سعد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال:

" كان عمر إذا أتاه الخصمان برك على ركبتيه وقال:  
اللهم أعني عليهما فإن كل واحد منهما يريد نى  
عن ديني . . ( وكان يقول ) : أيما عامل لي ظلم  
أحداً فبلغتني مظلّمته فلم أغيرها فأنا ظلمته " (٣)

واستقرار الإيمان بالله في قلب الإنسان يجعله يرخص في سبيل رفع كلمته والحصول على رضاه كل ما يملك وأغلى ما يملك ، فالخنساء التي لم يحتمل قلبها موت أخيها وبكته كأشد ما يبكي المرء عزيزاً له حتى إنها قالت :  
(٤)  
" ولولا كثرة الباكين حولي على إخوتهم لقتلت نفسي "

- 
- (١) ابن حزم ، على بن أحمد بن سعيد : جوامع السيرة " وخمس رسائل أخرى لابن حزم " . تحقيق إحسان عباس ، ناصر الدين الأسد . مصر : دار المعارف . د . ت . ص ٥٤ .
- (٢) ابن هشام : عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية . مرجع سابق . ج ٤ . ص ١٧٧ .
- (٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢٨٩ - ٣٠٥ .
- (٤) أحمد الهاشمي : جواهر الأدب في انشاء أدبيات لغة العرب . مصر : مطبعة السعادة . ج ٢ . ص ١٩٥ .

تدفع بأبنائها الأربعة للقتال في سبيل الله ، فيقتلون جميعهم في معركة القادسية ؛ ولما بلغها خير مقتلهم ، لم تدمع لها عين وإنما قالت : " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته " .<sup>(١)</sup>

والإيمان بالله يجعل المؤمن قوياً على الشيطان ، مستهيناً بالديسا ، راغباً عن زينتها طالباً رضي الله . ومن ذلك ما حدث مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما أخذ الرأية في غزوة موته ، حيث " جاءه الشيطان فمناه الحياة الدنيا وكره له الموت فقال : الآن حين استحکم الإيمان في قلوب ، المؤمنين تمنينسى الدنيا ؟ ثم مضى قدماً حتى استشهد " .<sup>(٢)</sup>

إضافة إلى ذلك فإن المؤمن بالله يحب الجهاد في سبيله والاستشهاد في سبيل إعلاء كلمته ، ومن ذلك ما قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه : " ما ليلة يهدى إلى فيها عروس ، أو أبشر فيها بسلام ، بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو " .<sup>(٣)</sup> وقد بلغ من حرص المؤمنين على القتال والقتل في سبيل الله ونيل مرضاته ما ذكره سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال :

" قعدت أنا وعبد الله بن جحش صبيحة يوم أحد  
نتمنى فقلت : اللهم لقني من المشركين رجلاً عظيماً  
كفره شديداً حرداً\* فيقاتلني فأقتله ... ، فقال عبد  
الله بن جحش : اللهم لقني من المشركين رجلاً عظيماً  
كفره شديداً حرده فأقاتله فيقتلني .. ويسلبني ثم  
يجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك فقلت ، يا عبد الله  
بن جحش فيم جدعت ؟ قلت : فيك ياربى " .<sup>(٤)</sup>

فالإيمان بالله يجعل صاحبه شجاعاً ، يستمدعزمه من إيمانه ، وقوته من يقينه بنصر الله ، ومن الأمثلة على شجاعة المؤمنين وتفانيهم في القتال

(١) ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد : الاستيعاب في معرفة الأصحاب

تحقيق علي بن محمد البجاوي . القاهرة : مكتبة نهضة مصر . د .

ت . ج . ٤ . ص ١٨٢٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٣٧ - ٣٨ .

(٣) ابن كثير ، اسماعيل : البداية والنهاية . بيروت : مكتبة المعارف . ١٩٦٦ م .

ج ٧ . ص ١١٤ .

(\*) الحرد : الغيظ الشديد .

(٤) ابن حزم : جوامع السيرة " وخمس رسائل أخرى لابن حزم " . مرجع سابق . ص ١٦٧ .

فى سبيل الله ، قصة ابنى عفراء التى رواها عبدالرحمن بن عوف بقوله :

" إني لفي الصف يوم بدر إذا التفت فإذا عسى  
يميني وعن يساري فتیان حديثا السن فكأنى لم آمن  
مكانهما ، إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه : يا عم  
أرى أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخى ماتصنع به ؟  
قال : عاهدتُ الله إن رأيتَه أن أقتله أو أموت  
دونه . فقال لى الآخرُ سراً من صاحبه مثْلَهُ . . . .  
فأشرتُ لهما إليه فشداً عليه مثل الصقْرين حتى  
ضرباه " . (١)

والإيمان بالله يورث فى قلب صاحبه حب الاستعلاء على زخارف الدنيا  
وزينتها ، وعدم الخضوع إلا لله سبحانه وتعالى ، ومن ذلك ما فعله  
ربعى بن عامر عندما دخل على رستم قائد الفرس قبيل غزوة القادسية ، فلم  
يبهره مافى مجلس رستم من نمارق وزينة وجواهر ، ولم يعرها أى اهتمام ، بل  
على العكس من ذلك دخل بفرسه القصيرة دائساً بها تلك الزينة ، وربطها بأحدى  
الوسائد مبرزاً بذلك عدم اكتراثه أو اهتمامه بكل ما حوله من زينة الدنيا ، بل  
وأكثر من ذلك رفض أن يضع سيفه وفرسه عندما طلبوا منه ذلك ، قائلاً لهم :  
" إني لم أتكلم وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت "  
فلم يملك رستم أمام هذه القوة المستعلية بنفسها إلى أن يسمح له بالدخول  
ليسمع وجهة نظره وليكتشف سر هذا الاستعلاء فى النفس رغم ما يرتديه صاحبها من  
ملابس رثة . فقال له : ( ماجاء بكم ) ؟ فجاءت الإجابة على هذا السؤال مبرزة  
حقيقة الإيمان الذى استمد منه قوته واستعلاءه على ما حوله . رد عليه ربعى بن  
عامر بقوله :

" الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد  
إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .  
ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه

(١) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٥ . كتاب المغازى . باب قصة



إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منسه  
ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى  
إلى موعود الله . قال : وما موعود الله ؟ قال :  
الجنة لمن مات على قتال من أبى " (١) .

والإيمان بالله يقوى روابط الأخوة بين المؤمنين ، فعندما آخى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ربيع الأنصاري رضي الله  
عنهما ، قال سعد : " آخى! أنا أكثر أهل المدينة مبالاً ، فانظر شطر مالى فخذهُ ،  
وتحتى امرأتان ، فانظر آيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك " . (٢)

والإيمان بالله يوقظ الضمير ، ويجعل الإنسان رقيباً على نفسه ، لائماً  
لها ومحاسباً لها على كل زلة ، حريماً على عدم وقوعها فيما يغضب الله ، وإذا  
ما حدث أن ضعفت هذه النفس أمام شهوة من الشهوات واقترفت مالا يرضى الله  
عنها فى غفلة عن البشر ، ودون أن يطلع عليها أحد ، لايهنأ المؤمن ولا يقر بالله  
حتى تقام عليه العقوبة المستحقة فى الدنيا ، خوفاً من عقوبة الله له فى  
الآخرة ، حتى ولو كانت هذه العقوبة هى إزهاق روحه ، ومن ذلك مارواه مسلم حيث  
قال :

" جاء معز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم فقال : يا رسول الله طهرنى ، فقال : ويحك  
ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، قال : فرجع غير  
بعيد ثم جاء فقال : يا رسول الله طهرنى ، فقال  
رسول صلى الله عليه وسلم : ويحك ارجع فاستغفر  
الله وتب إليه ، قال : فرجع غير بعيد ثم جاء  
فقال : يا رسول الله طهرنى فقال النبي صلى الله عليه  
وسلم مثل ذلك ، حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : فيم أظهرك؟ فقال :  
من الزنى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بجنون ، فقال : أشرب  
خمرأ؟ فقال رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر ،

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . مرجع سابق . ج ٧ . ص ٣٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢٦ .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
أزنييت فقال : نعم ، فأمر به فرجم " (١).

هكذا يفعل الإيمان بالله وتوحيده في نفوس من آمنوا . لذا فقد حرصت  
التربية القرآنية على تربية الإيمان بالله وحده في نفوس الناس من خلال  
تربيتهم على توحيده وسأذكر في الصفحات القادمة نماذج من الأحداث التي توضح  
كيف استغلت التربية القرآنية الأحداث الجارية في المجتمع في تربية كل نوع  
من أنواع التوحيد مبتدئة بتوحيد الربوبية .

---

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١١ . كتاب الحدود .  
باب حد الزنا . ص ١٩٩ - ٢٠١ .

## النموذج الأول

" تربية توحيد الربوبية بالأحداث "

توحيد الربوبية :

" هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه ، وأنه المحي المميت ، النافع الضار ، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذى له الأمر كله وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء وليس له فى ذلك شريك " . (١)

والمشركون كانوا مقرين بهذا النوع من أنواع التوحيد، وقد أخبر الله

عن ذلك فى أكثر من موطن من كتابه الكريم ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (٢)

وعلى الرغم من إقرار المشركين بتوحيد الربوبية ، والذى يشتمل فيما

يشتمل عليه الإقرار بأن الله وحده هو منزل المطر، كما قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٣) ، إلا أنهم فى بعض المواقف قد يكذبون

وينكرون هذا الإقرار ، إذا أدركوا أن إقرارهم هذا يكون حجة عليهم فى تكذيبهم للنبي محمد عليه الصلاة والسلام وعدم إقرارهم برسالته . لذلك كان الناس بحاجة إلى تربية توحيد الربوبية فى نفوسهم .

وبما أن صحة توحيد الربوبية هى الأساس القائد لصحة توحيد الألوهية ،

والدليل على ذلك ما حصل مع عكرمة بن أبى جهل وأخبر عنه ابن كثير فى تفسيره

(١) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد فى شرح

كتاب التوحيد . مرجع سابق . ص ١٧ .

(٢) سورة الموءنون : آية ( ٨٤ - ٨٩ ) .

(٣) سورة العنكبوت : آية ( ٦٣ ) .

بقولسه :

" ذهب فاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة ، فذهب هارباً فركب فى البحر ليدخل الحبشة ، فجاءتهم ريح عاصف ، فقال القوم بعضهم لبعض إنه لا يغنى عنكم إلا أن تدعوا الله وحده ، فقال عكرمة فى نفسه والله إن كان لا ينفع فى البحر غيره فإنه لا ينفع فى البر غيره ، اللهم لك على عهد لن أخرجتنى منه لأذهبن فلاضعن يدي فى يسد محمد فلاجدنه رءوفاً رحيماً . فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه " . (١)

لذا فقد حرصت التربية القرآنية على تصحيح توحيد الربوبية وتعميقه فى نفوس الناس ، ومن ذلك قوله تعالى :

\* فَلَا أُقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْءٌ أَنْ كَرِيمٌ . فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ مُكْذِبُونَ \* (٢)

أقسم الله تعالى فى الآيات السابقة بمواقع النجوم لعظمتها ، وجواب القسم هو القرآن الكريم ، وذكر ابن كثير أن العلماء اختلفوا فى المقصود بمواقع النجوم ، فمنهم من قال: إن النجوم نجوم القرآن ، ومواقعها هى أوقات نزولها ، ومنهم من قال: إن المقصود بالنجوم مساقط الكواكب ومغاريبها ، واختصت بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير يتحكم بحركتها تلك ، ومنهم من قال : إن المراد هو انتشارها يوم القيامة ، ومنهم من قال: هى الأنواء التى كانوا فى الجاهلية إذا مطروا يقولون مطرنا

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٣ . ص ( ٥٠ ) .

(٢) سورة الواقعة : آية ( ٧٥ - ٨٢ ) .

بنوء كذا (\*) (١) . وهذا المعنى الأخير هو أكثر المعاني ارتباطاً بسبب نزول هذه الآيات ، والذي سيرد ذكره إن شاء الله في السطور القادمة .

ثم وصف سبحانه وتعالى القرآن بما يدل على جلالة شأنه ، وعزة مكانه ، واشتماله على ما فيه تزكية النفوس ، وتحليتها بما يوجب كمالها من العقائد الحقة ، فهو ليس كما يقولون سحر أو كهانة أو شعر ، بل هو الحق الذي لا مزيد عليه . مصون عن التبديل والتغيير ، لا يمسه إلا المظهرون الذين قيل: إنهم الملائكة ، وقيل الطاهرون من الأحداث والأنجاس . ثم قال سبحانه : أفبهذا القرآن الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لتعظيمه أنتم مدهنون أي متهاونون أو مكذبون ، لأن التكذيب من فروع التهاون **يُوتَجَلُونَ رِزْقَكُمْ** \* أي شكركم **﴿ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ ﴾** \* تقولون إذا مُطَرْتُمْ مُطَرْنَا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا . (٢)

وذكر الألوسي في تفسيره أن المقصود هو بيان نوع من التكذيب بالقرآن المنعوت بتلك النعوت الجليلة ، والمذكور فيه أن المطر من الله سبحانه وتعالى . أي أفبهذا القرآن المشتمل على العقائد الحقة أنتم تكذبون فتسندون إنزال المطر إلى الكواكب ، وقد أرشدكم غير مرة إلى ما يبى ذلك من العقائد

(\*) النوء: فيه كلام طويل لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح وذكره النووى بقوله: "النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب فإنه مصدر ناء النجم فينوء نوءاً أي سقط وغاب ، وقيل: أي نهض وطلع ، وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين ، يسقط في كل ثلاثة عشر ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته ، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونسه إلى الساقط الغارب منها ، وقال الأصمعي: إلى الطالع منها ، وقال أبو عبيد: ولم أسمع أحداً ينسب النوء للسقوط إلا في هذا الموضع ثم أن النجم نفسه قد يسمى نوءاً تسمية للفاعل بالمصدر ، قال أبو اسحاق الزجاج في بعض أماليه : الساقطة في الغرب هي الأنواء والطلالة في الشرق هي البوارح والله أعلم .

( أنظر النووى في صحيح مسلم بشرح النووى . ج ٢ . باب بيان كفر من قال مُطَرْنَا بالنوء . ص ٦١ ) .

- (١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .  
 (٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٧ . ص ٢٢٤ - ٢٢٩ .

(١) وهذاكم إلى أنه تعالى هو المنزل للمطر لا الكواكب ولا غيرها.

وقد ذكرت أكثر من رواية في الحادثة التي كانت سبباً في نزول الآيات

السابقة ، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس حيث قال :

" مُطِرَ النَّاسَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ  
شَاكِرٍ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ ، قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَقَالَ  
بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : فَنَزَلَتْ هَذِهِ  
الْآيَةُ ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ وَتَجْعَلُونَ  
رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ " . (٢)

وأضاف الواحدى إلى ذلك قوله :

" روى (\*\*) أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر  
فنزلوا وأصابهم العطش وليس معهم ماء ، فذكروا  
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : أرايتم إن  
دعوت لكم فسقيتم فلعلكم تقولون سقينا هذا المطر  
بنوء كذا . فقالوا : يارسول الله ما هذا بحيسن  
الأنواء ، قال : فصلى ركعتين ودعا الله تبارك  
وتعالى فهاجت ريح شم هاجت سحابة فمطروا حتى سألت

(١) الألوسى البغدادي : روح المعاني . مرجع سابق . ج ٢٧ . ص ١٥٢ - ١٥٨ .  
(\*) ذكر الإمام النووى فى شرحه لصحيح مسلم ( ج ٢ . ص ٦٢ ) أن الشيخ أبو  
عمرو رحمه الله قال : " ليس مراده أن جميع هذا نزل فى قولهم  
فى الأنواء ٠٠٠ وإنما النازل فى ذلك قوله تعالى : وتجعلون رزقكم  
أنكم تكذبون والباقي نزل فى غير ذلك ، ولكن اجتمع فى وقت النزول  
فذكر الجميع من أجل ذلك . " دون أن يشير إلى إسم الكتاب الذى  
قال الشيخ فيه ذلك . ثم إن الحديث الذى ذكره الإمام مسلم فى  
متنه يفيد أن الآيات جميعها نزلت فى الأنواء . وسواء كانت الآيات  
جميعها نزلت فى الأنواء أو لم تنزل جميعها فإن هذا لا يوجب على  
ما سنسنبطه من مبادئ تربوية ، لأن الآيات جميعها نزلت فى  
وقت واحد .

(٢) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى . مرجع سابق . ج ٢ . باب بيان كفر من  
قال مطرنا بالنوء . ص ٦١ - ٦٢ .

(\*\*) أسند القرطبي هذه الرواية إلى ابن عباس أيضاً . أنظر القرطبي : الجامع  
لأحكام القرآن . ج ١٧ . ص ٢٩٩ .

الأودية وملأها الأسقية ، ثم مر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم برجل يغترف بقدر له ويقول:  
سُقِينَا بِنُوءِ كَذَا ، وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ  
سُبْحَانَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ **وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ**  
**أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ** \* (١).

وبهذا يمكن ملاحظة أن هناك التقاء بين هذا السبب لنزول الآيات والسبب  
السابق ذكره ، في أن كلاهما يشير إلى أن المطر رزق منزل من الله سبحانه وتعالى،  
ووجود من نسب ذلك إلى الأنواع ، وهذا مما لاشك فيه مرتبط بتوحيد الربوبية  
الذي عملت هذه الآيات على تربيته في نفوس الناس .

وأنا في هذا البحث بصدد التحدث عن الحادثة التي تم ذكرها في السبب  
الثاني لنزول هذه الآيات ، لما فيها من جوانب تربوية عديدة يمكن الاستفادة  
منها في مجال التربية الإيمانية خاصة والتربية عامة ، حيث تم في هذه  
الحادثة استخدام وسائل تربوية متنوعة بالتدرج كالاتي :

أولاً : التربية عن طريق الحوار الجدلي :

الحوار الجدلي هو " حوار يجرى فيه نقاش أو جدل غاية إثبات الحجة  
على المشركين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله وتوحيده " .  
(٢)

فحرص المربي الأول لهذه الأمة عليه الصلاة والسلام على تربية النساس  
تربوية إيمانية جعله ينتهز جميع الفرص لتربية الناس على الإيمان بالله وحده .  
ومن ذلك استخدامه لهذا النوع من أنواع الحوار في الحادثة السابقة ، هذا  
الحوار الذي يعمل تربوياً على تربية العقل على التفكير والتوصل إلى عدة حقائق  
أهمها :

- (١) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٣٠٢ .  
(٢) عبد الرحمن النحلوى : أصول التربية الإسلامية وأساليبها (في البيت والمدرسة  
والمجتمع) . دمشق : دار الفكر . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . ص ٢٠١ .

- إن الذى ينزل المطر هو الله وحده ، لذا قال لهم عليه الصلاة والسلام فى بداية حوارهم معه : ( أرأيتم إن دعوت لكم ) .

- إخلاص العبد فى إيمانه بالله يجعله يثق فى استجابة ربه له ، لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ..... ﴾ الآية (١) . هذه الثقة بالله هى التى دفعت النبى عليه الصلاة والسلام لأن يقول لهم قائل أن يتوجه إلى ربه بالدعاء : ( أرأيتم إن دعوت لكم فسقيتم ) .

- إن من الناس من لم يستقم توحيد الربوبية لـديه ولازالوا سبب الجاهلية مسيطرة عليه لهذا قال عليه الصلاة والسلام : ( فلعلكم تقولون سقينا هذا المطر بنوء كذا ) .

- إن الناس بفطرتهم مقرون بربوبية الله ، وأنه وحده الذى بيده إنزال المطر ، وذلك لأنهم حين أدركهم العطش وظنوا أنهم ملاقوا حتفهم لجأوا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ليدعوا الله لهم ، لما يعلمونه من إيمانه بالله ، ولو لم يكن معهم النبى عليه الصلاة والسلام لاتجهوا بأفئدتهم وألسنتهم إلى الله ، يدعونه الخلاص مما هم فيه من شدة .



إضافة إلى ذلك فإن طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام معهم في الحوار جعلتهم يقرون بأن الوقت الذي تمت فيه الحادثة ليس بوقت أنواء، ليصبح إقرارهم هذا حجة عليهم في حالة تكذيبهم . حيث قال لهم ( أرأيتم إن دعوت لكم فسقيتم فلعلكم تقولون سقينا هذا المطر بنوء كذا . فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الأنواء ) .

ثانياً: التربية بالتجربة :

تم في الحادثة السابقة وبصورة عملية عن طريق التجربة تربية الناس على الإيمان بأن الله وحده هو الرازق ، وأن حركات النجوم وارتباطها بنزول المطر ليس إلا علم من العلوم قد يصدق أو يكذب ، وأن الذي بيده تدبير حركة هذه النجوم وإنزال المطر هو الله وحده جل جلاله وعظم سلطانه .

فعلى الرغم من أنهم اعترفوا بأن ذلك الوقت على حسب علمهم لا يحصل فيه مطر بقولهم لرسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم: ( ما هذا بحين الأنواء )، إلا أنه لم تلبث الرياح أن هاجت وأشارت السحاب ونزل المطر بمجرد صلاة النبي عليه الصلاة والسلام ودعائه ربه . فكانت تلك تجربة واضحة شاهدها كل من حضر هذه الحادثة وسمع مقالتهم .

ثالثاً: التربية بالعقوبة:

على الرغم من نجاح الويلتين السابقتين في التأكيد على أن المطر رزق منزل من الله سبحانه وتعالى ، وجاء نتيجة طلبهم من الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء لهم ، إلا أن بعض أفراد الحادثة قالوا عناداً وتكذيباً : ( سقينا بنوء كذا ) .

وفى هذه اللحظة ، لحظة الجحود والإنكار بعد ثبات الحجة ، تنزلت الآيات القرآنية مستخدمة معهم وسيلة تربوية أخرى تلائم تكذيبهم وعنادهم ، وهى العقوبة . والعقوبة هنا متضمنة فى التوبيخ لهم على تكذيبهم ، ذلك التوبيخ المتضمن فى قوله تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ .

وهذه الوسيلة من وسائل التربية تلجأ إليها التربية الإسلامية فى نهاية المطاف بعد نفاذ الوسائل التربوية الأخرى . فالعقوبة ليست أول خاطر يخطر على قلب المربى ولا أقرب سبيل . والقرآن ملئ بالوسائل التربوية المختلفة التى تهز وجدان وتؤثر فيه ، ولكن حين لاتفلح هذه الوسائل مع بعض الأشخاص فلانتجاهلهم ، وإنما لابد من استخدام علاج حاسم معهم يفع الأمور فى موضعها الصحيح والعلاج الحاسم هو العقوبة .<sup>(١)</sup>

وفى هذه الحادثة كان التوبيخ لابد منه باعتباره عقوبة تُلقت هؤلاء الناس إلى كذبهم ، لعلهم بعد ذلك يفكرون ويستجيبون ويتراجعون عن كذبهم .

ومن التوجيهات التربوية التى يمكن استنباطها من هذه الحادثة والاستفادة منها فى مجال التربية والتعليم مايلى :

(١) عدم اللجوء إلى التوبيخ والعقاب فى التربية إلا بعد نفاذ الوسائل التربوية الأخرى :

على المربى الناجح تنويع الوسائل التربوية والتدرج فى استخدامها لتحقيق الهدف نفسه ، لما فى ذلك من مراعاة للفروق الفردية بين تلاميذه . وعدم اللجوء إلى التوبيخ والعقاب إلا بعد نفاذ الوسائل التربوية الأخرى .

وهذا ما تعلمه المسلمون الأوائل من التربية القرآنية وطبقوه فى تربيتهم ودعوا إلى تطبيقه . ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون فى مقدمته حيث قال :

(١) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية . مرجع سابق . ج ١ . ص ١٨٩ - ١٩٠ .

" ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد  
لمعلم ولده محمد الأمين فقال ... ولا تمرن بك  
ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير  
أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مسامحته  
فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطاعت  
بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة" (١)

(٢) تنمية التفكير والمنطق السليم لدى التلاميذ :

على المعلم أن يسعى لتنمية قدرات تلاميذه العقلية بجميع الطرق  
الممكنة . ويمكن له في ذلك الاستعانة بطريقة الحوار الجدلي التي تمكن  
التلميذ من الوصول إلى حقائق علمية معينة تخدم أغراض الدرس وتعمق أثره  
في نفوسهم وتعينهم على فهمه وليس استظهاره لأن الفهم هو الهدف الأسمى  
من الدرس وفي ذلك يقول الزرنوجي : " فهم حرفين خير من حفظ وقرين " (٢)

(٣) استخدام التجربة العملية لإثبات صدق وصحة المعلومات العلمية :

في الحادثة السابقة كان نزول المطر من الله سبحانه وتعالى بعد  
دعاء نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أكبر الإثباتات على أن الله  
وحده هو المنزل للمطر .

وعلى المعلم الناجح أن يستفيد من هذه الطريقة الربانية في التربية ،  
فلا يكتفى بتلقين المعلومات العلمية للتلاميذ ثم اختبارهم فيها ، وإنما لابد  
من أن يبرهن على صحة تلك المعلومات ، مستخدماً في ذلك التجارب العملية قدر  
الإمكان ، لأن فهم التلاميذ للمعلومات وبقاء أثرها لديهم يعتمد على مدى  
اقتناعهم بها وإيمانهم بصدقها .

(١) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، د.ت. ، فصل في أن

الشدة على المتعلمين مضره بهم . ص ٤٥٠ .

(٢) الزرنوجي ، برهان الدين : تعليم المتعلم طريق التعلم . في محمد ناصر .

الفكر التربوي العربي الإسلامي . الكويت : وكالة المطبوعات

١٩٧٧م . ص ٣٦٤ .

ويمكن لمعلم الجغرافيا الاستفادة من هذه الحادثة وما جرى فيها عند تدريسه للمناخ ، وحركات الرياح وارتباطها بنزول الأمطار . ليعمل من خلال ذلك على تعميق توحيد الربوبية في نفوس التلاميذ ، وجعلهم يؤمنون بأن حركات الرياح وارتباطها بنزول المطر سنن أجراها الله في هذا الكون ، وأنه وحده جل جلاله المدبر لذلك كله عن طريق المشاهدات العملية، حيث يغتنم المعلم فرصة وجود رياح وسحب ونزول أمطار ، خاصة إذا حدث ذلك في الأوقات التي لم تعهد فيها المنطقة نزول أمطار وإنما نزلت بعد صلاة الاستغاثة ، أو دعاء الخطيب بذلك في يوم الجمعة، ليخرج تلاميذه من الفصل ويشرح لهم المعلومات مستعيناً بالمشاهدة العملية لتعميق الناحية الإيمانية لديهم . ونحن في حاجة ماسة إلى هذا لأنه ما زالت كتب الجغرافيا عند عرضها لهذه الدروس تعرضها بطريقة علمانية . ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتاب الجغرافيا للصف الأول المتوسط عند عرض أنواع الرياح حيث ذكر فيه ما يلي :

" تهب الرياح الموسمية في فصول معينة من السنة، وسبب هبوبها هو أنه في فصل الصيف تكون الجهات الوسطى للقارات شديدة الحرارة لبعدها عن تأثير المحيطات، فيسخن الهواء بها كثيراً ويخف ويرتفع ويحل محله رياح رطبة آتية من المناطق المرتفعة الضغط من البحار المجاورة، فتسبب سقوط الأمطار الغزيرة " (١).

وياحبذا لو عرضت هذه المعلومات العلمية بطريقة إيمانية تعمق توحيد الربوبية في نفوس التلاميذ ، وتلفت انتباه جميع المعلمين إلى هذه النقطة المهمة في الدرس ، ولو بإشارة بسيطة إلى ذلك ، كما حدث في كتاب العلوم

(\*) لمزيد من الاطلاع يمكن العودة الى ص ٨٤ - ٩١ - ٩٢ - ٩٦ من كتاب أسس الجغرافيا الطبيعية للصف الأول المتوسط، و ص ٢٤ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣ - ٤٦ من كتاب الجغرافيا العامة للصف الثاني ثانوي أدبي . طبعة عام ١٩٨٥ هـ - ١٩٨٥ م

(١) أحمد موسى البكري، عكاشة أحمد الجعلي : أسس الجغرافيا الطبيعية للصف الأول المتوسط . المملكة العربية السعودية : الرئاسة العامة لتعليم

للفصل الأول المتوسط عند شرح دورة الماء في الطبيعة والتي بُدئت بالفقرة الآتية:

" تعتبر دورة الماء في الطبيعة التي طبع الله عليها الكون وتغييراته من حالة إلى أخرى من أهم الظواهر الطبيعية التي ترتبط بتغير درجة الحرارة .... " (١)

ويمكن أن يتم عرض هذه المعلومات بالاستشهاد بآيات قرآنية ، كما حدث عند عرض درس الماء في علوم الصف الرابع الابتدائي . (٢) حيث تم الاستشهاد فيه بقوله تعالى : \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا \* . وقوله جل جلاله : \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْزِقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلْفِهِ \* . (٤)

فهذه الإشارات والآيات في الكتاب المدرسي لا تترك ربط الدرس بتوحيده الربوبية أمراً راجعاً لاجتهاد المعلم ، وإنما تجعله إلزامياً على جميع المعلمين .

ومن هنا تبرز أهمية عرض الكتاب المدرسي للمعلومات العلمية بطريقة إيمانية لا علمانية . وياحبذا لو طبق ذلك في جميع المواد وفي جميع البلاد الإسلامية .

====

(١) ص . قيس وآخرون : العلوم للصف الأول المتوسط . المملكة العربية السعودية :

الرشاسة العامة لتعليم البنات . ط ٢ . ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .

ص ٦١ .

(٢) مجموعة من الخبراء : العلوم للصف الرابع الإبتدائي . المملكة العربية

السعودية : الرشاسة العامة لتعليم البنات . ط ٣ . ١٤٠٣هـ

- ١٩٨٣ م . ص ٨٢ - ٨٣ .

(٣) سورة الفرقان : آية ( ٤٨ ) .

(٤) سورة النور: آية ( ٤٣ ) .

## " النموذج الثمانى "

تربية توحيد الألوهية بالأحاديث

توحيد الألوهية :

" هو توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والنذر والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرغبة والإنابة " (١) أى هو إخلاص جميع العبادات ظاهراً وباطناً لله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وبالتالي فإن العبادة التى أمر الناس فى توحيد الألوهية بإخلاصها لله وحده تشمل جميع أفعال المرء وأقواله . ومن هنا تنبع أهمية هذا التوحيد التى قال عنها سليمان بن عبد الله :

" هذا التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو أول دعوة الرسل وآخرها . . . ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة ، وأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار " . (٣)

والدليل على صدق ذلك القول قوله جل جلاله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَسْرُكَ لِيُحِبِّطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦)

وقد كان مشركو العرب غير مقرين بهذا التوحيد غير مؤدين له ، وقد

- (١) أحمد بن تيمية ، محمد بن عبد الوهاب : مجموعة التوحيد . تصحيح عبد الله بن إبراهيم الأنصارى . المدينة المنورة : المكتبة السلفية . ص ٤٠ .
- (٢) سورة الأنعام : آية ( ١٦٢ ) .
- (٣) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد . مرجع سابق . ص ٢٠ .
- (٤) سورة الذاريات : آية ( ٥٦ ) .
- (٥) سورة الأنبياء : آية ( ٢٥ ) .
- (٦) سورة الزمر : آية ( ٦٥ - ٦٦ ) .

أخبر الله عن ذلك فى أكثر من موطن من كتابه العزيز ، ومن ذلك قوله تعالى :  
 \* إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ آمِنَّا لَتَنَارِكُوا  
 إِلَهَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ \* . وقوله تبارك وتعالى : \* أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا .  
 إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ \* .<sup>(١)</sup><sup>(٢)</sup>

لذلك بعث الله فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليدعوهم لعبادة  
 الله وحده لا شريك له ، ويفتح أمامهم باب التوبة مما اقترفوه من ذنوب نتيجة  
 شركهم ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الفرقان :

\* وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ  
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ  
 ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَعَّفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا  
 صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ  
 غَفُورًا رَحِيمًا \* .<sup>(٣)</sup>

وقوله تعالى فى سورة الزمر :

\* قُلْ لِيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا  
 مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ  
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* .<sup>(٤)</sup>

ذكر سيد قطب فى ظلاله أن الآيات السابقة من سورة الفرقان اشتملت على ثلاثة  
 صفات أساسية تعتبر مفرق الطريق بين الحياة الإنسانية الكريمة والحياة  
 الحيوانية المهابطة .

فتوحيد الله مفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة فى الاعتقاد  
 والغموض والالتواء والتعقيد الذى لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة .

- 
- (١) سورة الصافات : آية ( ٣٥ - ٣٦ ) .  
 (٢) سورة ص : آية ( ٥ ) .  
 (٣) سورة الفرقان : آية ( ٦٨ - ٧٠ ) .  
 (٤) سورة الزمر : آية ( ٥٣ ) .

والتحرج من قتل النفس إلا بالحق مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية  
الأمنة المطمئنة ، وحياة الغابات التي لا يأمن فيها أحد على نفسه .

والتحرج من الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية النظيفة  
التي يأمن فيها كل فرد على عرضه ، ويدرك الهدف من التقاء الجنسين ، والحياة  
الهابطة الغليظة التي تسييرها الشهوات .

من أجل ذلك ذكر الله هذه الأمور الثلاثة وعقب عليها بالتهديد الشديد  
بقوله جل جلاله : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ آى عذاب . وفسر هذا العذاب  
بعد ذلك بأنه ليس عذاباً مضاعفاً وحده ، وإنما هو المهانة كذلك .

ثم يوضح سبحانه وتعالى الطريق لمن أراد أن ينجو من هذا المصير  
وهو التوبة والإيمان الصحيح والعمل الصالح . فالتوبة تبدأ بالندم والإقلاع  
عن المعصية ، وتنتهى بالعمل الصالح الذى يثبت صحة التوبة وجديتها ، للارتباط  
الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح . ثم يعد التائبين المؤمنين العاملين  
أن يبذل ما عملوه من سيئات قبل التوبة حسنات بعدها تضاف إلى حسناتهم  
الجديدة . وباب التوبة مفتوح دائماً لمن استيقظ ضميره وأراد العودة إلى  
حمى الله . (١)

وبالنظر إلى الآية السابقة من سورة الزمر يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى  
يدعو فيها من أسرف على نفسه ولج في المعاصى وخاض في الذنوب ، يدعوه إلى  
التوبة الصادقة ، فرحمته وسعت كل شئ وهو القادر على أن يغفر الذنوب جميعها  
صغيرها وكبيرها ، فلماذا القنوط وعدم طلب هذه الرحمة وهذه المغفرة ، والتي  
يمكن الحصول عليها بالتوبة والعمل الصالح القائمة على أساس الإيمان بالله .

وهناك عدة روايات فى سبب نزول الآيات السابقة من سورة الفرقان  
وسورة الزمر نذكر منها ما أورده البخارى فى صحيحه حيث قال :

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٩ . ص ص ٢٥٧٩ - ٢٥٨٠ .



" حدثنا سعد بن حفص، حدثنا شيبان عن منصور عن سعيد ابن جبير قال : قال ابن أبزى : سُئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ حتى بلغ ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴾ فسأله فقال : لما نزلت فقال أهل مكة : فقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق وأتينا الفواحي فأنزل الله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ إلى قوله ﴿ غُفُورًا رَحِيمًا ﴾ . (١)

وقال أيضاً :

" حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى : إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا وأكثروا . فأتوا محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذى تقول وتدعو به لَحَسَنٌ لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة . فنزل ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ . ونزلت ﴿ قُلْ يُعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ . (٢)

وكلا السببين يلتقيان فى أن الآيات نزلت فىمن أشرك بالله وقتل وزنى، لتبين لهم ولكل من سلك سلوكهم أن باب التوبة والإيمان مفتوح دائماً . إلا أنى سأتناول بالتحليل السبب الثانى فقط ، لأن ما ورد ذكره فى سبب النزول الأول يفيد أن كلام المشركين حدث بعد نزول قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾ .

- (١) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٦ . كتاب التفسير . سورة الفرقان . باب يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . ص ١٣٨ .
- (٢) المرجع نفسه . ج ٦ . كتاب التفسير . سورة الزمر . باب يعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . ص ١٥٧ .

أما ما ورد ذكره في سبب النزول الثاني ، يشير إلى أن الحادثة المذكورة فيه كانت سبباً لنزول هذه الآيات ، التي لها علاقة بتوحيد الألوهية ، والذي أسعى في هذا الجزء من هذا الفصل إلى إيضاح كيف استغلت التربية القرآنية الأحداث ، في إيضاحه للناس وتربيتهم على الالتزام الصحيح به .

والحادثة التي ذكرت في سبب النزول الثاني حملت بين ثناياها العديد من الجوانب التربوية ، والتي يمكن لمن حضر هذه الحادثة أو سمع بها أن يلتمسها ، ومن ذلك أن أفراد الحادثة قاموا بإعمال فكرهم والنظر بموضوعية إلى ما يدعو إليه محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم أقروا بالنتيجة التي توصلوا إليها .

وإعمال الفكر هذا جاء نتيجة لقبولهم السلوك الطيب الذي يدعو إليه النبي عليه الصلاة والسلام ، والذي كان له أكبر الأثر في فطرتهم السليمة ، هذه الفطرة التي حجت بالشرك ، والعادات ، والتقاليد السيئة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي في ذلك الوقت .

فمن المسلم به أن الفطرة تتأثر بالتربية . حيث ذكر مسلم في صحيحه

ما يلي :

" عن أبي هريرة أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ) ثم يقول أبو هريرة : واقروا إن شئتم ﴿فَطَرَقَهُ اللَّعْنُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ﴾ الآية (\*) (١)

والتربية التي كانت موجودة في المجتمع في ذلك الوقت لم تدع فرصة لنمو الناحية الخيرة لديهم ، بل عملت على حجبها ، فأشركوا بالله غيره ،

(\*) سورة الروم : آية ( ٣٠ ) .

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١٦ . كتاب القدر .

باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار

وأطفال المسلمين . ص ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

واستحووا الأرواح والأعراض . إلا أن أفراد هذه الحادثة من المشركين تاقوا للعودة إلى فطرتهم الخيرة عند سماعهم لما يدعو إليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا دليل على أن الإيمان وما اشتمل عليه من أوامر ونواه ملائم للفطرة الإنسانية ومراع لها ومقدر لإمكاناتها .

فالله سبحانه وتعالى في تربيته للفطرة الإنسانية جاء بشريعة ممكنة التنفيذ ، ملائمة لحاجات الأفراد والجماعات ، على العكس من القوانين الوضعية فما تفعه من تشاريح ومناهج حياة وأساليب تربية لا تكون مراعية لجميع خصائص الطبيعة الإنسانية . فالقادر الوحيد على رسم منهج حياة ناجح، وطرائق تربوية ملائمة للفطرة الإنسانية هو الخالق لها، والعالم بجميع أمورها سبحانه .

وهذا ما توصل إليه المشركون في هذه الحادثة عندما أعملوا فكرهم وأقروا به ، بقولهم للرسول عليه الصلاة والسلام : ( إن الذى تدعو إليه لحسن )

كما أن أفراد هذه الحادثة بعد أن أدركوا أن المنهج القويم هو المنهج الربانى الذى يدعو إليه النبي عليه الصلاة والسلام قاموا بتقويم أنفسهم في ضوء ذلك المنهج ، فوجدوا مخالفته لسلوكهم ، إلا أنهم لم يلبسوا رؤوسهم تكبراً وعناداً بعد ما عرفوا الحق ، بل اعترفوا للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بخطأ سلوكهم ، وطلبوا منه علاجاً، لذلك بقولهم له : ( لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ) .

ثم إن نزول الآيات في هذه اللحظة بالذات إضافة إلى أنها جاءت بالعلاج الشافى للنفس من تلك الأخطاء ، عملت على تثبيت الجوانب التربوية السابقة ( أعمال الفكر - تقويم النفس ) في أذهان من حضر الحادثة ، لأنه من المعلوم أن ارتباط الحادثة ، بآيات قرآنية أدعى إلى تذكرها وبقاء أثرها .

كما أنه من المعروف أيضاً أنه لحظة الاعتراف بالذنب والبحث عن كفارة له ، تكون النفس على أتم الاستعداد لتقبل التوجيه والتأثر به . لذا فإن بدء الآيات النازلة في هذه الحادثة بقوله جل جلاله ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ

إِلَّهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ \* ، يعمل على استغلال تلك الحالة النفسية لأصحاب الحادثة ليعمق من خلالها عدة أمور أهمها:

- أن أفراد الله وحده بالعبادة هو المحور الذى تدور حوله هذه الدعوة .
- أن هذا التوحيد ليس شعائر تعبدية تقام فى أوقات معينة فقط، وإنما هو مرتبط بكل أعمال وسلوك الفرد . لأن هذه الأعمال والسلوكيات هى الطابع المميز للمجتمع المؤمن .

ثم بعد بيان هذه الأمور الأساسية فى مجال التوحيد ، والتى سعى الجزء الأول من الآيات لغرسها فى نفوس أصحاب الحادثة ومن حضرها أو سمع بها فى أى زمان ومكان ، جاء الجزء الثانى من الآيات مستخدماً أسلوباً آخر من أساليب التربية وهو أسلوب الترغيب والترهيب . إلا أنه تم البدء بأسلوب الترهيب ليتبين لهم عظم الذنب الذى اقترفوه ( الشرك .. القتل .. الزنا ) ، وعظم العذاب الذى استحقوه على ذلك ، حتى إذا استشعرت نفوسهم عظم ما قامت به ، وأنها هالكة لا محالة ، وتمنت الخلاص من ذلك بأى وسيلة وبأى جهد ، فى هذه اللحظة ، لحظة الاستعداد لقبول أى حل يُقترح عليهم والعمل به ، تنزل الآيات مبينة لهم طريق الخلاص من هذا المصير ، وهو التوبة بالإقلاع عن تلك المعاصى ثم الإيمان والعمل الصالح .

وكما تم استخدام أسلوب الترهيب مباشرة لحظة الاعتراف بالذنب لدفع النفس إلى الإقلاع عن الذنب ، لأن تأجيل العقوبة عن وقتها يخفف من قوة أثرها فى النفس ، تم استخدام أسلوب الترغيب فى سلك طريق الخلاص مباشرة بعد إفصاحه لهم ، لحث النفس على الاستمرار فى ذلك الطريق وهو الإيمان والأعمال الصالحة .

فى الآيات الأولى كان الترغيب بالوعد بالمكافأة على تلك التوبة المتبوعة بالإيمان والأعمال الصالحة ، لقوله تعالى : ﴿ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ وفى الآية الثانية كان الترغيب بدعوتهم لعدم القنوط من رحمة الله ، مهما أسرفوا على أنفسهم بارتكاب الذنوب لأن باب التوبة مفتوح دائماً ، ولأن الله قادر على مغفرة الذنوب مهما كثرت أو عظمت .

يتضح مما سبق وجود العديد من المبادئ التربوية فى هذه الحادثة،  
والتي يمكن الاستفادة منها وتطبيقها فى مجال التربية والتعليم فى الوقت  
الحاضر . من ذلك :

### (١) هدف التربية الأسمى هو تحقيق العبادة لله :

ينبغى أن يكون الهدف الأسمى للتربية والتعليم هو عبادة الله  
وأن تجند جميع الوسائل . . والإمكانات . . والمخططات لتحقيق ذلك .

وبالتالى فإن هدف التربية الأسمى فى البلاد الإسلامية ينبغى أن يختلف  
عن هدف التربية الأسمى فى أى بلد غير إسلامى ، لأنه لا بد أن يكون مستمداً  
من الهدف والحكمة من وجود الإنسان ، والذى أخبر عنه تعالى بقوله :  
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)

إلا أنه عند النظر إلى هدف التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية  
يلاحظ عدم الاهتمام بذلك ، ومن الأمثلة على ذلك هدف التربية والتعليم الذى  
أقره المؤتمر الثانى لوزراء التربية والتعليم فى البلاد العربية، فى بغداد،  
فى مايو عام ١٩٦٤م، وأقرته جامعة الدول العربية، والذى ينص على ما يلى :

" يكون هدف التربية والتعليم تنشئة جيل عربى  
واع مستنير يؤمن بالله ، مخلص للوطن العربى،  
يثق بنفسه وبأتمته، ويدرك رسالته القومية والإنسانية،  
ومتمسك بمبادئ الحق والخير والجمال، ويستهدف  
المثل العليا الإنسانية فى السلوك الفردى والجماعى،  
جيل يهيه لأفراده أن ينمو شخصياتهم بجوانبها  
كافة، ويملكوا إرادة النضال المشترك، وأسباب القوة  
والعمل الإيجابى، متسلحين بالعلم والخلق، كما  
يسهموا فى تطوير المجتمع العربى، والسير به قدماً  
فى معارج التطور والرقى فى تشبيت مكانة الأمة  
العربية المجيدة، وتأمين حقها فى الحرية والأمن،  
والحياة الكريمة " . (٢)

(١) سورة الذاريات : آية ( ٥٦ ) .

(٢) محمد منير مرسى : التعليم العام فى البلاد العربية . القاهرة : عالم الكتب .

فلو كان هدف التربية هذا مُتضمناً لعبادة الله وموجهاً بها لما اشتمل على عبارات مخالفة للخط الإسلامي مثل ( القومية ) أو عبارات مبهمه مثل ( الحق .. الخير .. الجمال .. الحرية ) . يمكن أن تُقبل وتوضع ضمن هدف التربية والتعليم في أي بلد غير إسلامي . فكان الأجدد بوزراء التربية والتعليم المسلمين الذين حضروا هذا المؤتمر أن يصرحوا هدفاً للتربية والتعليم متضمناً لعبارات واضحة محددة ومقاسة بالمقياس الإسلامي ومحقة لعبادة الله .

## (٢) تقويم الذات أو محاسبة النفس :

المُربّي الناجح هو الذي يُعرف من يربيهم بأهمية هذا المبدأ التربوي ويفتنم جميع الفرص لتعويدهم على تقويم أنفسهم في ضوء المنهج الرباني ، ليتعرفوا على مدى سيرهم على نهجه ومدى انحرافهم عنه .

ويمكن للمُربّي أن يستشهد بهذه الحادثة ، ليبين للمُربّين أن التقويم الذاتي الصحيح لا يقتصر على معرفة الطريق الصحيح والمنهج القويم وعدم مطابقة سلوك الفرد له ، بل لابد أن ينتهي بالتوبة الصادقة لتخليص النفس من آثام الماضي وفتح أبواب المستقبل أمامها . وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب :  
" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتأهبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم " .  
(١)

وقد علق زهير كحاله على هذا القول بقوله :

" في اختياره لكلمة أنفسكم ، بدلاً من كلمة أعمالكم أو أموالكم أو أخلاقكم أو شهواتكم ، دلالة واضحة على أن التقويم يجب أن يغطي كل ما يمس إلى النفس بصلة ، سواء في المجال الجسمي أو المجال الروحي أو المجال العقلي أو المجال الاجتماعي أو المجال الانفعالي " . (٢)

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ ، ص ٢٥ .  
(٢) زهير محمد شريف كحالة : القرآن الكريم رؤية تربوية . عمان : دار الفكر .

وهذا التقويم الشامل للنفس في ضوء المنهج الرباني هو الذي ينبغي

أن يحرض المربون على تعويد من يربونهم عليه .

(٣) المربون قدوة لمن يقومون بتربيتهم:

القدوة الصالحة تؤثر تأثيراً إيجابياً في السلوك ، لذا فإنه يجب على المُربِّين أن يسعوا دائماً ليكونوا قدوة صالحة للمُربِّين.

فمن طريق القدوة الصالحة يمكن تعميق توحيد الألوهية في نفوس

المُربِّين في المدرسة .. البيت .. المجتمع .

فإذا أخلص المعلم في أداء عمله وأشعر تلاميذه أن تفانيه في عمله وإخلاصه فيه راجع إلى إيمانه بأن العمل إذا كان صحيحاً والوجه الله فهو عبادة يثاب عليها من الله سبحانه وتعالى ، وأن التلميذ إذا جد في عمله وكان يقصد بعلمه هذا وجه الله سبحانه وتعالى سوف يثاب على جده ، فإنه يعمل على غرس توحيد الألوهية بمعناه الصحيح الشامل في نفس التلميذ من جهة وإشارة دافعيته لتعلم ولكل عمل صالح من جهة أخرى .

لذلك فقد حذر المربون الأوائل المتعلمين من أن يقصدوا بعلمهم غير

وجه الله ومن ذلك قول الزرنوجي :

" وينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضاء الله تعالى والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه ، وعن سائر الجهال ، وإحياء الدين ، ... وينوي به الشكر على نعمة العقل ، وصحة البدن ، ولا ينوي به إقبال الناس إليه ، ولا استجلاب حطام الدنيا". (١)

وذلك لأن العلم نوع من أنواع العبادة إذا كان خالصاً لوجه الله وفي ذلك

يقول الحسن بن علي رضي الله عنه : "من طلب شيئاً من هذا العلم فأراد به ما عند الله

(١) الزرنوجي : تعليم المتعلم طرائق التعلم في محمد ناصر: الفكر التربوي

العربي والإسلامي . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٣٥٠ .

(١) يدرك إن شاء الله ومن أراد به الدنيا فذاك والله حظه منه ."

كما يمكن للوالد غرس توحيد الألوهية بمعناه الصحيح فى نفوس أبنائه بعدة طرق ، ومن ذلك أن لا يتذمر من كده وكدحه فى الحصول على لقمة العيش وتوفير الحياة الهنيئة لأبنائه ، ويبين لهم دائماً أن سعيه على تأمين قوتهم بالحلال هو عبادة يطمع فى نيل الأجر عليها من الله سبحانه وتعالى ، وأن حرصه على تربيتهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة هى عبادة ينال عليها الأجر وحسن الثواب من الله جل جلاله . فذلك كله يحفز الأبناء على القيام بجميع الأعمال الصالحة وجعلها خالصة لوجه الله .

كما أنه يمكن للمُربّي أن يستفيد من المعالجة التربوية التى استخدمتها الآيات السابقة مع أفراد الحادثة وتطبيقها عن طريق استغلال المواقف التى قد يخطئ فيها المُربّي ، خاصة ما يتصل منها بالأخلاق والمعاملات ، وتوجيهه من خلالها إلى أن الإنسان المؤمن لا يكفى أن يقول " لا إله إلا الله " وأن يؤدى الشعائر التعبدية خالصة لله ، بل لابد له أن يلتزم بأخلاقيات لا إله إلا الله وأن تكون جميع حركاته وسكناته وفق منهج الله وخالصة له . ثم بعد أن يبين له الطريق الأمثل الذى كان يجب عليه أن يسلكه ، يُعرفه بخطئه ونوع العقاب الذى استحقه عليه ، حتى إذا شعر بعظم خطئه واستحقاقه للعذاب فتح أمامه المجال للتوبة والإقلاع عن الخطأ ورغبه فى ذلك بشتى الوسائل حتى إذا استمر فى سلك الطريق الصحيح يعفو عنه ويكافئه على صدق توبته .

فالتوبة عن الشرك والكبائر إذا صدقت توفى إلى نتائج عظيمة وإنجازات باهرة ، يمكن لمعلم التاريخ أن يبرزها لتلاميذه عند تدريسهم شخصيات إسلامية فذة كانت تغطى فى جاهلية وهمجية ، ثم أسلمت بعد ذلك عن طريق إيضاح الفرق بين

(١) الدارمى ، عبد الله بن عبد الرحمن : سنن الدارمى . تحقيق عبد الله بن

هشام . باكستان : حديث أكادمى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م . ج ١ .

باب العمل بالعلم وحسن النية فيه . حديث ٢٦٠ . ص ٧٠ .



أعمال تلك الشخصية قبل الإسلام وبعده ، وبيان أن ما أصاب تلك الشخصية من تغيير مصدره الإيمان بالله والفهم الصحيح لتوحيد الألوهية .

والباب مفتوح دوماً للمسلمين وغيرهم من البشر في كل زمان ومكان للتوبة الصحيحة المرتبطة بالإيمان والأعمال الصالحة .

وبعد أن تم من خلال عرض الحادثة السابقة وما تنزل فيها من آيات بيان تضمن توحيد الألوهية لجميع حركات الفرد وسكناته . يجدر فيما يلي عرض حادثة أخرى تبرز جانباً مهماً من جوانب توحيد الألوهية وهو جانب الحاكمية لله والذى لا يؤمن من لا يحققه لقوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

ونظراً لأهمية هذا الجانب من جوانب توحيد الألوهية فقد حرصت التربية القرآنية على إيضاحه للناس وتربيتهم على الالتزام به وتطبيقه مستغلة في ذلك ما يحدث في المجتمع من أحداث ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢)

وقد ذكر سيد قطب في ظلاله أن هذه الآية بينت شرط الإيمان بالله واليوم الآخر ، في الوقت الذى بينت فيه قاعدة النظام الأساسى فى الجماعة المسلمة ، وقاعدة الحكم ومصدر السلطان ، وكلها تبدأ وتنتهى فى التلقى عن الله ، وجعل الحاكمية لله وحده فى جميع الأمور كبيرها وصغيرها ما نص عليه فى القرآن والسنة وما لم يُنص فيما تختلف فيه العقول والأفهام والآراء ، ليكون هناك ميزان ثابت ترجع إليه العقول والآراء والأفهام .

(١) سورة النساء : آية ( ٦٥ ) .

(٢) السورة نفسها: آية ( ٥٩ ) .

فمن خصائص الألوهية لله سبحانه وتعالى أن تكون الحاكمية له وحده ضمن شريعة أو دعها قرآنه وأرسل بها رسوله عليه الصلاة والسلام . فأوجب طاعة الله وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ، واتبع ذلك بقوله جل جلاله ﷻ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ \* أي من المؤمنين المطيعين لله والمطيعين لرسوله عليه الصلاة والسلام .

وطاعة أولى الأمر لا تكون طاعة مطلقة ، وإنما هي مقيدة في حدود المعروف المشروع من الله والذي لم يرد نص بحرمته ، ولا يكون من المحرم عندما يرد إلى شريعته عند الاختلاف فيه .

والسنة النبوية تقرر هذه الطاعة وتبين حدودها ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال :

"حدثنا قتيبة بن سعيد بسند صحيح عن عبيد الله بن نافع ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة." (١)

وأورد أيضاً من حديث أم الحصين قوله عليه الصلاة والسلام : " ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا " (٢) فهي طاعة محدودة بمنهج واضح وطريق محدد المعالم ، لطاعة عمياء كطاعة البهائم لراعيها ، ذلك فيما ورد فيه نص صريح .

فأما ما يعرض من المشكلات والأقضية على مدى الزمان وتطور الحاجات واختلاف البيئات إذا لم يكن فيه نص قاطع أو لم يكن فيه نص على الإطلاق مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام ، فإنه لم يترك كذلك تيهاً ولسم يترك بلا ميزان . وإنما رسمت هذه الآية على قصرها منهج الاجتهاد وحددت

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١٢ . كتاب الإمارة . وجوب طاعة

الأمراء في غير معصية . ص ٢٢٦ .

(٢) المرجع نفسه : ج ١٢ . وجوب طاعة الأمراء في غير معصية . ص ٢٢٥ .

بحدود وأقامت الأصل الذى يحكمه بقوله تعالى: ﴿ قَبْرَانِ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾،  
 أى رده إلى النصوص من القرآن والسنة التى تنطبق عليه مراعاة فإن لم توجد فردوه إلى  
 (١)  
 المبادئ الكلية العامة فى منهج الله وشريعته .

وهذا ما يسمى بالقياس، لذا فإن هذه الآية دليل على حجية القياس وهذا ما

وضحه أبو السعود فى تفسيره لهذه الآية حيث قال :

" إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم فى أمر من أمور  
 الدين فرجعوا فيه إلى كتاب الله (والرسول) أى إلى سنته  
 وقد استدل به منكرو القياس، وهو فى الحقيقة دليل على  
 حجيته كيف لا ورد المختلف فيه إلى المنصوص عليه إنما  
 يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده  
 الأمر به بعد الأمر بطاعة الله تعالى ويطاعة رسوله صلى  
 الله عليه وسلم فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة ثابتة  
 بالسنة وثابت بالرد إليهما بالقياس " . (٢)

والحادثة التى كانت سبباً لنزول هذه الآية أوردتها الواحدى

عن ابن عباس أنه قال :

" بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن  
 الوليد - رضى الله عنه - فى سرية إلى حية من  
 أحياء العرب وكان معه عمار بن ياسر - رضى الله  
 عنه - فصار خالد حتى إذا دنا من القوم عرس لكى  
 يصحبهم ، فأتاهم النذير فهربوا عن رجل قد كان  
 أسلم ، فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير ، ثم انطلق  
 حتى أتى عسكر خالد، ودخل على عمار فقال : يا أبا  
 اليقظان إني منكم وإن قومى لما سمعوا بكم هربوا  
 وأقمت لإسلامى أفنافعى ذلك أو أهرب كما هرب قومى؟  
 فقال : أقم فإن ذلك نافعك ، وانصرف الرجل إلى  
 أهله وأمرهم بالمقام . وأصبح خالد فغار على القوم  
 فلم يجد غير ذلك الرجل فأخذه وأخذ ماله ، فأتاه  
 عمار فقال : خل سبيل الرجل فإنه مسلم وقد كنت  
 أمنت وأمرته بالمقام ، فقال خالد أنت تجير على  
 وأنا الأمير ، فقال : نعم أنا أجير عليك وأنت

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٥ . ص ص ٦٩٠ - ٦٩٢ .

(٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادى: تفسير أبى السعود . بيروت : دار احيا التراث

العربي . ج ٢ . ص ص ١٩٣ - ١٩٤ .

الأمير ، فكان في ذلك بينهما كلام - فانصرفوا إلى  
النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر الرجل  
فأمنه وأجاز أمان عمار ونهاه أن يجير بعد ذلك  
على أمير بغير إذنه .

قال : واستب عمار و خالد بين يدي رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فأغلظ عمار لخالد ، فغضب خالد  
وقال : يارسول الله أتدع هذا العبد يشتمنى فـ  
الله لولا أنت ما شتمنى ... فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : ياخالد كف عن عمار فإنه من يسب  
عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه الله ،  
فقام عمار فتبعه خالد فأخذ بثوبه وسأله أن يرضى  
عنه فرضى عنه فأنزل الله تعالى هذه الآية " (١)

وعند تحليل هذه الحادثة وما نزل فيها من آيات يمكن ملاحظة مايلي:

- قول الرجل لعمار بن ياسر رضى الله عنه: (إنى منكم) يشير إلى أن رابطة  
الدين هي الرابطة الأساسية التي تجمع الناس على اختلاف أشكالهم .. وبعد  
ديارهم .. وتفاوت أنسابهم .

- أن المسلمين ماكانوا ليقاتلوا يوماً بهدف الحصول على المغنم من الأموال  
.. والسببا من النساء .. والأسرى من الرجال .. أو الخصب من الأرض ..  
وإنما كانوا يقاتلون لرفع كلمة لا إله إلا الله ، ودحض مايعبد من دونه  
أو يشرك معه . لذلك عندما قال الرجل لعمار رضى الله عنه: ( إنى منكم )  
أى من الذين لايشركون بالله ، قال له: ( أقم فإن ذلك نافعك ) أى إن هذا  
ما جئنا لنغزوكم من أجله ، أما وإن تحقق فيك ذلك فلا حاجة بك لترحل  
وتترك أرضك ، أو تخاف على مالك ، أو تخشى على نساءك وأطفالك .

وهذه هي القاعدة الثابتة في الجهاد الإسلامى ، والتي أعلنها  
المسلمون الأوائل في كل مكان ، ومن ذلك ما قاله المغيرة بن شعبه رضى الله  
عنه لرستم قائد الفرس قبيل غزوة القادسية عندما قال له رستم : " أرايت  
إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا قال إى والله ثم لانقربن بلادكم إلا في

(١) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ١١٧ - ١١٨ .

(١)  
تجارة أو حاجة " .

— فهم عمار بن ياسر رضى الله عنه للهدف الأساسى من الجهاد جعله يعطى الرجل الأمان . إلا أن الإسلام دين قائم على النظام ، سواء فى السلم أو فى الحرب ، فمن الأنظمة الأساسية فى الحرب أن تُجمع كلمة الجيش تحت إمرة قائد واحد لى تتوحد كلمته وتقوى شوكته . فلا مجال فيه للفوضى أو التنازع أو الخلاف .

لكن ما حصل فى هذه الحادثة أن عماراً رضى الله عنه قام بأمر فيه طاعة الله وطاعة رسوله ، وهو أنه أجاز رجلاً لإيمانه ، إلا أنه كان لزاماً عليه أن يخبر القائد بذلك ليغير خطته بناء على ما استجد من أمور ، فبدلاً من أن يغزو ويباغت الرجل المسلم المجار الأمن ، يلحق بمن هرب فيلزمهم بالإسلام أو الجزية . لذلك غضب خالد رضى الله عنه من عمار رضى الله عنه .

لذا كان يجب أن يرفع الأمر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، والذي تجلّى عدله فيما حكم به . فلم يجز ما قام به خالد رضى الله عنه لمركبته القيادى ، وإنما أجاز ما قام به عمار رضى الله عنه لصحته وموافقته لأمر الله ، حيث إنه عليه الصلاة والسلام أمن الرجل وأجاز أمان عمار رضى الله عنه ، إلا أنه نبهه إلى ما قام به من عمل غير صحيح فنهاه عن أن يجير على أمير بغير إذنه .

وكان ينبغى أن ينتهى النقاش فى هذا الموضوع عند هذا الحد ، إلا أن النقاش استمر بينهم ، مما أدى إلى أن يغلط كل منهما للأخر ، فظهرت بعضاً من رواسب الجاهلية التى يحاربها الإسلام فى قول خالد رضى الله عنه للرسول عليه الصلاة والسلام : ( أتدع هذا العبد يشتمنى ) ، إلا أنه عليه الصلاة والسلام لم يترك هذا الأمر يمر دون أن يقر المبدأ الربانى الذى أقره سبحانه وتعالى

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . مرجع سابق . ج ٧ . ص ٢٩ .

بقوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَى اللَّهَ ﴾ (١) . فقال عليه الصلاة والسلام :  
 ( ياخالد كف عن عمار فإنه من يسب عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه  
 الله ) . فاستجاب خالد بن الوليد رضى الله عنه فوراً لهذا التوجيه النبوى ،  
 طاعة مطلقة وتسليم تام ، فلم تمنعه إمارته للجيش ومركزه القيادى من الأخذ  
 بثوب عمار رضى الله عنه وطلب رضاه . والذى مسح عبوديته فى الجاهلية  
 نال أعلى المراتب وحظى على أكرم تشريف من الله ، بسبب سببه إلى الإسلام  
 وصره على أذى أعداء الله ، وثباته على إيمانه .

ثم إن التربية القرآنية لم تكن لتدع هذه الحادثة تمر دون أن ترسم  
 المنهج الصحيح الذى يجب اتباعه على كل مؤمن ومؤمنة . ذلك المنهج الذى  
 يجعل الحاكمية لله وحده فى جميع الأمور باتباع ما ورد فى قرآنه أو على  
 لسان نبيه . هذا المنهج الذى وصفه سيد قطب فى ظلاله بصفات عديدة ، وأجزها  
 فى مايلى :

- إن هذا المنهج معناه أن يستمتع الإنسان بمزايا منهج من صنع الله ،  
 وبالتالي فهو منهج خالٍ من جهل الإنسان وميوله وشهوته ومصالحه فلا يفرق  
 بين جنس وجنس ، ولا يميز شعباً على شعب ، أو طبقة على طبقة ، أو فرداً على  
 فرد ، لأن واضح المنهج سبحانه رب الجميع .

- إن هذا المنهج من مزاياه أن صانعه هو صانع هذا الإنسان ، وبالتالي فهو  
 العالم بكل ذره من كيانه يعلم بجسده ومتطلباته ، نفسه وشهوته ، والعالم  
 بسبل خطاياها ، وطرق صلاحها ، فلا يكلف البشر ثمن  
 الشجارب القاسية التى يتخطبون فيها بحثاً عن ما  
 يلائم الإنسان .

- إن هذا المنهج من مزاياه أن صانعه هو صانع هذا الكون ، وبالتالي فهو  
 منهج يعمل على تنظيم علاقة الإنسان بهذا الكون بحيث يسهل ويبين له سبل  
 الانتفاع به والتعرف على سننه .

- إن هذا المنهج يحترم العقل ، فلا يقف عائقاً في طريقه ، وإنما فتح أمامه المجال للتفكير والبحث والاجتهاد ، وبين له الأصل الذى يرجع إليه للحكم على صحة ما توصل إليه عقله . (١)

- إن هذا المنهج يرسم الطريق لوحدة الجماعة ، فيأمر بطاعة من يقوم بأمر المسلمين فى أى مجال من المجالات ، إذا كان مطيعاً لله ومطيعاً لرسوله عليه الصلاة والسلام ، لأن أوامره فى هذه الحالة تكون مستمدة من شريعة الله ، وأحكامه تنفيذاً لشرع الله ، وإلا فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، مهما كانت منزلة هذا المخلوق . فالمنهج واضح ، وحدود الطاعة واضحة .

وبذلك فإن هذه الحادثة وما نزل فيها من آيات تضمنت أهدافاً وتوجيهات تربوية يمكن الاستفادة منها وتطبيقها فى مجال التربية والتعليم فى الوقت الحاضر ومن ذلك :

(١) إعمال الفكر فى شتى مجالات الحياة :

فالأية تدعو إلى إتاحة الفرصة للعقول للتفكير فى ما يستجد من أمور الحياة التى لا يوجد فيها نص فى القرآن والسنة ، شريطة أن يتفق نتاج هذا الفكر مع مافى القرآن والسنة من مبادئ عامة ثابتة .

وهذا ما دعا إليه المُرَبِّى الأول لهذه الأمة عليه الصلاة والسلام ، ومن

ذلك :

" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال : كيف تقضى إذا عرض لك القضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فيسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن لم

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٥ . ص ٦٩٢ .

تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،  
ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا ألو،  
فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال:  
الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى  
رسول الله صلى الله عليه وسلم". (١)

وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في معاني كلمات هذا الحديث:

" قوله: (أجتهد برأيي) يريد الاجتهاد في رد  
القضية من طريق القياس إلى معنى الكتاب والسنة.  
ولم يرد الرأي الذي يسنح له من قبل نفسه، أو يخطر  
بباله عن غير أصل من كتاب أو سنة. وفي هذا:  
إثبات القياس وإيجاب الحكم به... وقوله (لا ألو)  
معناه: لا أقصر في الاجتهاد، ولا أترك بلوغ الوسع  
فيه". (٢)

لذا فإنه يجب على المعلمين إعمال فكرهم في وضع حلول للمشكلات التي  
تستجد في المدرسة أو المجتمع، وفي حالة مطابقة هذه الحلول أو عدم مخالفتها  
للكتاب والسنة، يجب أن يمنح المعلمون فرصة لتطبيقها والحكم على مدى  
نجاحهم في ذلك.

(٢) انبثاق المناهج التربوية من القرآن والسنة:

إن طاعة الله ورسوله التي نزلت هذه الآية بأمر المؤمنين بهما،  
تقتضى أن تكون مناهجنا التربوية منبثقة من القرآن والسنة. وذلك لأن المناهج  
المأخوذة من القرآن والسنة تحقق الحاكمية لله، وبالتالي تكون مناهج ربانية  
تتمتع بخصائص المنهج الرباني.

(١) الحافظ المنذرى: مختصر سنن أبي داود. تحقيق محمد حامد الفقى. لاهور:  
مطبعة السنة المحمدية. ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م. ج ٥. كتاب  
الأقضية. ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) أبو سليمان الخطابي: معالم السنن. في الحافظ المنذرى. المرجع السابق. ص ٢١٣.



إلا أن العديد من مخطى المناهج ومؤلفى الكتب فيها يغفلون عن هذا الأساس الريانى الذى يجب أن توضع المناهج بناء عليه ، ويتأثرون بما تنادى به النظم الوضعية من شعارات رنانة ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره مؤلف كتاب " المناهج ، أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها " حيث قال :

" هناك علاقة واضحة بين المنهج المدرسى والديمقراطية : فلا يكتفى هذا المنهج باعطاء دروس نظرية فى المبادئ الديمقراطية ، بل يعنى أيضاً بتدريب كل تلميذ على هذه المبادئ فى علاقاته المختلفة فى المدرسة . ويلاحظ هذا المنهج أيضاً أن يتمشى مع هذه المبادئ فى كثير من أسسه وأساليبه بحيث يؤمن بها التلاميذ عملياً وتتكون عندهم بصيرة فيها يرضى عنها المجتمع الذى يعيشون فيه .

ويلاحظ المنهج المدرس الحديث فى ذلك أن الديمقراطية لا تقتصر على الناحية السياسية ، بل تشمل أساليب حياة جماعية وفردية تتضمن نظاماً وعلاقات وطرقاً تهدف إلى إسعاد المجتمع وإسعاد الفرد كعضو فيه " . (١)

ويتضح من النص السابق أن المؤلف يريد للديمقراطية أن تكون الأساس

الذى تبنى عليه المناهج التربوية . وقد علق بشير التوم على ذلك بقوله :

" يتضح من النص السابق أن الكاتب لا ينطلق من منطلقات إسلامية فهو يؤمن بالديمقراطية ويعتبرها عقيدة توجه أساليب الحياة الجماعية والفردية . . . وهو بهذا القول يتناسى أن الإسلام عقيدة ومنهج انقلابى جاء يهدم نظام العالم الاجتماعى بأسسه ويصنع نظاماً خالداً على أساس منهجه العملى " . (٢)

والديمقراطية التى يؤمن بها هذا الكاتب ويدعو إلى جعلها الأساس

الذى ينبثق منه مناهجنا ديمقراطية غريبة ، بدليل أنه عند ذكره الأساس التى

(١) عبدالتيف فواء إبراهيم: المناهج، أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها. القاهرة: مكتبة مصر. ط ٤ . د . ت . ص ٣٧١ .

(٢) بشيرحاج التوم: تأصيل تربوية المعلم. مكة . د . ت . هـ ١٤٠١ - ١٩٨١ م . ص ٧ .

يـراعـيها المنهج الحديث ذكر أساساً نصه : " أن الفرد حر فى سلوكه  
(١) ما لم يضر " .

وقد علق بشير التوم على هذا الأساس بقوله :

" وتفهم حرية الفرد فى المجتمعات الغربية على  
أن الفرد يمكن أن يتصرف كما يشاء بشرط ألا يؤذى  
أو يضر أحداً. ضرراً ملموساً . فهل يريد المؤلف  
للفرد فى مجتمعاتنا الإسلامية أن يكون حراً بهذا  
المعنى فله مثلاً " أن يشرب الخمر ، ويزنى ، ويلعب  
الميسر ، ويترك الصلاة ... طالما كان هذا لا يوقع  
الضرر بأحد " . (٢)

فأى طاعة لله وللرسول تكون عليها مناهجنا إذا التزمت بهذه الديمقراطية  
وجعلت التلاميذ يؤمنون بها والتزمت بتدريب التلاميذ عليها وجعلتها الأساس  
الذى تدور حوله أساليب الحياة الفردية والاجتماعية ؟

(٣) تحقيق الحاكمية لله فى كل مجال من مجالات التربية والتعليم :

فى الحادثة السابقة قام عمار بن ياسر وخالد بن الوليد  
رضى الله عنهما عندما اختلفا برد الأمر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام  
ثم نزلت الآيات تأمر الناس بالالتزام بذلك ، إضافة إلى طاعة أولى الأمر من  
المؤمنين .

وهذا ما يجب تطبيقه والاستفادة منه فى مجال التربية والتعليم فى  
الوقت الحاضر ، لمواجهة ماتعانيه الدول الإسلامية من تحديات عديدة ( ... إلخ )  
... غزو فكرى ... تبشير ... علمانية ... تحاكم إلى قوانين وضعية ... )  
ويمكن تحقيق ذلك باتباع عدة طرق أهمها :

(١) عبد اللطيف فوءاد ابراهيم : المناهج ، أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها ،

مرجع سابق . ص ٣٧٣ .

(٢) بشير حاج التوم : تأصيل تربية المعلم . مرجع سابق . ص ٨ .

٢ : بيان أن العدول عن الاحتكام إلى شرع الله ، والاحتكام إلى ما وضعه  
 البشر من قوانين وضعية ، هو نوع من أنواع الشرك ، بدليل قوله تعالى:  
 ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ  
 قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ  
 الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١) وقوله جل جلاله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ  
 وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا  
 إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢)

وقد وصف اليهود في هذه الآية بالشرك لأنهم تركوا التحاكم إلى الله ،  
 ولجأوا إلى التحاكم إلى أحبارهم ورهبانهم ، وفي ذلك يقول سيد قطب :

" أن اليهود وصفوا بالشرك بالله لأنهم كانوا  
 يتخذون أحبارهم أربابا من دون الله - لا لأنهم  
 عبدوهم - ولكن لأنهم قبلوا منهم التحليل والتحرير ،  
 ومنحوهم حق الحاكمية والتشريع - ابتداءً من عند  
 أنفسهم - " (٣)

وهذا للأسف مانجده في العديد من الدول الإسلامية ، فهي على الرغم من  
 إعلانها أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، إلا أنها لاتحتكم إلى شرع الله فهي  
 تحل ما حرم الله من خمر وميسر وغير ذلك مما حرمه الله .

ونحن بفضل الله في المملكة العربية السعودية إضافة إلى احتكامنا  
 إلى كتاب الله وسنة نبيه ، نُبين للتلاميذ من خلال ما يدرسونه من مواد  
 أن الحاكمية لغير شريعة الله نوع من أنواع الشرك ، ومن الأمثلة على ذلك ما  
 تم ذكره في كتاب توحيد الصف الأول ثانوى :

" ..... أن المحك الحقيقي للإيمان هو التحاكم إلى  
 شريعة الله ..... وتطبيق منهج الله في كل مجال

(١) سورة النساء : آية ( ٦٠ ) .

(٢) سورة التوبة : آية ( ٣١ ) .

(٣) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٦٨٨ .

من مجالات الحياة وأن التحليل والتحرير بغير ما  
أنزل الله لون من الشرك لا يختلف عن شرك العبادة  
بحال من الأحوال". (١)

ب : تمحيص ما يفد إلينا وما يؤلفه أبناء المسلمين من كتب فى أى مجال  
من مجالات التربية والتعليم ، ووضعها فى مقياس القرآن والسنة ، فيؤخذ  
منها ما يوافق الكتاب والسنة ويترك ما يتعارض معها.

ج : رد الأمر لله والرسول فى جميع المناقشات والحوارات التربوية سواء ما  
كان منها بين المعلمين والتلاميذ ، أو بين المعلمين أنفسهم ، أو بين  
التلاميذ ، داخل أسوار المدارس والجامعات أو خارجها .

أما من يرفضون رد الأمر لله وللرسول وينادون برده إلى علماء الغرب  
التربويين وما يستجد من نظرياتهم بحجة تطورها وملائمتها للعصر ومراعاتها  
لخصائص الإنسان متناسين أو متجاهلين أنه لا يمكن أن يوضع منهج متكامل للإنسان  
أكمل من المنهج الذى وضعه صانع هذا الإنسان سبحانه ، فإنه يجب إقصاءه  
وإبعادهم عن العمل فى مجال التربية والتعليم ، لأنه مجال حساس يجب أن ينتقى  
للعمل فيه أناس ملتزمون ، لينشئوا بالتالى جيلاً ملتزماً يحقق الحاكمية لله  
فى جميع أموره .

(٤) العدل والرجوع إلى الحق :

من صفات القائد التربوى المؤمن العدل عند الحكم فى جميع الأمور  
المرفوعة إليه سواء كان أحد المتخاصمين من هيئته الإدارية أو من أقاربه

(١) محمد قطب : مقرر علم التوحيد . المملكة العربية السعودية : الرئاسة

العامة لتعليم البنات . ط ٧ . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م . ص ١٢٦

- ١٢٧ -

(\*) لأن الخطر الكامن فى ما يؤلفه أبناء المسلمين الذين تلقوا تعليماً علمانياً  
وتأثروا به يكون أكبر، وتأثر القارىء بما يكتبونه يكون أبلغ  
والتخوف من السموم المدسوسة فيه يكون أقل .

أو المقربين إليه أو لم يكن . ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، والذي أقر في الحادثة السابقة ما فعله عمار رضي الله عنه ولم يقر ما فعله خالد رضي الله عنه على الرغم من إمارته للجيش .

كما أن الصلاحيات المخولة للقائد التربوي توجب على المرؤوسين طاعته وأخذ مشورته ، إلا أن هذا المركز القيادي يجب أن لا يمنعه من التحاكم لله والرسول ، والرجوع إلى الحق وطلب الصفح من المرؤوس والعفو عنه إذا أخطأ عليه . كما فعل خالد مع عمار رضي الله عنهما في الحادثة السابقة .

وياحبذا لو تحلى القادة المسلمين في جميع المجالات بهذه الأخلاق القيادية الإسلامية في معاملاتهم .

إضافة إلى ذلك فإن المنزلة التي حظى بها عمار عند ربه والتي بينها الرسول عليه الصلاة والسلام في الحادثة السابقة بقوله : ( من يسب عماراً يسبه الله ومن يبغض عماراً يبغضه الله ) . تثير العزائم وتشدذ الهمم في قلب كل من سمع بها في كل زمان ومكان للعمل الجاد الخالص لله والصبر على الإيذاء في سبيل الله ، للحصول على عظيم أجره . فقد كان عمار بن ياسر رضي الله عنه يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول ، وقد بلغ من تعذيب المشركين لسنسبه أن غطوه في الماء وحرقوه بالنار ليردوه عن الإسلام .<sup>(١)</sup>

==

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

## " النموذج الثالث "

تربية توحيد الأسماء والصفات بالأحاديث

توحيد الأسماء والصفات هو :

" اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال ، وذلك بإثبات ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات ومعانيهما وأحكامها الواردة بالكتاب والسنة " . (١)

وبذلك فإن توحيد الأسماء والصفات يستلزم عدة أمور أهمها :

- أن لا يسمى الله تعالى باسماء لم يسم بها نفسه في قرآنه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .
- أن لا يشرك معه في أسمائه أحد ، أو يكذب بها لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .
- عدم تشبيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه بأى من مخلوقاته ، لقوله جل جلاله : ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٣) .
- قطع الطمع عن إدراك حقيقته ، لقوله عز وجل : ﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٤) . وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ (٥) . وهذه هي طريقة أهل السلف في اعتقادهم

(١) عبد العزيز السلمان : الاسئلة والاجوبة الأصولية ، على العقيدة الواسطية ،

ط ١٢٠ . د . ت . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . ص ٣٢ .

(٢) سورة الاعراف : آية ( ١٨٠ ) .

(٣) سورة الشورى : آية ( ١١ ) .

(٤) سورة الانعام : آية ( ١٠٣ ) .

(٥) سورة طه : آية ( ١١٠ ) .

والتي أخبر عنها ابن تيمية بقوله :

" وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثباتات ما أثبتته من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل . وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه ، مع إثبات ما أثبتته من الصفات من غير الحاد: لا فى أسمائه ولا فى آياته " . (١)

وسوف أتناول بالدراسة فيما يلى سورة شملت أسماء الله وصفاته وهى سورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . (٢) لقوله صلى الله عليه وسلم : " إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن " . فاستدل بذلك على أن " القرآن أنزل أثلاثاً ثلاثاً منه أحكام ، وثلاثاً منه وعد ووعد ، وثلاثاً منه أسماء وصفات . وقد جمعت قل هو الله أحد الثلث الأخير وهو الأسماء والصفات " . (٤)

ومعنى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أى الواحد الوتر المتفرد الذى لا شبيهه له ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك ، أما قوله جل جلاله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ فقد ذكر القرطبي قول العديد من العلماء فى تفسيرها منها قولهم : إنه السيد يصمد إليه فى الحاجات . . . وقولهم : الدائم الباقي الذى لم يزل ولا يزل . . . . . وقولهم : الذى لا يلد ولا يولد لأنه ليس شئ يولد إلا سيموت وليس شئ يموت إلا يورث . . . وقولهم : هو السيد الذى قد كمل فى سؤدده والشريف الذى قد كمل

(١) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية

مرجع سابق . ج ٣ . كتاب مجمل اعتقاد السلف . ص ٣ .

(٢) سورة الإخلاص : آية ( ١ - ٤ ) .

(٣) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى . مرجع سابق . ج ٦ . فضل قراءة قل هو

الله أحد . ص ٩٤ .

(٤) أحمد عبد الرحمن البنا : بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى . فى أحمد عبد

الرحمن البنا الفتح الربانى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل

الشيبانى . القاهرة : دار الشهاب . د . ت . ج ١٨ . ص ٣٤٤ .

فى شرفه .. وقولهم: أنه المستغنى عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد... وقولهم: أنه المقصود فى الرغائب المستعان به فى المعائب .. وقولهم: أنه الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد... وقولهم: أنه الكامل الذى لا عيب فيه... وقولهم: أنه المصمت الذى لا جوف له . ثم قال: إن الصحيح من الأقوال السابقة هو القول الأول<sup>(١)</sup> . إلا أنى أرى ما رآه الطبرانى وذكره ابن كثير بقوله: " قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى كتاب السنة... كل هذه صحيحة وهى صفات ربنا عز وجل."<sup>(٢)</sup>

وبالتالى فإن هذه السورة على قصرها ابطلت جميع المذاهب الضالة فوصف الله بأنه (أحد) ابطل مذهب الثنوية القائلين بالنور والظلمة والنصارى فى التثليث والمبشرين فى الأفلاك والنجوم، ووصف الله بأنه ( وحده الذى يمد إليه بالحاجات ) ابطل مذهب من قال بوجود خالق غير الله لأنه لو كان هناك خالق آخر لما كان الله وحده المصمود إليه فى طلب جميع الحاجات ووصف الله بأنه (لا يلد) ابطل مذهب اليهودى أن عزير ابن الله ومذهب النصارى فى أن المسيح ابن الله والمشركون فى أن الملائكة بنات الله، إضافة إلى ذلك فإن وصف الله بأنه (لا شبيه له ولا نظير) ابطل مذهب المشركين الذين جعلوا الأصنام أكفاء لله وشركاء<sup>(٣)</sup> .

وقد ذكر كل من الواحدى والقرطبى وابن كثير<sup>(\*)</sup> أن هذه السورة نزلت جواباً

لسوءال المشركين حيث روى ابن كعب" أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أنسب لنا ربك فأنزل الله تبارك وتعالى: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**<sup>(٤)</sup> .

فسوءال المشركين للرسول عليه الصلاة والسلام عن نسب الله تعالى، استشار انتباه الحاضرين من مسلمين وغيرهم . فأما المسلمون فإنه استشار عواطفهم وجذب انتباههم وشوقهم للازدىاد فى معرفته سبحانه وتعالى، وأما المشركون وغيرهم فأشار فيهم هذا السوءال حب الاستطلاع للتعرف على خصائص من عبده قومهم ونذروا أنفسهم له وفارقوهم من أجله .

إلا أن الجواب على هذا السوءال لم يأت من الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٢٠ . ص ٢٤٥ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٥٧٠ .

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٣٢ . ص ١٨٥ .

\* انظر : الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٢٤٦ .

القرطبى : المرجع السابق . ج ٢٠ . ص ٢٤٦ .

ابن كثير : المرجع السابق . ج ٤ . ص ٥٦٥ .

(٤) أحمد بن حنبل الشيبانى : مسند الإمام أحمد . فى أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح

الربانى فى ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى . مرجع سابق .

ج ١٨ . سورة الإخلاص : باب نزولها وتفسيرها . ص ٢٤٣ .



وإنما جاء من الله سبحانه وتعالى مستغلاً ما فى النفوس من شغف ، وما فى العقول من استعداد للتفكر ، فأنزل سبحانه وتعالى سورة على قصرها إلا أنها عظيمة فى معانيها ، شاملة لكل من توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات تصريحاً ولتوحيد الربوبية تضميناً .

هذه السورة التى بُدئت بقوله جل جلاله ﴿قُلْ﴾ أى قل لهم يا محمد إن الله الذى أعبدته إله أحد ، لا مثيل له ولا وصيف ، متفرد بالاتصاف بكل صفات الكمال والجلال ، منزّه عن القصور والنقصان ، لم يولد لأن الولادة علامة مسن علامات النقصان ثم الزيادة ، ولا يلد لأن هذه العملية تقتضى وجود زواج يقوم على التماثل وهو ليس كمثله أحد ، لذا استحق سبحانه تسليم الأمر له والحاكمية له فى جميع الأمور .<sup>(١)</sup>

وهذا فيه دلالة على أن آلهتهم التى يعبدونها مع الله إضافة إلى أنها لا تتفرد بصفات الكمال والجلال ، لا تتمف باى صفة من تلك الصفات . لذا فهى لا تستحق أن يتوجه إليها باى نوع من أنواع العبادة .

وهذه الحادثة وما نزل فيها من آيات تضمنت مبادئ تربية يمكن تطبيقها والاستفادة منها فى مجال التربية والتعليم فى الوقت الحاضر ومسن ذلك :

(١) إثبات التوحيد ونفى الشرك بأنواعه :

السورة السابقة دعوة إلى أفراد الله بالألوهية وتربية الناس على ذلك ، عن طريق إثبات تفرد الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال جميعها وتنزهه عن الشبيه والمثيل ، وبذلك فهو الوحيد المستحق للتوجه إليه بجميع أنواع العبادة ، وجعل الحاكمية له فى جميع الأمور .

ويمكن الانطلاق من هذه النقطة فى تربية الناشئة تربية إيمانية صحيحة عن طريق تعريفهم بأنواع الشرك ، وأنه ليس قاصراً على عبادة الأصنام فقط ، إنما كل ما يعبد من دون الله من جن .. ملائكة .. شجر .. حجر .. شمس .. نجم

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣٠ . ص ٤٠٠٤ .

••• بشر أحياء أو أموات ممن استغلوا ما وهبهم الله من طاقات في أى مجال من المجالات . ثم بيان عدم أهلية أى من ذلك للتوجه إليه بالعبادة ، لعدم اتصافه بصفات الكمال أو خلوه من القصور والنقصان ، وأنها جميعاً من خلُق الله وقاصرة عن إجابة الدعاء كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيُسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

(٢) منح فرصة التعلم للجميع :

إتاحة الرسول عليه الصلاة والسلام الفرصة للمشركين لطرح سؤالهم يلفت الانتباه إلى مبدأ مهم من مبادئ التربية الإسلامية وهو إتاحة فرصة التعلم للجميع ، وعدم قصر الأحقية في التعلم على فئة معينة من الناس .

وهذا ما يمكن الاستفادة منه في مجال التربية والتعليم في جميع البلاد الإسلامية . ففي الصف المدرسي أو في قاعة المحاضرة قد يوجد طلاب مسلمين وطلاب غير مسلمين ، وقد يوجد أيضاً طلاب ملتزمين وطلاب غير ملتزمين تأثرت أفكارهم بتيارات دخيلة . لذا فإن على المعلم أن يتيح الفرصة للجميع لطرح الأسئلة ويجيبهم عليها . بل إن المعلم المؤمن المتمكن يتوق دوماً لأن يسأل التلاميذ غير المسلمين أو غير الملتزمين أسئلة تتعلق بالجانب الإيماني ليتعرف من خلالها على أفكار تلاميذه ، ومن ثم يعمل جاداً على دعوتهم والأخذ بيدهم ليسلكوا الطريق الصحيح والمنهج القويم ، أو على أقل تقدير زرعهم وتشكيكهم في صحة ما يعتقدونه من أفكار غير صحيحة ، مستخدماً في ذلك العديد من الوسائل والتي منها :

أ - قراءة نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وشرحها بأسلوب جيد يبرز صحة وقوة الإسلام .

ب - فتح المجال للنقاش في موضوع التوحيد بين التلاميذ الملتزمين وغير

(١) سورة الأعراف : آية ١٩٤ .

الملتزمين تحت إشرافه ، لأن في ذلك تدريباً للتلاميذ الملتزمين على  
الدفاع عن الإيمان والدعوة إليه من جهة ، وتحسينهم مما قد يفقد إليهم  
مستقبلاً من تيارات معادية للإسلام .

وفي هذه المناقشات يكون النصر عادة للفئة الملتزمة سواء اعترفت  
الفئة غير الملتزمة أم لم تعترف ، بسبب ثبات وقوة حجة الملتزمين .

(٣) استخدام الطريقة القياسية كطريقة من طرق التعلم :

كون الآية النازلة في الحادثة السابقة تبدأ بذكر الإطار العام أو القاعدة  
الأساسية التي تنطلق منها أسماء الله وصفاته ، وهي أن الله أحد " أي لاشيء  
غيره معه وأن ليس كمثل شئ " ثم توضحها لهذه القاعدة وشرحها لها بعد ذلك  
حيث قال سيد قطب : " معنى أن الله أحد أنه الصمد وأنه لم يلد ولم يولد ولم  
يكن له كفواً أحد ولكن القرآن يذكر هذه التعريفات لزيادة التقرير والإيضاح " (٢)  
يلفت الانتباه إلى تطبيق التربية القرآنية لطريقة من طرق التعلم توصل إليها  
العلماء نتيجة جهودهم وأبحاثهم بعد ذلك ، وسموها بالطريقة القياسية ، والتي  
شرحها صالح عبد العزيز بقوله :

" ينتقل فيها المدرس من العام إلى الخاص ومن القاعدة  
إلى الأمثلة ، ومن الكليات إلى الجزئيات ، لتوضيح تلك  
القاعدة الجديدة ، والبرهنة على صحتها وثبوتها فسي  
أذهان التلاميذ " . (٣)

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣٠ . ص ٤٠٠٢ .

(٢) المرجع نفسه : ج ٣ . ص ٤٠٠٤ .

(٣) صالح عبد العزيز : التربية وطرق التدريس . مصر : دار المعارف . ١٩٦٥ م  
ج ١ . ص ٢٧٨ .

وهذه الطريقة هي من ضمن الطرق المستخدمة في التعليم في مدارسنا .

(٤) تدريب التلاميذ على الإيجاز :

كون الآية النازلة في هذه الحادثة لم تُفصل ولم تسهب في ذكر أسماء الله وصفاته ، وإنما عبرت عنها جميعاً وشملتها في سورة قصيرة قال عنها الرسول عليه الصلاة والسلام: " والذى نفس بيده إنها لتعدل ثلث القرآن " (١) . يشير إلى الإعجاز القرآني ، وإلى ضرورة تدريب التلاميذ على اختيار عبارات موجزة للتعبير عما يريدون إيضاحه من معلومات . وهذا بالطبع يستلزم تمكناً مسن اللغة العربية ، يتأتى عن طريق التدريس الجيد لها ، والاهتمام باستخدامها وعدم إحلال اللهجة العامية محلها .

==

(١) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٦ . كتاب فضائل القرآن . فضل قل هو الله أحد . ص ٢٢٢ .

" النموذج الرابع "

( تربية الإيمان بالملائكة بالأحداث )

ذكر الفخر الرازي أن أكثر المسلمين عرفوا الملائكة بأنهم " أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات " (١)

والإيمان بالملائكة يعنى :

" التصديق الجازم بأن لله ملائكة موجوديين  
..... ، وأنهم كما وصفهم الله عباد  
مكرمون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وأنهم  
لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يسؤرون ، وأنهم  
قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها " (٢)

وقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره هذه الوظائف ، والتي أقوم فيما يلي بعرض بعض منها :

أ - حمل العرش لقوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ (٣)

ب - الحفوف أو الإحداق حول العرش لقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيئًا مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ (٤)

ج - الصلة بين الله وبين الرسل كما قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ (٥) والأمين هو الملك جبريل عليه السلام .

- 
- (١) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٢ . ص ١٦٠ .  
(٢) عبد العزيز السلطان : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية . مرجع سابق . ص ٥٨ .  
(٣) سورة الحاقة : آية ( ١٧ ) .  
(٤) سورة الزمر : آية ( ٧٥ ) .  
(٥) سورة الشعراء : آية ( ١٩٣ - ١٩٤ )

د - قبض الأرواح لقوله سبحانه : \* ... حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ  
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ \* (١)

هـ - النفخ في الصور : لقوله تعالى : \* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَضَىٰ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ \* . وقد دلت الأخبار على أن الملك إسرافيل عليه السلام هو الموكل بالنفخ في الصور .

و - ملائكة الجنة والذين أخبر عنهم تعالى بقوله : \* ..... وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ \* (٢)

ز - ملائكة النار كما قال عنهم عز من قائل : \* وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ..... \* الآية . (٤)

ح - كتابة الأعمال لقوله جل جلاله : \* وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ \* (٥)

ط - الموكولون ببني آدم لقوله تعالى : \* لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ..... \* الآية . (٦)

• (٧) إضافة إلى صاحب الأرزاق والأغذية الملك ميكائيل عليه السلام .

ومن أوصاف الملائكة والتي أخبر عنها جل جلاله في محكم كتابه ويجب

الإيمان بها مايلي :

- (١) سورة الأنعام : آية ( ٦١ ) .
- (٢) سورة الزمر : آية ( ٦٨ ) .
- (٣) سورة الرعد : آية ( ٢٣ - ٢٤ ) .
- (٤) سورة المدثر : آية ( ٣١ ) .
- (٥) سورة الانفطار: آية ( ١٠ - ١١ ) .
- (٦) سورة الرعد: آية ( ١١ ) .
- (٧) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٢ . ص ص :

- طاعة الله الدائمة كما قال تعالى : \* ..... لَا يَعْصُونَ  
اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ \* (١)

- التسبيح المتواصل لله والذي أخبر عنه  
تعالى بقوله : \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ  
لَا يَفْتُرُونَ \* (٢)

- لا يفعلون أى شىء إلا بوحى الله وأمره كما قال  
تعالى : \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ  
يَعْمَلُونَ \* (٣)

- خشية الله والخوف منه مع كثرة عبادتهم  
وعدم اقترافهم لأى زلة كما أخبر تعالى  
عن ذلك بقوله : \* يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ \* (٤)

وبالتالى فإيمان الإنسان بالملائكة وبأنهم  
يعبدون الله ليلاً ونهاراً ولا يفترون ، ولا يعصون الله  
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، منزهون عن  
ارتكاب أى ذنب أو اقتراف أى إثم ، داعبون على  
الطاعات ، ومع ذلك كله خائفون مشفقون

- 
- (١) سورة التحريم : آية ( ٦ ) .
  - (٢) سورة الأنبياء : آية ( ٢٠ ) .
  - (٣) نفس السورة : آية ( ٢٧ ) .
  - (٤) سورة النحل : آية ( ٥٠ ) .

وجلون من عذاب ربهم ، فإن ذلك كله يدفعه إلى التشبه بهم والاقتران بهم في عبادتهم ، وطاعتهم لربهم ، وفي خوفهم منه ، وخشيتهم إياه . وقد بلغ من خوف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من عذاب الله ، حرصهم على التزام الطاعات، وترك المحرمات أن قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : " لو أنى بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير " ، <sup>(١)</sup> على الرغم من أنه كان " قانتاً آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه غالب أحواله الكرم والحياء ، والحذر والرجاء ، حظه من النهار الجود والصيام ، ومن الليل السجود والقيام " . <sup>(٢)</sup>

كما أن الإيمان بالله وملائكته يدفع الإنسان للسير في الطريق المستقيم واتباع أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، طمعاً في تبشير الملائكة له بالجنة عند موته وفي قبره وحين يبعث " . <sup>(٣)</sup> كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ . فهذا هو الإيمان الذي دفع سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى أن ينضح المسك حول فراشه حين حضرته الوفاة ويقول : " فإنه يحضرنى الليلة ملائكة يجدون الريح ولا يأكلون الطعام " . <sup>(٥)</sup>

كما أن المؤمن بالملائكة يبتعد عن القول الفاحش والعمل السيء، خجلاً وحياءً من الملائكة الموكلة به ، وخوفاً من أن تسجل عليه ما يسؤه يوم العرض الأكبر .

- 
- (١) الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . مصر : مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة . ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م . ج ١ . ص ٦٠ .
- (٢) المرجع نفسه . ج ١ . ص ٥٥ .
- (٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٩٩ .
- (٤) سورة فصلت : آية ( ٣٠ ) .
- (٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٩٢ .



وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم العديد من الأحاديث التي تحفز المؤمن بالله وملائكته على الذكر، وطلب العلم ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة حيث قال :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله ، تنادوا : هلموا إلى حاجتكم . قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربهم ، وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قالوا : يقولون ، يسبحونك ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون ، لا والله ! ما رأوك . قال : فيقول وكيف لو رأوني ؟ قال : يقولون لو رأوك كانسوا أشد لك عبادةً ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً قال : يقول فما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة قال : يقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون ، لا والله يارب . ما رأوها . قال : يقول فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال : يقولون لو أنهم رأوها ، كانسوا أشد عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبةً . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون من النار . قال : يقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله . ما رأوها . قال : يقول فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافةً . قال : فيقول فأشهدكم أنني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ، ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ..... قال : هم الجلساء ، لا يشقى بهم جليسهم " . (١)

وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : " إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب " . (٢)

(١) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٨ . كتاب الدعوان باب فضل

ذكر الله عز وجل . ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) الدارمى : سنن الدارمى . مرجع سابق . ج ١ . باب فى فضل العلم والعالم .

حديث ٣٦٣ . ص ٨٥ .

وقد بلغ من حرص المسلمين على ملازمة الذكر أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان  
 " يجمع كل ليلة الفقهاء يتذكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن  
 بين أيديهم جنازة " . (١)

أما حرصهم على طلب العلم والتعلم وتأثرهم بحفاز الملائكة لهم ، فيتضح  
 من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " اغد عالماً أو متعلماً ، ولا تغد فيما بين ذلك ، فإن  
 ما بين ذلك جاهل ، وإن الملائكة تيسنط أجنحتها للرجل غدا يبتغي العلم من  
 الرضاء بما يصنع " . (٢)

ولقد دفعهم إيمانهم وحرصهم على طلب العلم طمعاً في رضا الله وخفض  
 جناح الملائكة لهم ، إلى السفر من بلد إلى بلد في طلب العلم ، مع ما في  
 السفر من مشقة وصعوبة في ذلك الوقت ، ومن ذلك ما رواه قيس بن كثير حيث  
 قال :

" قدم رجل من المدينة إلى أبي الدرداء - رضي الله عنه - وهو  
 بدمشق فقال: ما أقدمك أي أخي، قال: حديث بلغني أنك  
 تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أما قدمت  
 لتجارة؟ قال: لا، قال: أما قدمت لحاجة؟ قال: لا، قال:  
 ما قدمت إلا في طلب هذا الحديث؟ قال:  
 نعم ، ..... " (٣)

ونظراً لأهمية الإيمان بالملائكة وعظم تأثيره في النفوس فقد سعت التربية  
 القرآنية إلى غرسه في نفوس الناس، مستخدمة في ذلك العديد من الوسائل ،  
 ومن ذلك ما حدث في غزوة بدر الكبرى تلك الغزوة المشهورة ، أول التقاء (\*)

(١) ابن الجوزي، الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . سيرة عمر بن

عبد العزيز . مصر . د . ن . ت . ص ١٥٦ .

(٢) الدارمي: سنن الدارمي، مرجع سابق . ج ١ . باب فضل العلم والعالم . حديث رقم ٣٤٦٠ . ص ٨٢ .

(٣) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد . في أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح الرباني . مرجع سابق .

ج ١ . كتاب العلم . باب في الرحلة إلى طلب العلم وفضل طالبه . ص ١٤٩ .

(\*) سبقت هذه الغزوة عدة سرايا ، لم يقع قتال إلا في واحدة منها هي سريّة

عبد الله بن جحش في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من هجرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( انظر سيد قطب : في ظلال

القرآن . ج ٩ . ص ١٤٥٣ ) .

حقيقى بين الإيمان والكفر ، حيث أنزل الله تعالى فيها قوله جل جلالته :  
 ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ (١)  
 فأخبر الله تعالى فى هذه الآية عن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم  
 بدر ، وشدة طلبه الغوث والنصر من الله سبحانه وتعالى ، واستجابته عز وجل  
 لدعائه بإعانتة بألف من الملائكة متتابعين ، تأتى فرقة بعد فرقة فذلـك  
 (٢)  
 أهيب فى عيون العدو .

وأورد مسلم سبب نزول هذه الآية فى صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال:

" لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة  
 عشر رجلاً ، فاستقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم  
 القبلة ، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه ، اللهم  
 أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم آت ما وعدتنى ، اللهم  
 إن تهلك هذه العصاة من أهل الإسلام لأتعبد فى  
 الأرض . فمزال يهتف بربه ، ماداً يديه ، مستقبـل  
 القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو  
 بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من  
 ورائه . وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك  
 فانه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله عز وجل:  
 ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ  
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾ (٣)

ففى هذه الغزوة إيمان الرسول عليه الصلاة والسلام بأن القوة الوحيدة  
 الفعالة التى بيدها النصر هى قوة الله ، هذا الإيمان وهذا اليقين جعله  
 يتوجه إلى الله بكل أدب وبتدعوه بكل ابتهال وخشوع ، طالباً منه جل جلالته  
 النصر لهذه الفئة القليلة المؤمنة التى لاتضاهى المشركين لا فى عددها

(١) سورة الأنفال : آية ( ٩ ) .

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٧ . ص ٣٧٠ .

(٣) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى . مرجع سابق . ج ١٢ . كتاب الجهاد والسير .

باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر . ص ٨٤ - ٨٥ .

ولا فى عدتها . فإن لم ينصرها الله فأنى لها النصر ، وإن لم يعنها الله فأنى لها العون .

وإذا هلكت هذه الجماعة المؤمنة التى شهد المجتمع كيفية إيمانها ، وما لاقتة من عذاب فى سبيله ، وما قدمته من تضحيات من أجله ، تضحيات بالوطن حيث هاجرت من موطنها ، وتضحيات بالأبباء والأبناء والأخوان والعشيرة لدرجة أنها وصلت إلى حد مقاتلتهم فى هذه الغزوة من أجل إعلاء كلمة الله كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ لَتَجِدَنَّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ . . . . . ﴿ الآية (١) . فإذا قُتلت هذه الفئة التى نذرت نفسها على مشهد من الملائكة فمضى عليها فى هذه الواقعة ، فأى قائمة تقوم للإيمان بالله وحده فى الأرض بعد ذلك ؟ ومن ذا الذى يدخل فى دين الله بعد ذلك؟ لذا توجه رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعاء إلى ربه لينجز وعده وينصر دينه ونبيه وعباده .

تنزلت الآيات القرآنية مستغلة ما فى المعركة من رعب ، وما فى النفوس من خوف ، وما فى القلوب من حنين وشوق لنصر الله ، نزلت الآيات تُشَبِّهت المؤمنين وتخيبرهم بأن الله معهم ، وأن اللين سيُنصر دينه ، ويجيب دعوة نبيه فالنصر من عند الله . جاء التشبيبت وجاء النصر من الله لهذه الفئة القليلة المؤمنة ، بطريقة عملية لم يكونوا متوقعين حدوثها ، فجاء الإخبار من الله بأنه سيمدهم بجنود من عنده حيث قال جل جلاله : ﴿ أَرْسِلْ مَعَكُمْ بِالْفَتْحِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾

(\*) انظر سبب نزول هذه الآية . ص ٤٨ فى الفصل الأول .

(١) سورة المجادلة : آية ( ٢٢ ) .

جاءت الآية مطمئنة للمؤمنين ومثبتة لقلوبهم فكيف لا تثبت القلوب

ولا يقوى الإيمان وجنود الله ستقاتل معهم وستثبتهم .

وقد أخبر تعالى عن ما حدث في هذه المعركة بقوله : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (١) .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام في هذه المعركة : هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب " . (٢)

وأخبر الصحابة رضوان الله عليهم عن ما حدث في هذه المعركة، ومن ذلك

قول ابن عباس :

" بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم\*، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين " . (٣)

وقول ابن عباس أيضاً كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر من الأيسام وكانوا فيما سواه عدداً ومدداً " (٤)

(١) سورة الأنفال : آية (١٢) .

(٢) البخاري: صحيح البخاري . مرجع سابق . ج ٥ . كتاب المغازي . باب شهود الملائكة بدر . ص ١٠٣ .

(\*) حيزوم : اسم فرس الملك .

(\*\*) الخطم : الأثر على الأنف . انظر النووي في صحيح مسلم بشرح النووي . ج ١٢ . ص ٨٦ .

(٣) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١٢ . باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر . ص ٨٥ - ٨٦ .

(٤) أحمد عبد الرحمن البنا : بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرياني . مرجع سابق . ج ١٨ . باب قوله عز وجل . إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . ص ١٥٠ .

فمن الذى لا يؤمن بقدره الله وحده بعد ذلك ، ومن الذى لا يؤمن بوجود

الملائكة بعد هذا الإثبات المدعوم بالخبر الصادق المسموع منه والمشاهد .

هكذا استغلت التربية القرآنية هذا الحدث التاريخى لغرس الإيمان

بالملائكة فى نفوس الناس .

هذه الغزوة وما تنزل فيها من آيات تفتح المجال لاستنباط مبادئ

تربوية من أهمها :

### (١) التأدب مع الله :

صور سبب نزول هذه الآيات كيفية تأدب الرسول عليه الصلاة والسلام

مع ربه عند دعائه ، حيث إستقبل القبلة ، ورفع يديه ، ثم توجه إلى الله

مبتهلاً خاشعاً ، جاداً فى الدعاء ، حريصاً على الإجابة ، واثقاً من قدرة من

يناجيه ، وهذا الجد فى الدعاء أخبر عنه تعالى بقوله : ﴿ إِذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ .

إن هذا التأدب وهذا الخشوع والجد والمواظبة فى الدعاء والثقة

فى الإجابة هذا كله ينبغى على المؤمن أن يعود من يربيههم على القيام به .

وأن لا يقتصر ذلك على الدعاء فقط بل يشمل جميع أنواع العبادات .

### (٢) التفوق والنصر بيد الله وحده سبحانه وتعالى :

فعلى الرغم من إمداد الله للمؤمنين فى هذه الواقعة بألف من

الملائكة ، وانتصار المؤمنين فيها ، إلا أن السبب الحقيقى المؤدى إلى النصر

هو الله . لذا ينبغى على معلم التاريخ عند عرضه لأحداث هذه الغزوة ، وما جرى

فيها من إمداد الله عباده المؤمنين بالملائكة ثم منته عليهم بالنصر ،

أن لا يعزى نصر المؤمنين إلى وجود الملائكة وإنما يرده إلى الله سبحانه

وتعالى . ويبين لهم أن وجود الملائكة عمل على تثبيت وطمئنة المؤمنين

وتبشيرهم بأن نصر الله قادم ، لكن ليس هذا هو السبب الحقيقى فى النصر

لقله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ . وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ \* .  
(١)

فالعدة والعتاد سبب من أسباب النصر، لكن القوة الحقيقية التي تؤدي إلى النصر هي القوة المالكة لهذه الأسباب، والمتصرف فيها، وهي قوة الله سبحانه وتعالى . كذلك التفوق في الدراسة أو في أي مجال من مجالات الحياة يستلزم وجود أسباب معينة : علم ... وعمل .. ومثابرة ... ذكاء .... قدرة على التفكير الصحيح ... بيئة علمية ... إلا أنه يجب عدم إغفال السبب الحقيقي الذي يؤدي إلى التفوق وهو الله سبحانه وتعالى .

لذا يجب على المرء أن يعود من يربيههم على الأخذ بجميع أسباب التفوق والنجاح ثم الاعتماد على مالك الأسباب سبحانه ليسهل لهم سبل النجاح لقوله تعالى : ﴿ ... فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ \* .  
(٢)

### (٣) الإيمان طريق النصر :

إن النظرة المادية إلى عدد الفئتين المتقاتلين وعتادهم في هذه الغزوة ، يؤكد على أن النصر لا محالة سيكون للمشركين ، لم لا ؟ وهم المتفوقون عدداً وعدة . وعلى الرغم من ذلك فقد حاق بهؤلاء المشركين شر هزيمة ! وهذا يدعو للتساؤل بأي شيء تمكن المسلمون من الانتصار على المشركين مع قلتهم في عددهم وضعفهم في عدتهم ؟ وهل هناك قوة أخرى غير العدد والعدة ، يمكن أن يُجهز بها الغزاة لينتصروا بها على عدوهم كما انتصر هؤلاء المسلمون ؟ والإجابة على هذا السؤال هي نعم ، هناك قوة أخرى تفوق القوة في العدد والعدة ، وهي قوة الإيمان بالله ، هذه القوة

(١) سورة الأنفال : آية ( ٩ - ١٠ ) .

(٢) سورة آل عمران : آية (١٥٩) .

التي توفرت في القائد والجنود في غزوة بدر ونالوا بسببها النصر والإمداد بالملائكة .

فالقائد دعا ربه مخلصاً ونزلت الملائكة إشدراك، تقاتل مع تلك الفئة القوية الإيمان ، وتثبت أقدامهم ، حتى تم نصر الله لهم . فهل هناك ما يمنع من الإمداد بالملائكة ، أو النصر مباشرة للمسلمين في الوقت الحاضر إذا عين لهم قائد قوى الإيمان يتوجه إلى ربه بالدعاء بكل إخلاص ويقيس، وإذا ربي جنودهم على قوة الإيمان بالله ، والثقة بنصره ، وكان هدفهم من قتالهم هو إعلاء كلمة الله ؟ لا ، ليس هناك ما يمنع ذلك لقوله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (١) .

فهاهم الأفغانستانيون أقرب المسلمين للإسلام في الوقت الحاضر ، يقفون بأسلحتهم البدائية المحدودة أمام أكبر قوة في العالم، يكبلونهم الخسائر تلو الخسائر في الأرواح والمعدات . فقوة الإيمان لا تقف أمامها أي وسيلة من وسائل التقنية الحربية مهما بلغت في القوة !

فإذا أراد المسلمون أن ينتصروا في أي بقعة من بقاع الأرض ، فإن الطريق أمامهم واضح وممكن ، لا يعتمد على كثرة في العدد أو قوة في العتاد، ألا وهو تربية الجنود تربية إيمانية . فالإيمان بالله والثقة بنصره وعونه هو الطريق الوحيد لاستعادة القدس ، وتحرير أفغانستان ، ونصر الأقليات المسلمة في أي مكان .

(٤) للعرض والمشاهدة أثر في نجاح عملية التعلم :

لقد تم في هذه الغزوة غرس الإيمان بالملائكة في نفوس الناس بصورة

(١) سورة محمد: آية (٧) .



عملية ، حيث جاء الإخيار بإنزال الملائكة ، ثم تم مشاهدة بعض آثارهم  
فى المعركة .

وهذه الطريقة يمكن أن يستخدمها المعلم ، خاصة عند شرح المعلومات  
الصعبة وغير الملموسة أو مشاهدة فى الحياة ، لتقريبها إلى أذهان التلاميذ،  
والعمل على إقناعهم بها ، فيتم ذكر القاعدة أو القانون أولاً ، ثم عرض  
التجربة التى تثبت صحته . أما بالنسبة للقوانين السهلة أو الملموسة  
فيفضل عرض التجربة على التلاميذ أولاً ، ثم استنتاج القاعدة منهم بعد  
مشاهدتهم لنتائجها .

==

## " النموذج الخامس "

تربية الإيمان بالكتب الإلهية بالأحداث .

جاء في معنى الإيمان بالكتب الإلهية أنه :

" التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه  
ورسله ، وهي من كلامه حقيقة ، وأنها نور وهدى ،  
وأن ماتضمنته حق وصدق ، ولا يعلم عددها إلا الله...  
وأنه يجب الإيمان بها إجمالاً ، إلا ماورد منها  
مفصلاً فإنه يجب الإيمان به على التفصيل " . (١)

ومن الكتب السماوية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم مايلي:

\* صحف إبراهيم وموسى : والتي أخبر عنها تعالى بقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِصْلِ  
الْصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٢)

\* الزبور : والذي أخبر عنه تعالى بقوله : ﴿ ... وَآتَيْنَا دَاوُدَ  
الزَّبُورَ ﴾ (٣)

\* التوراة : والتي تم ذكرها في أكثر من موطن في القرآن الكريم ،  
ومن ذلك قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا  
هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ... ﴾ الآية . (٤)

\* الإنجيل : والذي ذكره سبحانه وتعالى في أكثر من موطن من كتابه  
العزیز، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم  
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ

(١) عبدالعزیز السلماني : الاسئلة والأجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية . مرجع

سابق . ص ٢٥ .

(٢) سورة الأعلى : آية ( ١٨ - ١٩ ) .

(٣) سورة النساء : آية ( ١٦٣ ) .

(٤) سورة المائدة : آية ( ٤٤ ) .

(١) **الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۝ ٥٠٠٠ ۝ آيَةَ ۝**

وهذه الكتب جميعها منزلة من الله سبحانه وتعالى ، ويجب الإيمان بذلك ، مع عدم الأخذ بما هو موجود بها ، لما أصابها من تحريف على أيدي أصحابها كما أخبر عن ذلك سبحانه وتعالى بقوله : **﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا ۝ ٥٠٠٠ ۝ آيَةَ ۝ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لَا تَصَدَّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ وَقُولُوا : (آمَنَّا بِاللَّهِ ۝ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ) " ۝** (٣)

الإيمان بكتب الله جميعاً يشعر المؤمن بعناية الله بالبشر منذ خلقهم وأنه لم يتركهم يتيهون ويتخبطون ، ويبحثون عن طريق يسلكونه ، ومنهج يسيرون وفق أحكامه ، وإنما كان يمددهم بالكتب لينير لهم طريقهم ، ويهديهم إلى سبيل النجاة من عذابه ، والحصول على مرضاته . وهذا بالطبع يدفع الإنسان المؤمن إلى التزام طاعة الله والسير وفق منهجه .

وبما أن الكتاب الوحيد الذي تعهد الله حفظه بنفسه وصيانتته من التحريف هو القرآن الكريم ، لقوله تعالى : **﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ٥٠٠٠ ۝ لَٰذَا فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يُطَبِّقُ مِنْهُجَ اللَّهِ الْمَوْجُودَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَيَحْتَكِمُ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ ، لقوله تعالى : ﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۝ ٥٠٠٠ ۝ آيَةَ ۝ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " تَرَكْتُ فِيكُمْ أُمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ**

(١) سورة المائدة : آية ( ٤٦ ) .

(٢) سورة النساء : آية ( ٤٦ ) .

(٣) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٩ . كتاب الاعتصام بالسنة . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء . ص ١٣٦ .

(٤) سورة الحجر : آية ( ٩ ) .

(٥) سورة الأنعام : آية ( ١١٤ ) .

(١)  
وسنة نبويه « .

فكتاب الله خير منهج ، وخير هاد ، وخير حاكم ، وبذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم : " .....  
إن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم  
فإن أعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له " .  
(٢)

ذلك المنهج الذى حرص المسلمون الأوائل على تطبيقه كل الحرص وممن  
ذلك قول على رضى الله عنه : " ما حكمت مخلوقا ما حكمت إلا القرآن " .  
(٣)

ولقد أسفر تمسك المسلمين الأوائل بالقرآن الكريم قولاً وعملاً ومنهج  
حياة ، عن حضارة لم يسبق لهم أن عرفوها قبل معرفة القرآن وتطبيق منهجه ،  
حضارة بدأت تتناقص حتى كادت تتلاشى مع تناقص الاحتكام إلى منهج الله .

وقد كانوا حريصين على قراءة القرآن كما كانوا حريصين على تطبيقه  
ومن ذلك ما ذكره البيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث قال:

" قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله  
عنه : إني لأكره أن يأتى على يوم لا أنظر فى  
المصحف ، وما مات عثمان رضى الله عنه حتى خرق  
مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه " .  
(٤)

وقد بلغ من إيمان المسلمين الأوائل بكتاب الله ، أن القارىء منهم

(١) مالك بن أنس بن مالك : موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثى . إعداد  
أحمد راتب عرموش . بيروت : دار النفائس . ط ٧ . ١٤٠٤ هـ -  
١٩٨٣ م . كتاب الجامع . باب النهى عن القول بالقدر . حديث رقم ١٦١٩ ص ٦٤٨ .

(٢) ابن هشام : سيرة ابن هشام . مرجع سابق . ج ٤ . ص ١٧٦ .

(٣) البيهقى ، أحمد بن الحسن بن على : كتاب الأسماء والصفات . الهند :  
أنوار أحمد باله آباد . ١٣١٣ هـ . ص ١٨٢ .

(\*) أى القراءة فيه .

(٤) المرجع نفسه . ص ١٨٢ .

يقرأ القرآن فتفيض عينه بالدمع من خشية الله ، أو يسقط مريضاً من شدة الخوف من الله عند قراءة كتابه ، فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه " يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يعساده بحسبونه مريضاً " .<sup>(١)</sup>

والمؤمنون يكتب الله جميعاً يشعرون عند قراءة القرآن بالعسرة والاستعلاء ، لما يقرءون من تكريم الله لهذه الأمة ولنبيها ، يذكره عليه الصلاة والسلام وذكرهم في الكتب السابقة وامتداحهم فيها ومن ذلك قول الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>

وقوله تعالى :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>

- (١) الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . مرجع سابق . ج ١ . ص ٥١ .  
 (٢) سورة الأعراف : آية ( ١٥٧ ) .  
 (٣) سورة الفتح : آية ( ٢٩ ) .

إضافة إلى ذلك فإن إيمان المؤمن بالقرآن الكريم والكتب الإلهية السابقة ، يزيد من حفره ودفعه للجهاد في سبيل الله ، حينما يقرأ وعد الله بالجنة لمن قاتل في سبيله ، وأن هذا الوعد لم يقتصر ذكره على القرآن فقط وإنما ورد في الكتب السابقة والذي أخبر عن ذلك سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ أَنِ إِذَا قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

وقد بلغ من حرص المسلمين الأوائل على الجهاد والقتل في سبيل الله أن يتمنى الرجل منهم الشهادة في سبيل الله ، ويبكى إذا مات على فراشه . ومن هؤلاء خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي بكى عندما حضرته الوفاة وقال : " لقد حضرت كذا وكذا زحفاً ، ومافى جسدى شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراش حثفأ نفى كما يموت البعير فلان مات أعين الجبناء " (٢)

كذلك فإن الإيمان بالكتب الإلهية يزيد من تقوى الله ، لما يستشعره المؤمن من حث الله عياده على التقوى وتوصيته إياهم بها في الكتب السماوية السابقة وفي القرآن الكريم كما أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مَافِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (٣)

لذا فقد حرصت التربية القرآنية على تربية الناس على الإيمان بجميع الكتب الإلهية وتوجيه أنظارهم إلى أنه لا يكمل إيمان المرء إذا آمن ببعض

(١) سورة التوبة : آية ( ١١١ ) .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية . مرجع سابق . ج ٧ . ص ١١٤ .

(٣) سورة النساء : آية ( ١٣١ ) .

هذه الكتب وكفر ببعضها — ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ  
الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ  
وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (١)

فيأمر الله في هذه الآية من آمن من عباده بالدخول في جميع شرائع  
الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه — فأمرهم بالإيمان به وحده ، وبرسوله محمد  
صلى الله عليه وسلم ، ﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴾ أي القرآن ، ﴿ وَالْكِتَابِ  
الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ أي جميع الكتب السماوية المتقدمة . وقال في القرآن نزل  
وفي الكتب المتقدمة أنزل لأن تلك الكتب أنزلت جملة واحدة أما القرآن  
فقد نزل منجماً على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم وفي معادهم .  
ثم بين سبحانه أن من يكفر بأى ركن من أركان الإيمان فقد خرج عن طريق الهدى ،  
وبعد عن القصد كل البعد . (٢)

والحادثة التي كانت سبب النزول هذه الآية أوردتها السيوطى كاملة فى تفسيره بقوله :

" أخرج الشعلبي عن ابن عباس أن عبد الله بن سلام وأسد وأسيد  
ابنى كعب وشعلبة بن قيس وسلاما ابن أخت عبد الله بن سلام  
وسلمة ابن أخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فقالوا : يا رسول الله إننا نؤمن بك وبكتابك وموسى  
والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل ، فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابيه  
القرآن وبكل كتاب كان قبله ، فقالوا : لا نفعل ، فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ  
وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ قال : فأمنوا كلهم " . (٣)

وبالتالى فإن الآية نزلت رداً على ما قاله أحبار اليهود لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ، جاءت تقول لهم يا أيها الذين آمنوا بمحمد والقرآن وبعزير

(١) سورة النساء : آية ( ١٣٦ ) .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٥٦٦ .

(٣) السيوطى : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . مرجع سابق . ج ٥ . ص ٧١٦ .

وموسى والتوراة، لا يتحقق إيمانكم ولا يعتبر بسببه إلا إذا آمنتم بالله وحده ، وبرزلسمه جميعهم ، والكتب المنزلة منه جميعاً .

فوصفهم بالإيمان ، مع عدم تحققه لديهم بعد ، فيه استمالة لقلوبهم وتهيئة لنفوسهم ، لسماع ما سيأتى لهم بعد ذلك من أوامر وتوجيهات من الله سبحانه وتعالى . وبالفعل جاءت الأوامر من الله جل جلاله مبينة لهم ولغيرهم أن الإيمان الصحيح لا يكون إلا بالإيمان بالله وحده فهو الخالق لهم ولهذا الكون المسخر كل ما فيه لنفعهم ، وهو الذى بعث الرسل جميعهم لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾ الآية <sup>(١)</sup> . وهؤلاء الرسل يدعون الناس لعبادة الله وفق منهج ربانى معين أنزله الله وأودعه كتبه ، فجميع الكتب السماوية ما نزل منها منجماً أو جملة مصدرها واحد ، وهو الله ، وتدعوا إلى دين واحد ، وهو الإسلام .

فبما أن الرسل جميعهم مبعوثون من الله سبحانه وتعالى ، وبمــــا أن الكتب السماوية جميعها منزلها مصدر واحد وهو الله ، فكيف يصح لعاقل أن يؤمن ببعضها ويكفر ببعضها الآخر ؟!

كما أن إصرارهم على الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم ، والإيمان ببعض الكتب الإلهية والكفر ببعضها ، حتى بعد أن وضع لهم النبى عليه الصلاة والسلام ذلك ، يدل على أن بعض النفوس لا تستجيب لمجرد التوجيه والأمر ، وإنما ينبغى استخدام أسلوب آخر معها أشد وطأة على النفس من التوجيه وهو أسلوب التربية بالعقوبة الذى يعتبر الوعد والوعيد نوعاً من أنواعه . والآية التى نزلت فى هذه الحادثة تلائم جميع النفوس ، فالنفوس التى تجيب لمجرد التوجيه لتستبين الطريق الصحيح وتسلكه ، تستجيب وتلتزم بجميع أركان الإيمان بصورتها الكاملة بمجرد قراءة الجزء الأول من هذه الآية ، وأما النفوس التى لا يكفى

(١) سورة النحل : آية ( ٣٦ ) .



معها الأمر والتوجيه ولاتستجيب له وتصر على كفرها وعنادها فإنها لاتستجيب حتى تقرأ الآية بكاملها وتستشعر وعيد الله لها إذا لم تلتزم بما أمر به .

لذلك فى الجزء الأول من الآية (فى حالة التوجيه ) اكتفى فقط بذكر ثلاثة من أركان الإيمان ، وهى الإيمان بالله .. ورسله .. وكتبه ، لأن الإيمان بالكتب يستلزم الإيمان بما هو موجود فيها من إيمان بالملائكة وإيمان باليوم الآخر . أما فى حالة الوعد والوعيد ، وفى حالة تلك النفوس التى لاتستجيب إلا بالعقوبة فيجب التفصيل عن سبب العقاب قبل ذكره ، فتم بالتالى ذكر خمسة من أركان الإيمان وهى الإيمان بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر حتى لا يكون للناس على الله حجة فى كفرهم بعد ذلك .  
(١)

هذه التربية القرآنية ، وهذا الأسلوب الإلهى فى التربية ، هو الذى جعل أصحاب هذه الحادثة يؤمنون بأركان الإيمان جميعها بعد نزول هذه الآية مباشرة ، والتى يعتبر الإيمان بالكتب الإلهية جميعها واحداً منها .

ومن التوجيهات التربوية التى يمكن استنباطها من الحادثة السابقة والآية المنزلة فيها ما يلى :

(١) تهيئة أذهان التلاميذ وتشويقهم للاستماع للدرس :

بدأت الآية السابقة بوصف السائلين بالمؤمنين ، لتهيئة نفوسهم لاستقبال ما سيأتى من الله من أوامر وتوجيهات .

ويمكن للمعلم الاستفادة من هذا الأسلوب الربانى فى التربية ، والعمل على اختيار الطرق المناسبة لتهيئة أذهان التلاميذ ، وتشويقهم للمعلومات المتضمنة فى الدرس قبل عرضها عليهم . وهذا ما توصل إليه علماء التربية والتعليم حديثاً ، وأسموه قانون التشويق والانتباه ، الذى قال عنه صالح عبد العزيز :

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٥ . ص ٧٧٨ .

" من أهم القواعد الأساسية للتدريس تشويق التلميذ لينتبه إلى الدرس ويستفيد من وقته وتتضح الأفكار في نفسه وتثبت في ذهنه فبالتشويق تملك شعور التلميذ وانتباهه وإرادته ، فإذا قل انتباه التلميذ عجز المدرس عن إفادته إلا إذا استعمل سلطته وقصره على الانتباه وهدده بالعقاب أو قطع الدرجات " . (١)

### (٢) ربط أجزاء الدرس بعضها ببعض :

ففي الحادثة السابقة كان حديث الأحبار للرسول عليه الصلاة والسلام عن إيمانهم ببعض الكتب وكفرهم ببعضها ، وإيمانهم ببعض الرسل وكفرهم ببعضهم . ولكن بما أن الإيمان لا يتحقق إلا إذا استوفى جميع أركانه ، فقد جاء الرد على حديثهم ذلك في آية واحدة تضمنت ماتحدثوا عنه وغيره من أركان الإيمان ، لبيان ارتباط بعضها ببعض وضرورة توفرها جميعاً لدى الإنسان ليتحقق إيمانه .

لذا ينبغي على المعلم الجيد أن يستفيد من المدرسة القرآنية، وطرقها في التربية والتعليم في تدريسه ، فلا يكتفى مثلاً بتدريس كل درس من المقرر المدرسي على حدة كما هو موجود في الكتاب ، بل ينتهز الفرص دائماً لبيان وجوه الارتباط بين هذه الدروس، وسبب تضمينها كتابياً مدرسياً واحداً، والارتباط بينها وبين ما درسه في السنوات السابقة ، بل ياحبذا لو تعدى ذلك للبحث عن وجوه الارتباط بين ما يُدرسه في مادته وما يُدرسه المعلمسون في المواد الأخرى لبيان وجوه الارتباط والتكامل بين المواد الدراسية المقررة في مرحلة أو صف دراسي معين .

### (٣) تنويع الوسائل التربوية المستخدمة :

فالآية السابقة على الرغم من قصرها إلا أنها تضمنت وسيلتين

(١) صالح عبدالعزيز : التربية وطرق التدريس . مرجع سابق . ج ١ . ص ٢٥٤ .

من وسائل التربية ، الأولى منها هى وسيلة التربية بالتوجيه وبيان الطريق الصحيح ، والوسيلة الأخرى هى التربية بالعقوبة لمن لم يستجب للوسيلة الأولى . وبذلك فان الآية حققت هدفاً واحداً وهو بيان كيفية الإيمان الصحيح باستخدام وسيلتين تربويتين مختلفتين .

هذا التنوع فى الوسائل والتدرج فى استخدامها تعلمه المربون الأوائل من المدرسة القرآنية ودعوا إلى تطبيقه فى التعلم . ومن ذلك قول ابن جماعة فى توجيهاته للمعلم حيث قال :

" أن يراقب أحوال الطلبة فى آدابهم وهدْيهم وأخلاقهم باطناً وظاهراً ، فمن صدر منه من ذلك ما لا يليق .. عرض الشيخ بالنهى عن ذلك بحضور من صدر منه غير معرض ولا معين له ، فإن لم ينتبه نهاه عن ذلك سرّاً ويكتفى بالإشارة مع من يكتفى بها فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهراً ويفلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره ويتأدب به كل سامع " . (١)

لذا فإن على المُربى الناجح أن لا يتبنى وسيلة واحدة من وسائل التربية ويستخدمها فى تربية الجميع ، لأنه لا توجد وسيلة واحدة كاملة وتناسب ما بين المُربى من اختلاف .

#### (٤) تفصيل سبب العقوبة قبل القيام بها :

وضحت الآية القرآنية السابقة مبدأً تربوياً مهماً ، ذا تأثير كبير فى النفس ، وهو أن على المُربى الناجح أن يذكر بالتفصيل لمن يقوم بتربيتهم أهم التعليمات التى إذا خالفوها ولم يتلزموا بها استحقوا العقاب الشديد

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم فى محمد ناصر : الفكر التربوى

العربى والإسلامى . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٤٠٠ .

لكى يكونوا منذ البداية على علم بالأمور التى يجب عليهم تجنب الوقوع فيها .

إضافة إلى ذلك ، فإنه فى حالة إقدام المُرَبِّى على أى من الأعمال التى يستحق عليها العقوبة يجب على المُرَبِّى أن يوضح له بالتفصيل نوع العمل الذى أقدم عليه والذى استحق بسببه ما سيحل به من عقاب . فمثلاً إذا أقدم الطفل فى الأسرة على عمل غير صحيح لايسارع الأب أو الأم بعقابه قبل أن يُذكر له بالتفصيل نوع العمل الذى أقدم عليه ، والعمل الصحيح الذى كان يجب عليه أن يقوم به ، لكى لايشعر الطفل بالظلم أو الاضطهاد أو الحقد على والديه اذا شرعوا فى تنفيذ العقوبة عليه .

كذلك المعلم فى المدرسة يجب أن يتمتع برحابة الصدر والقدرة على التحكم وضبط النفس ، فلا يتعجل بعقاب أى تلميذ قبل أن يوضح له ما ارتكبه من خطأ .

إضافة إلى ذلك لا يكتفى المعلم بوضع الدرجة على الفقرات الصحيحة عند تصحيح أوراق التلاميذ و وضع اشارة (x) على الإجابة غير الصحيحة ، بل يجب عليه أن يسجل الإجابة الصحيحة باللون الأحمر بجانبها ، ليتعرف التلميذ على السبب الذى أدى إلى خفض درجته ، فلا يتهم المعلم بالظلم أو التهاون فسنى التصحيح ، والأهم من ذلك ليتعرف التلميذ على خطئه فيعمل على تفاديه فى الاختبارات القادمة .

## تربية الإيمان بالرسول بالأحداث

الإيمان بالرسول " هو التصديق الجازم بأن لله رسلاً أرسلهم لإرشاد الخلق

في معاشهم ومعادهم " . (١) فيجب الإيمان بالرسول إجمالاً لأن لله رسلاً لا يحصى عددهم

إلا هو سبحانه وتعالى لقوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ ۚ ۝۰۰ ﴾ الآية . (٢) كما يجب الإيمان تفصيلاً

بمن ورد إلينا ذكرهم منهم .

وعدد الأنبياء والرسل المذكورين في القرآن الكريم خمسة وعشرون،

منهم ثمانية عشر ذكروا في قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ  
دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَكُ  
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن  
ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ  
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَى  
كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا  
وَكُلًّا قَدْ قَدَّمْنَا عَلَيْكَ الْغَلَامِينَ ﴾ (٣)

وسبعة منهم ورد ذكرهم في مواطن مختلفة من القرآن الكريم وهم :

آدم .. إدريس .. صالح .. هود .. شعيب .. ذو الكفل .. محمد عليهم الصلاة  
(٤)  
أجمعين .

وهناك فرق بين النبي والرسول ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا

مِّن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّاهُ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي سُمُوعِهِمْ فَيَسْخُ لَهُمُ

- (١) عبد العزيز السلمان : الكواشف الجليلة من معاني الواسطية . مرجع سابق . ص ٦٦ .
- (٢) سورة غافر : آية ( ٧٨ ) .
- (٣) سورة الأنعام : آية ( ٨٣ - ٨٦ ) .
- (٤) عبد العزيز السلمان : المرجع السابق . ص ٦٦ .

مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ وَأَيُّهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* (١)

وقد وضع ابن تيمية الفرق بين النبي والرسول بقوله :

" فالنبي هو الذى ينبئه الله وهو ينبيء بمسأ  
أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف  
أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول،  
وأما إذا كان إنما يعمل بالشرعية قبله ولم يرسل  
هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس  
برسول ". (٢)

فبالتالى فإن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول . ويكفر من آمن ببعض

الرسل وكفر ببعضهم لقوله تعالى :

\* إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ  
أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضِ  
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سُبُلًا  
أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا  
مُهِينًا \* (٣)

فلا بد من الإيمان برسول الله جميعاً ، لأنهم جميعاً جاءوا من عند الله

سبحانه وتعالى للدعوة بأمر واحد ، كما أخبر سبحانه عن ذلك بقوله : \* وَلَقَدْ  
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ . . . \* الآية ، وجميعهم  
بعثوا لحكمة واحدة ، أخبر عنها جل جلاله بقوله : \* رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ  
لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا \* (٥)

والإيمان بالرسول جميعهم ومعرفة ما آل إليه معيبرهم مع أقوامهم من التكذيب

يجعل المؤمن حريصاً وحذراً من أن يقع فى ما وقعوا فيه من مخالفة لرسولهم

(١) سورة الحج : آية ( ٥٢ ) .

(٢) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم : النبوات . مصر : إدارة الطباعة المنيرية .

٠ ١٣٤٦ م . ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٣) سورة النساء : آية ( ١٥٠ - ١٥١ ) .

(٤) سورة النحل : آية ( ٣٦ ) .

(٥) سورة النساء : آية ( ١٦٥ ) .

وعصيانهم لهم ، ومن ذلك ما قاله المقداد بن الأسود رضي الله عنه يوم بدر للرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال : " لانقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وريك فقاتلا ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك " .<sup>(١)</sup>

كما أن الإيمان بالرسول جميعهم يجعل المؤمن يتعظ من قصصهم مع أقوامهم فيخاف أن يصيبه ما أصابهم من عذاب ، ومن ذلك ما حدث مع عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه حيث خاف وارتعب عندما هاجت ريح وأجاب على من سأله عن السبب فيما أصابه بقوله : " ويحك وهل هلكت أمة قط إلا بالريح " .<sup>(٢)</sup>

والإيمان بالرسول يدفع المؤمن بهم في كل زمان ومكان للسير قدماً في سبيل الدعوة إلى الله ، والافتداء بالرسول عليهم السلام في صبرهم على أذى أقوامهم ، وتمسكهم بالدعوة إلى الله ، ذلك الصبر الذي اقتدى به الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وأمره الله تعالى به ، بقوله جل جلاله : ﴿ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ۗ ﴾ الآية<sup>(٣)</sup> ، واقتدى به المؤمنون ممن ساروا على نهجه واهتدوا بهداه ، ومن هؤلاء ابن تيمية الذي لم يوشرفه ملاقاه من تكذيب في سبيل الدعوة إلى الله وإنما كان فرحاً بذلك وكان يقول وهو في سجن القلعة : " لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي من الخير " .<sup>(٤)</sup>

كما أن الإيمان بالرسول يجعل الإنسان المؤمن يؤمن بأن لله رسلاً يحميهم إلا الله ، وأن خاتم هؤلاء الرسل هو محمد عليه الصلاة والسلام ، فلا يؤمن برسالة من أدعى الرسالة بعده مهما لاقى في سبيل ذلك من عذاب ، ومن ذلك ما

(١) البخاري : صحيح البخاري . مرجع سابق . ج ٥ . باب قول الله تعالى :

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . ص ٩٣ .

(٢) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز . مرجع سابق . ص ١٦٣ .

(٣) سورة الأحقاف ، آية ( ٣٥ ) .

(٤) عبدالعزيز السلطان : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية . مرجع

سابق . ص ١٠ .

حدث لخبيب بن زيد رضي الله عنه عندما عرض له مسيلمة وقال له "أتشهد أني رسول الله؟  
فأبى خبيب أن يشهد له فقتله وقطعه عضواً عضواً" . (١)

إضافة إلى ذلك فإن الإيمان بالرسول يحدث تغييراً كبيراً في النفس .  
فهاهو ذا ثمامة بن أشال سيد أهل اليمامة يذكر ما أصابه عندما آمن بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام وصدق برسالته حيث قال :

" يا محمد والله ما كان علي الأرض وجه أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي ،... " (٢)

ونظراً لما يؤديه الإيمان بالرسول من مهمة إيمانية في حياة الناس فقد حرصت التربية القرآنية على تربية الناس على الإيمان بالرسول، وبيّان صدق رسالتهم ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آٰلَا نُوْمِنُ  
لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبٰنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنٰتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ  
قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴾ . (٣)

ففي هذه الآية يخبر سبحانه وتعالى عن افتراء اليهود وكذبهم على الله ، حيث زعموا أن الله عهد إليهم في كتبهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يكون مسن معجزاته أن من تصدق بصدقه من أمته فتقبلت منه أن تنزل نار من السماء تأكلها ، فرد الله سبحانه وتعالى على كذبهم وزعمهم هذا بقوله سبحانه وتعالى : قل لهم يا محمد أنه ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنٰتِ ﴾ أي بالحجج

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٣١٦ .

(٢) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . ج ١٢ . كتاب الجهاد والسير . ص ٨٩ .

(٣) سورة آل عمران : آية ( ١٨٣ ) .



والبراهين من الله والدالة على صدقهم ، ﴿ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ أى بنار تأكل  
القرابين المتقبلة ، فلم قابلتموهم بالتكذيب والعناد ثم القتل، إن كنتم  
صادقين فى ادعاءكم أنكم تتبعون الحق ، وتصدقون الرسل إذا جاءوكم بتلك  
المعجزة . (١)

وقد ذكر الواحدى هذه الحادثة وأصحابها فى كتابه أسباب النزول حيث

قال :

" قال الكلبي: نزلت فى كعب بن الأشرف ومالك بسن  
الضيف ووهب بن يهودا وزيد بن تايوه وفى فنحاص  
بن عازورا وحيي بن أخطب، أتوا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقالوا: تزعم أن الله بعثك  
إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا ، وأن الله قد عهد  
إلينا فى التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه من  
عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن  
جئتنا به صدقناك فأنزل الله تعالى هذه الآية" (٢)

فبذلك استغلت التربية القرآنية هذه الحادثة لتعمل على تربية الناس  
على الإيمان بالرسول، عن طريق الكشف عن نوع من أنواع الكيد اليهودى للرسول  
محمد عليه الصلاة والسلام، والرسل السابقين له عليهم السلام . فبدأت باستعراض  
بعض أقاويل اليهود وكذبهم واقترائهم ، الذى تعدى الكذب على الخلق إلى الكذب  
على الخالق جل جلاله ، فزعموا أن الله عهد إليهم فى التوراة أن لا يؤمنسوا  
لرسول حتى يأتيتهم بقربان فتنزل من السماء نار فتأكله . وبما أن القائلين  
بهذا القول هم فى الأصل أهل كتاب ، فقد يجد قولهم هذا صدق وأثرا لدى  
ذوى النفوس الضعيفة ، فيصدقونهم فيما قالوا وينتظرون حدوث هذه المعجزة  
والله سبحانه وتعالى لاتعجزه المعجزات ، كما أخبر عن ذلك بقوله : ﴿ وَقَالُوا  
لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ  
هٰ

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٣٤ .

(٢) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٩٩ .

(١) لَا يَعْلَمُونَ \*

فلو جاءت هذه المعجزة لصدق بعد ذلك الناس أقوال اليهود وادعاءاتهم التي لا تنقطع وافتراءاتهم التي لا تنتهى ، سواء آمن هؤلاء اليهود بالرسول عليه الصلاة والسلام بعد هذه المعجزة أو لم يؤمنوا .

ولكن التربية الإلهية سلكت طريقاً آخر أبلغ وأقوى ، عملت من خلاله على تحميم المجتمع الإسلامى من اليهود وأقوابيلهم ، حيث أثبتت بالحجج الدامغة أن طلب هؤلاء اليهود ليس للاسترشاد وإنما لتعنت والتشكيك ، فكشفت النقاب عن ماضيهم وأفاعيلهم الشنيعة برسلمهم وما لاقوه على أيديهم مع أنهم جاءوا بالحجج والبراهين الدالة على صدق رسالتهم ، إضافة إلى إتيانهم بتلك المعجزة التي طلبها هؤلاء اليهود من الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول الفخر الرازى :

" أعلم أنه تعالى بين بهذه الدلائل أنهم يطلبون هذه المعجزة لا على سبيل الاسترشاد بل على سبيل التعنت ، وذلك لأن أسلاف هؤلاء اليهود طلبوا هذا المعجز من الأنبياء المتقدمين مثل زكريا وعيسى ويحيى عليهم السلام ، وهم أظهروا هذا المعجز ، ثم إن اليهود سعوا فى قتل زكريا ويحيى ويزعمون أنهم قتلوا عيسى عليه السلام أيضاً ، وذلك يدل على أن أولئك القوم إنما طلبوا هذا المعجز من أولئك الأنبياء على سبيل التعنت إذ لو لم يكن كذلك لما سعوا فى قتلهم " . (٢)

وبذلك فإن هذه الآية لم تقتصر فقط على بيان صدق رسالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام ووجوب الإيمان به وكذب اليهود فى إدعائهم ، وإنما أثبتت أيضاً صدق الرسل السابقين ، والذي لا يتحقق إيمان الإنسان إلا إذا آمن بهم جميعاً .

(١) سورة الأنعام : آية ( ٣٧ ) .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٩ . ص ١٢٢ .

ويمكن من المعالجة القرآنية في الحادثة السابقة استنباط مبادئ تربوية يمكن الاستفادة منها وتطبيقها في مجال التربية في الوقت الحاضر. ومن أهم هذه المبادئ :

(١) توعية وتبصير أفراد المجتمع الإسلامي المعاصر بما يحيط بهم من أخطار :

---

نبهت الآية القرآنية النازلة في هذه الحادثة أفراد المجتمع إلى جانب من جوانب الخطر اليهودي وهو الكذب والافتراء .

ويجب على المُربِّين في الوقت الحاضر أن يقتدوا بهذا المنهج الإلهي في التربية ، منهج التوعية والتبصير ، فينبهون الناس إلى تحريفات المستشرقين ، ويكشفون النقاب عن الأخطار الأخرى الموجهة إلى ديننا وتراثنا وأبناء أمتنا من علمانية ، وشيوعية ، والحاد ، وتبشيرية ، وقاديانية ... الخ . فعلى عاتق المُربِّين تقع مسؤولية تبصير أفراد المجتمع بالأخطار المحيطة بدينهم الإسلامي ، وبأمتهم الإسلامية ، والمكائد والفتاخ المنصوبة لهم ، فينتبهون لذلك ، ليتعرفوا على أي أرض يسيرون ، ومع من من الأشخاص يتعاملون ، وأي نوع من الأعداء يواجهون .

(٢) رد الشبه والافتراءات بالحجج الدامغة :

---

تنبيه أفراد المجتمع إلى ما يحيط بهم من أخطار لا يكفي لتحصينهم من هذه الأخطار ، وحمايتهم من الانبهار بها ، والانجراف نحوها ، لذا فإن الآية القرآنية النازلة في هذه الحادثة لم تكتفِ فقط ببيان كذب اليهود وإنما قامت بالرد عليهم بحجة دامغة لبيان كذبهم وباطل ادعائهم وتحصين المجتمع الإسلامي منهم ، حتى لا يتأثر أفرادها بما يقولونه لهم من أقاويل وبما يدسونه بينهم من سموم .

هذه الطريقة القرآنية فى التربية ، طريقة الرد على الخصم بحجة أقوى من حجته تثبت كذبه ويطال ادعائه ، لها أثر كبير فى التربية ، فهى تدرب الناس على استخدام عقولهم وفكرهم ، وعدم قبول كل ما يفتد إليهم دون وجود دليل يثبت صحته ، وقد تم استخدام هذه الطريقة فى أكثر من موطن فى القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ آمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٢) وقوله تعالى مخبراً عن استخدام سيدنا إبراهيم لهذِهِ الطريقة فى مناظرته مع ملك زمانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ  
اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْسِنُ  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحَى وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ  
يَأْتِى بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ  
فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣)

فهذه الطريقة القرآنية فى التربية ينبغى على المرَبِّين أن يقتصدوا بها ويستخدموها لبيان صحة ما نؤمن به ، وإبراز مآلديننا من فكر قوى ، بحجة دامغة وعرض واضح ومقنع ، ودحض ما نشره غير المسلمين بيننا من أفكار وآراء هدامة ، قائمة على أساس من الجهل والغفلة ومجانبة الحق وعدم الموضوعية والدقة ، لكى يتم تحصينهم منها ، والبدء بذلك فى المراحل العامة من التعليم مع التركيز على المرحلة التى يكون فيها التلاميذ فى سن المراهقة . لسهولة تأثرهم فى هذه الفترة من العمر بما يفتد إليهم من تيارات دخيلة بأساليب مغرية .

- 
- (١) سورة البقرة : آية ( ١١١ ) .  
 (٢) سورة الجمعة : آية ( ٦ - ٧ ) .  
 (٣) سورة البقرة : آية ( ٢٥٨ ) .

ويمكن أن يقوم المعلم بذلك من خلال ما يدرسه من معلومات ، فمثلاً معلم العلوم عند تدريسه لقانون حفظ الطاقة في الصف الثالث متوسط : " الطاقة لا تُفنى ولا تُستحدث من العدم . . . . " (١) . يبين لهم مافى هذا القانون من افتراء وكذب على الله ، وذلك ببيان أن الطاقة قد أُستحدثت من عدم ، وأن الذى استحدثها من العدم هو الله سبحانه وتعالى خالقها وموجدها ، وأن الطاقة يمكن لها أن تفنى ، بدليل ما حدث في النار التى ألقى فيها إبراهيم عليه السلام حيث فقدت النار طاقتها الحرارية . وأن الذى جعل هذه الطاقة تفنى هو موجدها من العدم سبحانه ، كما قال تعالى مخبراً عن ذلك : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِنَّ كُنْتُمْ فَعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٢) وبذلك يدرّب المعلم تلاميذه على الفهم والتقصى ، والاستناد إلى الحجة عند قبول أى معلومة وعدم الاقتصار على الاستظهار .

كذلك يمكن للمعلم فى هذه المرحلة الاستعانة بالمحاضرات العامة ، والأنشطة المدرسية ، حيث يقوم بانتقاء بعض الافتراءات البارزة على القرآن الكريم . . السنة النبوية الشريفة . . الصحابة رض الله عنهم ، والتى يمكن للتلاميذ فهمها ، ثم الرد على هذه الافتراءات بحجج قوية تثبت باطلها .

أما فى المرحلة الجامعية فيفضل أن يقدم الأستاذ لطلابه مجموعة من الافتراءات والادعاءات الباطلة ، ويدرب الطلاب على البحث بأنفسهم عن حجج قوية للرد عليها ، ويحبذ مساعدتهم بإمدادهم بأسماء المصادر والمراجع التى يمكنهم الرجوع إليها . .

كذلك يمكن تدريبهم على استخدام هذه الطريقة فى الرد على من ينادون بتطبيق النظم الوضعية فى السياسة . . الاقتصاد . . الحكم . . لبيان باطل هذه النظم ، والكشف عن الآثار السلبية التى نتجت فى المجتمعات عند تطبيقها

(١) مجموعة من الخبرات : العلوم للصف الثالث المتوسط . المملكة العربية السعودية :

الرشاسة العامة لتعليم البنات . ط٣٠٥٠٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . ص ١٦١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ( ٦٨ - ٦٩ ) .

لبيان ضعفها وقصورها ، وعدم ارتقائها لما فى النظم الربانية من موضوعية وشمول واتزان .

كذلك يمكن للدعاة ، وخطباء المساجد ، أن يستفيدوا من هذه الطريقة القرآنية فى التربية واستخدامها فى الرد على أى شبهة من الشبه الموجهة للإسلام ، فيستشهدون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأحدث ما توصل إليه العلم ، ليتمكنوا بذلك من إقناع السامعين على اختلاف مستوياتهم بباطل تلك الشبه الموجهة للإسلام .

### (٢) إشارة المتعلم لمزيد من التعلم :

كون الآية السابقة تذكر وجود رسل قبل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنهم جاءوا بالبينات والحجج والبراهين التى تثبت صدق رسالتهم ، دون ذكر أسمائهم أو حججهم وبراهينهم ، فإن ذلك يشير الرغبة لدى كل من سمع هذه الآية سواء حضر الحادثة أم لم يحضرها لمعرفة أسماء هؤلاء الرسل وحججهم وبراهينهم ، وهل هناك رسل غيرهم ؟ وماهى أسماؤهم ، وماهى حججهم وما آل إليه مصيرهم مع أقوامهم ؟ فيتجهون إلى قراءة ما نزل من آيات قرآنية ، والبحث فيها عن أنباء هؤلاء الرسل ، ويسألون النبى عليه الصلاة والسلام عن الرسل الذين لم ترد قصصهم فى القرآن الكريم ، لأنه من المعروف أن السنة شارحة وموضحة ومفصلة لما هو موجود فى القرآن الكريم ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى . فالآيات التى نزلت مجملة فى القرآن الكريم بعضها لا طريق لمعرفة تفاصيله إلا بسؤال النبى عليه الصلاة والسلام مثل الآية السابقة ، وبعضها يمكن معرفته عن طريق استخدام ما وهبه الله للإنسان من نعم ذكرها سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

ومن أمثلة هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي سَمَاوَاتِنَا آيَاتٌ لِلْمُحْسِنِينَ ، وَالْقُرْآنَ أَنبَأْنَاهُ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة الملك : آية ( ٢٣ ) .

أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* (١) . فيتجه الإنسان للدراسة والبحث والتقصي والتجريب للتعرف على مافى الأرض من آيات ، ومافى النفس من إعجاز ، وهذا هو المنهج الذى اتبعه المسلمون الأوائل وتأثروا به ودفعهم إلى التوصل إلى الطريقة التجريبية والاعتماد عليها يعد الله فى بحوثهم .

وعلى المُربِّين استغلال هذه الطريقة القرآنية فى التربية ، فـلا يقدمون جميع المعلومات جاهزة لمن يقومون على تربيتهم ، وإنما إعطاء بعضها بصورة مجملّة ، ودفعهم إلى البحث عن تفصيل وتوضيح لها تحت إشرافهم ، لأنه كلما زادت معرفة الإنسان بالشئ واقتناعه به زاد بالتالى إيمانه به .

==

## " النموذج السابع "

### تربية الإيمان باليوم الآخر بالأحداث

الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى عنه فـسـى كتابه الكريم ، أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، واضطراب النظام الكونى ، والبعث ، والحشر والنشر ، والصحف ، والميزان ، والحساب ، والصراف ، والحسوف ، والشفاعة ، وأحوال الجنة والنار ، وما أعد الله لأهلها إجمالاً وتفصيلاً<sup>(١)</sup>.

وهذا يعنى أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمراحل التالية :

#### المرحلة الأولى :

هى مرحلة ما بعد الموت وقبل يوم القيامة ، لقوله صلى الله عليه وسلم " إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه " <sup>(٢)</sup> . . فيجب الإيمان والتصديق بما ورد ذكره فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مما يثبت فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، ومن ذلك قوله تعالى عن عذاب القبر : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله عليه الصلاة والسلام عن فتنة القبر :

" إن الميت يصير إلى القبر . فيجلس الرجل الصالح فى قبره ، غير فزع ولا مشغوف . ثم يقال له : فيم كنت ؟ فيقول : كنت فى الإسلام . فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاءنا بالبينات من عند الله .

- (١) ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الاسلام أحمد بن تيمية . مرجع سابق .  
 ج ٣ . كتاب مجمل اعتقاد السلف . ص ١٤٥ - ١٤٨ .  
 (٢) ابن ماجة : سنن ابن ماجه . مرجع سابق . ج ٢ . كتاب الزهد . بسبب ذكر القبر والبلى . حديث رقم ٤٢٦٧ . ص ١٤٢٦ .  
 (٣) سورة غافر : آية ٤٦ .



فصدقناه . فيقال له : هل رأيت الله؟ فيقول: ما ينبغي لأحد أن يرى الله ، فيفرج له فرجة قبْل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً . فيقال له : انظر إلى ما وقاك الله . ثم يفرج له قبْل الجنة . فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له : هذا مقعدك ويقال له : على اليقين كُنْتَ . وعليه مُتَّ . وعليه تبعث إن شاء الله . ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغواً . فيقال له : فيم كنت؟ فيقول : لا أدري . فيقال له : ما هذا الرجل؟ فيقول : سمعت الناس يقولون قسواً فقلت . فيفرج له قبْل الجنة . فينظر إلى زهرتها وما فيها . فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك ، ثم يفرج له فرجة قبْل النار فينظر إليها . يحطم بعضها بعضاً . فيقال له : هذا مقعدك . على الشك كُنْتَ . وعليه مُتَّ . وعليه تبعث إن شاء الله تعالى . (١)

### المرحلة الثانية :

وهي المرحلة التي يحدث فيها الاضطراب الكوني وفناء جميع المخلوقات التي على وجه الأرض ، والتي ورد الإخبار عنها في أكثر من موطن في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ . وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٣)

### المرحلة الثالثة :

هي مرحلة البعث بعد الموت وعودة الأجساد بعد الفناء ، والتي أخبر الله تعالى عنها في أكثر من موطن في كتابه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ وَالْمَوْتَىٰ

(١) ابن ماجه : سنن ابن ماجه . مرجع سابق . ج ٢ . باب ذكر القبر واليلس حديث رقم ٤٢٦٨ . ص ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ .

(٢) سورة التكوير : آية ( ١ - ٦ ) .

(٣) سورة الرحمن : آية ( ٢٦ - ٢٧ ) .

(٤) سورة يس : آية ( ٥١ ) .

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ \* (١)

وقد استبعد المشركون حدوث هذا البعث ، ولم تتمكن عقولهم من تصور

إمكانية حدوثه ، وبالتالي كفروا باليوم الآخر وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله :

\* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ  
إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مَرَّزٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ • أَفَتَسْبِرُونَ  
عَلَىٰ اللَّوْ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ \* (٢)

لذا فإن التربية القرآنية عملت دائما على تربية الناس على الإيمان

باليوم الآخر ، من خلال تبسيط عملية البعث وتقريبه للأذهان ، متبعة في ذلك

مختلف الوسائل .

#### المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة ما بعد البعث وقبل الجزاء ويجب الإيمان بما يتم في هذه

المرحلة من حشر الناس ، وعرض الأعمال ، ونصب الميزان ، ونشر الصالحات

وبسطها لمحاسبة الناس على أعمالهم كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : \* يَوْمَ

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ \* (٣) وقوله عز وجل : \* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا

تَظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ \* (٤)

وقوله تعالى : \* وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا

يَلْقَاهُ مَنْشُورًا • اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا \* (٥)

(١) سورة الأنعام : آية ( ٣٦ ) .

(٢) سورة سبأ : آية ( ٧-٨ ) .

(٣) سورة المجادلة : آية ( ٦ ) .

(٤) سورة الأنبياء : آية ( ٤٧ ) .

(٥) سورة الإسراء : آية ( ١٣ - ١٤ ) .

## المرحلة الخامسة :

وهى مرحلة الجزاء بعد الحساب وينقسم الناس فيها إلى فريقين فريق في نعيم

خالد وفريق في عذاب دائم كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله :

\* بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ \* (١)

ويجب الإيمان إجمالاً بما فى الجنة من نعيم وما فى النار من جحيم

وتفصيلاً بما ورد إلينا ذكره من صفة الجنة والنار وما أعد الله لأهلها

ومن ذلك قوله تعالى :

\* إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا . لِللَّطِيفِينَ مَكَابِدَ . لِلَّذِينَ  
فِيهَا أَحْقَابَ . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا  
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا . جَزَاءً وِفَاقًا . إِنَّهُمْ كَانُوا  
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا . وَكُلَّ  
شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا . فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا .  
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . خَدَائِقَ وَأَعْنَابًا . وَكَوَاعِبَ  
أَثْرَابًا . وَكَأْسًا دِهَاقًا . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا  
وَلَا كِذَابًا \* (٢)

وبالتالى فإن الإيمان باليوم الآخر يودى فى حياة الإنسان مهام إيمانية

فالإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن خائفاً وجللاً ، وإذا ولى من أمر الأمة

شيئاً كان حريصاً على القيام بحواججها ، خائفاً

من أن يسأله الله عنها يوم القيامة ، ومن ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه "لو

مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه " .<sup>(٣)</sup> ومن ذلك أيضاً

ما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لزوجه ، عندما سأله عن سر بكائه الشديد فى

(١) سورة البقرة : آية ( ٨١ - ٨٢ ) .

(٢) سورة النبا : آية ( ٢١ - ٣٥ ) .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٣٠٥ .

في مصلاه حيث قال :

" قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعماري المجهود، واليتيم المكسور، والأرمل الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذى العيال الكثير، والمال القليل، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربي عز وجل سيألني عنهم يوم القيامة، وأن خصي دوتهم محمد صلى الله عليه وسلم فخشيته أن لا يثبت لي حجة عند خصومتهم فرحمت نفسي فبكيت " . (١)

فالمؤمن باليوم الآخر دائم التذكر له ، والخوف منه ، وقد بلغ ممن دوام تذكر عمر بن عبد العزيز لهذا اليوم أنه كان يوماً ساكناً وأصحابه يتحدثون فقال له أحدهم " مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال كنت مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها . ثم بكى " (٢)

كما أن الإيمان باليوم الآخر والخوف منه يدفع الإنسان للجهاد في سبيل الله ، وتمنى القتل في سبيله ، طمعاً بالحصول على ما يلقاه المقتول في سبيل الله من أجر عظيم ونعيم مقيم في الجنة . وقد بلغ من حرص الصحابة على القتل في سبيل الله والخوف من اليوم الآخر ، أن عبد الله بن رواحة عندما ودعه الناس وهو متجه إلى غزوة مؤتة بكى وعندما سأله عن سبب بكائه قال :

" أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباة<sup>(\*)</sup> إليها ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ \* وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا \*<sup>(\*\*)</sup> فلست أدري كيف لي بالمدر بعد الورد فقال المسلمون صحبكم الله وردكم إلينا صالحين ودفع عنكم . فقال ابن رواحة :

- (١) ابن كثير : البداية والنهاية . مرجع سابق . ج ٩ . ص ٢٠١ .  
 (٢) المرجع نفسه . ص (١٥٤) .  
 (\*) الصباة : رقة الشوق وحرارته .  
 (\*\*) سورة مريم : آية (٧١) .

لكننى اسئال الرحمن مغفرة  
 أو طعنة بيدى حران مجهزة  
 وضربة ذات فرغ تقذف الزيداً\* (١)  
 بحرية تنفذ الاحشاء والكبداً\*

والإيمان باليوم الآخر وما فيه من نعيم مقيم أو عذاب دائم . يحمل  
 على الصبر ، ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه أنه قال :

" أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام فجاءت أمه إلى  
 النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت: يارسول الله  
 قد عرفت منزلة حارثة متى فإن بك فى الجنة أصير  
 وأحتسب ، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع . فقـال:  
 ويحك-أوهبـلت-أوجنة واحدة هى، إنها جنان كثيرة وإنه  
 فى جنة الفردوس " . (٢)

كما أن الإيمان باليوم الآخر يدفع الإنسان إلى الأعمال الصالحة ، لأنها  
 هى زاد الفرد الذى يتزود به للدار الآخرة ، ومن ذلك قول الإمام الغزالي :

" إنى نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوباً  
 ومعشوقاً يحبه ويعشقه ، وبعض ذلك المحبوب يصاحبه  
 إلى مرض الموت ، وبعضه إلى شفير القبر، ثم يرجع  
 كله ويتركه فريداً وحيداً ولا يدخل معه فى قبره  
 منهم أحد ، فتفكرت وقلت : أفضل محبوب المرء  
 يدخل فى قبره ويؤانس فيه ، فما وجدت غير  
 الأعمال الصالحة فأخذتها محبوباً لي لتكون سراجاً  
 فى قبرى وتؤانسني فيه ولا تتركنى فريداً " . (٣)

(\*) أى صاحبة فراغ يعنى تكون شديدة تفرغ الدم بسرعة بحيث يقذف بزبدته .

(\*\*) أى أو طعنة من يدي عطشان إلى القتال تسرع فى قتل الجريح .

(١) ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة : تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، هذبته

ورتبته عبد القادر بدران . بيروت : دار المسيرة . ط ٢ .

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م . ج ١ . ص ٩٣ .

(٢) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٥ . كتاب المغازى . باب فضل

من شهد بدرآ . ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣) الغزالي ، أبو حامد محمد : أيها الولد . فى محمد ناصر : الفكر

التربوى . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٣٠٨ .



فى هذه الحادثة استخدم خباب يقينه بالبعث بعد الموت فى تأكيد إيمانه واستحالة كفره بمحمد صلى الله عليه وسلم ، بينما كفر العاصى بن وائل بالبعث بعد الموت جعله يهزأ من قول خباب ويعدده أن يرد إليه ماتقاضاه منه بعد مايبعث .

لذا فقد حرصت التربية القرآنية فى غرسها لجذور الإيمان باليوم الآخر على تقريب البعث للأذهان لتدفعهم إلى التصديق به ، لأن من يؤمن بالبعث بعد الموت لا بد أن يؤمن بكل ما يحدث فى اليوم الآخر من تغير فى الكون وحشر ونشر وحساب وجزاء ، ومن الوسائل التى استخدمتها التربية القرآنية فى ذلك استغلال ما يحدث فى المجتمع من أحداث لتربية الناس من خلالها على الإيمان بالبعث ومن ذلك قوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِنْ لَدُنْهُ وَلَهُ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَسَبِّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١﴾

وقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره مايفهم منه أن هذه الآيات تضمنت رداً على كل من ينكر البعث بعد الموت حيث بدأت بالاستشهاد ببدء خلق الإنسان من نطفة للدلالة على القدرة الإلهية ، فلو كان خلقه من أشياء مختلفة لقييل خلق العظم من جنس صلب ، واللحم من جنس رخو ، وكذلك الحال فى كل عضو لكن اختلاف صور أعضائه مع تشابه أجزائه ماخلق منه آية ظاهرة على القدرة الإلهية ، بل إن هنالك من الأدلة فى نفسه ما هو أظهر من ذلك وهو نطفة وفهمه

لأن ابداع النطق والفهم أعجب وأغرب من ابداع الخلق . وعبر سبحانه  
وتعالى عن النطق بقوله : ﴿ حَـصِيْمٌ ﴾ لأن المخاصمة أعلى أحوال النطق ، وأشار  
إلى العقل بقوله : ﴿ مُبِيْنٌ ﴾ لأن العاقل عند الإفهام أعلى درجة منه عند عدمه ،  
لأن المبين بان عنده الشيء ثم أبانه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا  
وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيْمٌ ﴾ ، أى جعل قدرتنا كقدرتهم ، ونسى  
خلقه العجيب ، وبدأه الغريب . قال : من يحيى العظام وهى رميم ؟ على طريق  
الاستبعاد . أفلا يستبعد خلق الناطق العاقل من تلك النطفة التى لم تكن  
محل حياة أصلاً ، ويستبعد إعادة المنطق والحياة لما كانا فيه ، فأجاب  
تعالى بقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ ﴾ . أى  
كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً ، كذلك يعيده وإن لم يبق منه شيء ؛  
كما يعلم سبحانه أين تفرقت أجزاء هذا الإنسان بعد موته ، هل أكلت ،  
أم تفرقت فى البقاع ، فيجمع الأجزاء المتفرقة فى البقاع المبددة ، والأجزاء  
المأكولة من جسم من أكلها ، يحكمته الشاملة وقدرته الكاملة .

ثم إنه تعالى عاد إلى تقرير ما تقدم واستبعادهم وإنكارهم ، بقوله  
﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ . أَوْ لَيْسَ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلِيٍّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيْمُ ﴾ .  
أى إذا كنتم تستبعدون إعادة الحياة للإنسان بعد الموت ، فإن هناك ما هو  
أعجب وأغرب من ذلك ، وهو وجود النار فى الشجر الأخضر الذى يقطر منه الماء  
وأنتم تشاهدون ذلك حيث منه توقدون . وإن كنتم تستبعدون إعادة بناء جسم  
الإنسان بعد موته ، فإن خلق السموات والأرض وما فيهما أعظم وأكبر من خلق  
الإنسان فلا تستبعدوه ، لأنه سبحانه الكامل فى القدرة والشامل فى العلم .

ثم بين سبحانه فساد تمثيلهم وتشبيههم حيث ضربوا لله مثلاً وقاسوا  
قدرته على قدرتهم ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَسَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . فهو لا يحتاج إلى الآت ، ولا إلى زمان ، ولا إلى الانتقال  
من مكان إلى مكان كما يحتاجون هم ، وإنما يخلق ( بكن فيكون ) فكيف يضربون



المثل الأدنى وله المثل الأعلى من أن يدرك .

ثم ختم سبحانه وتعالى هذه الآيات بتقرير حقيقتين مهمتين هما  
الوحدانية والبعث ، فقرر سبحانه وحدانيته بقوله : \* الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ  
كُلِّ شَيْءٍ \* . فيما أن كل شيء ملكه فكيف يكون المملوك للمالك شريكاً  
وقرر البعث والعودة إليه بقوله \* كِإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ \* (١) .

وقد أورد السيوطي الحادثة التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات بقوله :

" أخرج الحاكم وصححه ابن عباس - رضی الله عنه - قال : جاء العاص  
بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم  
حائل ففته فقال : يا محمد أبيعك هذا بعد ما  
أرم ؟ قال : نعم يبيعك الله هذا ثم يميتك ثم  
يحييك ثم يدخلك نار جهنم . فنزلت الآيات \* أَوْ لَمْ  
يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ ۖ \* إلى آخر  
السورة . وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد  
وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي نحوه ، وسموا  
الإنسان أبي بن خلف " . (٢)

وسواء كان السائل العاص بن وائل أو أبي بن خلف فإن الحادثة تصور  
رجلاً مشركاً يشك في البعث والحياة الآخرة ، استخدم ما منحه الله من عقل  
ليخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة عقلية مشاهدة ولموسة ، فيأتي بعظم  
باليفته أمام الحاضرين ، ثم يوجه سؤاله للرسول عليه الصلاة والسلام عن  
إمكانية إعادة الحياة إلى هذا العظم . وبالطبع فإن هذا المشهد قد يؤثر  
في أصحاب النفوس الضعيفة التي لم يثبت إيمانها بعد ، مما يجعلها تتلهف  
لسماع رد الرسول عليه الصلاة والسلام . فيأتي رده عليه الصلاة والسلام صريحاً  
واضحاً مليحاً بالثقة واليقين فيقول للسائل " نعم يبعث الله هذا ثم يميتك  
ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم " .

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير ، مرجع سابق . ج ٢٦ . ص ١٠٨ - ١١٢ .

(٢) السيوطي : أسباب النزول . مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

إلا أن التربية القرآنية استغلت ما فى نفس السائل من ريسبب ،  
 واستبعاد للمعاد ، وما فى قلوب الحاضرين من تلهف وشوق لدخض حجة ذلك  
 المشرك بحجج أقوى من حجته . فنزلت الآيات القرآنية بحجج واضحة وقوية ،  
 خطابها موجه للسائل ومرادها وهدفها إقناع السائل وجميع من ينكر البعث  
 فى أى زمان ومكان بأن لاشء مستحيل على الله سبحانه وتعالى .

فقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ أى أفلا ينظر ذلك المنكر للبعث ، أو كان حرياً به أن ينظر إلى  
 نشأته وصيرورته ، ليستدل بهما على قدرتنا على البعث بعد الموت . فمن حول  
 النطفة إلى عظام وكسا العظام لحماً ثم منحها القدرة على النطق والتفكير  
 هل يعظم عليه إعادة الحياة لتلك العظام بعد أن تبلى !

ثم ذكر سبحانه وتعالى سؤال ذلك المشرك المنكر للبعث ، والسبب  
 فيه ، وذلك أنه جعل قدرة الله كقدرة الخلق ، ونسى خلقه وما فيه من قدرة  
 وإعجاز فقال : ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فكأنه سبحانه وتعالى يقول  
 له أيهما أصعب الخلق من العدم وهو خلقك ، أم إعادة ما كان موجوداً وهو ما  
 استبعدت وجوده وجعلته حجتك فى مناقشتك ؟

ثم تأتى بعد ذلك الإجابة على سؤال السائل مصرحة بتلك الحجة  
 المنطقية العقلية فى الرد على سؤاله ذلك ، وهى  
 أن من يخلق من العدم قادر على أن يعيد ما خلقه مرة أخرى بعد فناءه ، لأن  
 إعادة أسهل من الخلق فقال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ  
 وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ .

إلا أنه جل جلاله لم يكتف بإيراد تلك الحجة المنطقية العقلية ، بل  
 دلل على صحتها وقربها للأذهان وبسطها للعقول بحجج أخرى مشاهدة ولموسة  
 يمررون عليها دون تفكر فى اليد الصانعة والقدرة المبدعة التى أوجدتها

فقال تعالى : \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ \* ، إشارة إلى ما يقومون به من توليد النار من غصون بعض النباتات الخضراء بحك بعضها ببعض. وقد أوضح ابن كثير ذلك بقوله : " شجر الممرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد" (١) أفلا يستطيع الذي جعل الحرارة في ذلك الغصن الأخضر المملئ بالماء ، أن يعيد الحياة إلى العظم الرميم ؟

ثم قال تعالى : \* أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ \* . فالذي خلق السموات والأرض التسي تشهدون مافيهما من إعجاز يفوق مافي الإنسان ، لاشك أنه قادر على إعادة خلق الإنسان .

وأخيراً بين لهم سبحانه وتعالى طبيعة القدرة الإلهية التي عرض عليهم جزءاً منها في هذه الآيات ، ليدركوا أن لامحال على تلك القدرة لأن أي شيء مهما صغر أو كبر ، مهما قرب أو بعد ، يكفي لحصوله أن تتوجه إليه القدرة الإلهية بالكلمة الآتية ( كُن ) فيكون .

فيما أنه جل جلاله خالق كل شيء ، فلا بد أن يكون كل شيء ملكه وأن يكون مرجعه ومصيره إليه .

هذه الحادثة وما تنزل فيها من آيات تضمنت توجيهات تربوية أذكر فيما يلي بعضاً منها :

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٥٨٢ .



ينبغي أن لا يكذب ، وإنما يقدم له الأدلة من القرآن والسنة التي تثبت ذلك ،  
ويشرحها له شرحاً مبسطاً يتلاءم مع عمره . إضافة إلى ذلك يبين له مضار  
الكذب المتعددة وآثاره ، ويأخذوا لو استشهد في ذلك بواقعة حدثت في  
المجتمع ، أو قصة تبرهن له ضرورة التمسك بفضيلة الصدق والبعد عن رذيلة  
الكذب ، فبذلك يبعد الابن عن الكذب عن اقتناع وإدراك لمضاره وليس فقط  
استجابة لأمر فرض عليه .

إضافة إلى ذلك فإن رحابة صدر المعلم في إجابته على أسئلة تلاميذه  
وحرصه على دعم إجابته بما يقويها من حجج ، كل ذلك يسهل على التلاميذ فهم  
الإجابة والاقتران بها وعدم نسيانها .

(٣) استخدام أسلوب السؤال والجواب لتبسيط الحقائق :

قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ  
مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ . فالله عز وجل وجه به هذا السؤال والإجابة  
عليه ، أنظار كل من ينكر البعث إلى مافى السموات والأرض من إعجاز في الخلق  
ودقة في الصنع ، ليبدل من خلال ذلك على إثبات قدرته على إحياء الموتى .

ولقد استخدم الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الطريقة القرآنية في  
التربية ومن ذلك ما رواه مسلم بسنده عن معاذ بن جبل أنه قال :

" كنت ردفاً رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
حصار . . قال فقال : يا معاذ تدرى ما حق الله على  
العباد وما حق العباد على الله ، قال : قلت الله  
ورسوله أعلم ، قال : فإن حق الله على العباد  
أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على  
الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً ، قال :  
قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم

(\*) الردف هو الراكب خلف الراكب .

فيتكلموا " (١)

فالمُرَبَّى الناجح لا ينتظر أن يتوجه إليه من يربيههم بالسؤال ، وإنما يبادرهم به بين الحين والآخر ليوجه أنظارهم إلى أهميته ، أو يقيس مدى معرفتهم بإجابته .

(٣) ربط الحقائق العلمية بأمثلة محسوسة من البيئة :

كون الآيات النازلة في هذه الحادثة لم تكتف بإقامة الحجسة المنطقية العقلية على السائل ودحض حجة بحج أقوى منها ، بل تعدت ذلك إلى تبسيط أمر المعاد وتقريبه للأذهان ، بالاستعانة بما في البيئة من مناظر تمر عليها العيون وتغفل عن التدبر فيها العقول . فتذكيرهم بما يقومون به في حياتهم من توليد النار من الشجر الأخضر الذي يتقطر الماء منه ، وتوجيه نظرهم إلى ما في السماء والأرض من دقة وإعجاز ، ذلك كله يشير إلى أهمية تطبيق مبدأ من المبادئ القرآنية في التربية وهو الاستعانة بالبيئة لتقريب الحقائق إلى العقول .

وقد استخدم المُرَبَّى الأول لهذه الأمة عليه الصلاة والسلام هذه الطريقة حيث كان دائم الاستعانة بأمثلة من البيئة لتقريب الحقائق للأذهان . ومن أمثلة ذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

" مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر " (٢)

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١ . كتاب الإيمان

(حق الله على العباد) . ص ٢٣٢ .

(٢) المرجع نفسه : ج ٦ . باب فضيلة حافظ القرآن . ص ٨٣ - ٨٤ .

فالمُرَبِّي الجيد يعمل على تبسيط الحقائق وتقريبها لأذهان من يريهم  
عن طريق ربطها بأمثلة من بيئتهم .

(٤) تنويع الوسائل التربوية المستخدمة لتحقيق الهدف نفسه :

الآيات النازلة فى هذه الحادثة جميعها جاءت لتقرر للناس قدرة الله سبحانه وتعالى على البعث بعد الفناء ، وإقناعهم بالحجج المنطقية العقلية منها والحسية بذلك ، إلا أن هناك من الأشخاص من لا يصلح معهم ذلك ، ومن أمثلة هؤلاء عمرو بن ربيعة الذى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يحدثه عن اليوم الآخر ، متى يكون ، وكيف أمره ، وحاله ؟ فأخبره النبى عليه الصلاة والسلام بذلك كله ، إلا أنه لم يقتنع بما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يؤمن ، بل قال أشد من ذلك وهو قوله : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به أو يجمع الله العظام؟" (١)

فنزلت الآيات من الله سبحانه وتعالى مبينة ما سأل عنه هذا السائل واستبعد حدوثة ، فقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ (٢) ثم أتى الجواب على ذلك السوءال بقوله جل جلاله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ أى قادرين ومستطيعين ذلك . ثم أردف ذلك بحجة منطقية عقلية تبين للسائل إمكانية ما استبعده فقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوَّ بَنَاتَهُ ﴾ (٣)

فالسائل كان يستبعد مجرد جمع العظام ، فرد الله عليه بالقول بل نستطيع عمل ما هو أكثر من ذلك ، وهو إعادة تكوين الإنسان كاملاً ، بجميع أطرافه وأعضائه مهما صغرت ومهما دقت ، وكأنه بذلك يقول له إن القادر على خلق الإنسان فى أحسن تقويم لا بد أن يكون قادراً على إعادة هذا التكوين مرة أخرى .

(١) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٣٣١ .

(٢) سورة القيامة : آية ( ٣ ) .

(٣) نفس السورة : آية ( ٤ ) .

وبذلك فإن كل من يعمل عقله في هذه الآلية ، وينظر إلى الدقة والتنظيم والتكامل في جسمه ، يدرك أن القادر على إيجاد كل هذه الأجهزة والأعضاء والجمع بينها بشكل متناسق معجز ، لا بد أن يكون قادراً على إعادة هـذا التكوين .

وبعد أن ردت الآيات السابقة على من أنكر البعث بحجة منطقية تفوق ما لديه من حجج ، أبرزت حقيقة مهمة ، وهى أن كفر من كفر باليوم الآخر بعد ذلك ليس راجعاً إلى قصور أو ضعف في الأدلة العقلية والحسية المثبتة لوقوع هذا اليوم ، وإنما لسبب آخر فى داخل تلك النفس بينه تعالى بقوله : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ (١)

فهو يريد أن يسترسل فى طلب الشهوات والملذات ، أما إقراره باليوم الآخر لقوة الحجة المقامة عليه ثم إيمانه به سيشكل حاجزاً منيعاً بينه وبين ما تطلبه نفسه من تمادى فى طلب ملذات هذه الدنيا ، لذا فإن من المناسب لهذه النفس المريضة أن تستبعد اليوم الآخر ، وتسال عنه بقولها أيا ن يسوم القيامة ؟ لأن ذلك يسهل عليها التمادى فى فجورها ، كما أخبر عن ذلك سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢)

وفى ذلك يقول الفخر الرازى :

" الإنسان الذى يميل طبعه إلى الاسترسال فى الشهوات والاستكثار من اللذات ، لا يكاد يقدر بالحرص والنشر وبعث الأموات ، لئلا تنغص عليه اللذات الجسمانية فىكون أبداً منكرأ لذلك، قائلأ على سبيل الهزاء والسخرية أيا ن يوم القيامة " (٣)

(١) سورة القيامة : آية ( ٥ ) .

(٢) نفس السورة : آية ( ٦ ) .

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٣٠ . ص ٣١٩ .



إلا أن التربية القرآنية الحريضة على تربية جميع الناس على ما بينهم من اختلاف ، لم تكن لتترك هذا الإنسان وأمثاله دون أن تعمل على تربيتهم على الإيمان باليوم الآخر ، فإن عطلت هذه الفئة عقولها وحواسها ولم تستعملها للاستدلال على البعث بعد الموت ، ولم ييؤثر فيها ما استخدمته التربية القرآنية من وسائل في سبيل ذلك . فإن التربية القرآنية سلكت مع هؤلاء الناس مسلكاً آخر ، يعتمد على استغلال مافي النفوس من رهبة ونفور وبعد عن الجحيم المقيم عن طريق تصوير مشهد من مشاهد اليوم الآخر فقال تعالى بعد الآيات السابقة من سورة القيامة :

﴿ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ . وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ . كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ . يَنْبِئُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِمِيسِرَةٍ وَّلَوْ أَلْقَىٰ مَعَادِيرَهُ ﴾ (١)

هذا التصوير لمشهد من مشاهد اليوم الآخر وما يحدث فيه للإنسان من فزع ورعب، وللكون من اختلال في النظام ، يهدف إلى تحريك مافي داخل النفوس من خوف لتعمل في هذه الدنيا على إنقاذ نفسها من ذلك المصير المحتسوم إن هي أصرت على فجورها ولم تنو من باليوم الآخر . ففي هذا اليوم يخطف البصر كخطف البرق ، فأى سرعة أسرع من تلك الخطفة ؟ والقمر يخسف ولكن ليس كالخسوف المعهود فهو خسوف لاجلاء بعده ، والشمس والقمر اللذان قال الله عنهما: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢) ولم يشهد الإنسان التقاءهما قط يجتمعان في ذلك اليوم، فأى فزع أكبر من ذلك الفزع .

(١) سورة القيامة : آية ( ٧ - ١٥ ) .

(٢) سورة يس : آية ( ٤٠ ) .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٩ . ص ٩٦ .

ثم يذكر سبحانه أن في وسط ذلك الرعب وذلك الفرع يبحث الإنسان  
عن طريق يفر منه ، فيجد الدروب مسدودة أمامه ، فليس هناك مفر من عذاب الله  
ولا مستقر إلا إلى الله ، لينبأ الإنسان بأعماله لا يخفى منها خافية ، فيسلم  
كتاب أعماله الذي يدهش لدقة ما سجل فيه ويصبح قائلاً \* مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ  
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ... \* (١) ، عندئذ لا ينفع الإنسان ما يقدمه  
من أذار ، فهو يوم حساب وجزاء ، لا يوم توبة وعمل واعتذار .

==

النموذج الثامن

تربية الإيمان بالقدر بالأحداث

يقول النووي في معنى القدر :-

" أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى " (١) .

الإيمان بالقدر :

" هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر فهو بقضاء الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيئاً إلا بإرادته ، ولا يخرج عن مشيئته وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ، ولا يصدر إلا عن تدبيره ، ولا محيد لأحد عن القدر ولا يتجاوز ما حظ في اللوح المحفوظ ، وأنه خالق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي ومع ذلك فقد أمر العباد ونهاهم وجعلهم مختارين لأفعالهم غير مجبورين عليها بل هي واقعة بحسب قدرتهم وإراداتهم يهتدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " (٢)

فالمؤمن بالقدر عليه أن لا يستسلم للقدر ويترك العمل ، بل إن من الإيمان

بالقدر دفع القدر بالقدر وهو كما قال ابن القيم نوعان :

النوع الأول: دفع القدر الذي انعقدت أسبابه ولم يقع ، بأسباب أخرى من القدر تقابله وتمنع وقوعه ، كدفع العدو بقتاله ، ودفع الجوع بالطعام

(١) النووي ، يحيى بن مشرف بن حربى: صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق ج ١ .

(٢) عبد العزيز السلماني : الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية . مرجع سابق

ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتى مات ، مات عاصياً .

النوع الثاني : دفع القدر الذى قد وقع واستقر بقدر آخر يدفعه ويزيله كدفع قدر الذنب بقدر التوبة وقدر المرض بقدر التداوى .<sup>(١)</sup>

وقد أفصح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك عندما سئل " أ رأيت دواى نـتـداوى به ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها ترد من قدر الله شيئاً قال : إنها من قدر الله تبارك وتعالى " <sup>(٢)</sup> فالمؤمن بقدر الله لا يمينعه إيمانه بقدر الله من العمل على درئه ودفعه ، لثقتـه أن ذلك كله من أقدار الله ، فقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه متجهاً للشام فلما بلغه أن الطاعون قد انتشر بهارجع ، وعندما قال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : اتفر من قدر الله قال :

" نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أ رأيت لو هبطت وادياً ذا عدوتين إحداها مخصبة والأخرى مجدبة فان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان أنت رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله " .<sup>(٣)</sup>

والمؤمن بقدر الله لا يخشى إلا الله ، ولا يطلب العون إلا منه لإيمانه بأن ما قد يصيبه من خير أو شر هو من قدر الله ، وأن الناس لا يملكون له نفعاً ولا ضرراً وقد نصح نبي الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضى الله عنه بذلك فى قوله له :

" يا غلام إنى معلمك كلمات ( ينفعك الله بهن ) احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فلتسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك

- 
- (١) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبى بكر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبدك وإياك نستعين . تحقيق محمد حامد فى . القاهرة . مطبعة السنة المحمدية . ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م . ج ١ . ص ٢٠٠ .
- (٢) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد فى أحمد عبد الرحمن البناء : الفتح الربانى . مرجع سابق . ج ١ . باب فى ثبوت القدر وحقيقته . ص ١٢٦ .
- (٣) ابن كـشـير : البـداية والنـهاية . مرجع سابق . ج ٧ . ص ٧٧ .

إلابشء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا علي أن  
يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت  
الأقلام وجفت الصحف " (١)

وقد فهم المسلمون الاوائل تلك الوصية النبوية ، وحرصوا على تعليمها  
ابناءهم ، ومن ذلك ما يرويه الوليد من وصيه أبيه عباد بن الصامت رضي الله عنه له  
حيث قال :

" قال يابني إنك لن تطعم طعم الإيمان ولم تبلغ حقيقة  
العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره  
قال قلت يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر  
وشره قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما  
أصابك لم يكن ليخطئك " (٢)

فالإيمان بقدر الله خيره وشره يجعل المؤمن متواضعاً لا يصاب بالتهالكي  
والغرور إذا أحرز نصراً أو كسباً أو علماً ، ولا يصاب بالهم إذا باءت جهوده  
بالفشل ولم ينجح في تحقيق مآربه مع أخذه بجميع الأسباب المؤدية ، لذلك  
وقد أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي سَمَوَاتٍ  
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۚ لِكَيْلَا تَأْسَوْا  
عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ (٣) إضافة  
إلى ذلك فإن المؤمن بالقدر لا يحسد أحداً من الناس على ما أعطاه الله لعلمه  
أن الله قسم الأرزاق بينهم بقدره وفي ذلك يقول الغزالي :

" إنى رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم  
بعضاً : فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجساسة  
والعلم ، فتأملت فى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ  
مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٤) فعلمت أن القسمة

(١) أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، فى . أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح  
الريانى . مرجع سابق ، ج ١ ، باب فى ثبوت القدر وحقيقته .

ص ١٢٦ .

(٢) المرجع نفسه : ج ١ . باب فى الإيمان بالقدر . ص ١٣٤ .

(٣) سورة الحديد : آية : ٢٢ - ٢٣ .

(\*) سورة الزخرف : آية ٣٢ .

كانت من الله تعالى فى الأزل فما حسدت أحداً ورضيت  
بقسمة الله تعالى " (١)

والمؤمن بقضاء الله وقدره نجده لا يطلب العون إلا من الله ، ولا يطاق رأسه  
لجبار من الجبابرة يستجدى رحمته ، ويطلب عونه ، وإنما يطلب ذلك من الله  
لثقتة بأنه قادر على كل شيء ، وأن ما أراد كان وما لم يريد لم يكن . وفى  
ذلك يقول الغزالي :

" أنى رأيت كل واحد معتمداً على شيء مخلوق : فبعضهم  
إلى الدينار والدرهم ، وبعضهم إلى المال والملك ،  
وبعضهم إلى الحرفة والصناعة ، وبعضهم إلى مخلوق  
مثله فتأملت فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ  
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ  
اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (١) فتوكلت على الله فهو حسبى  
ونعم الوكيل " (٢)

والإيمان بالقدر يدفع المؤمن فى طريق الخير وفى طريق الدعوة إلى الله  
الله فيجاهد بماله طامعاً فى الأجر من الله وغير خائف من الفقر لأن الأرزاق بيد  
الله كما قال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوَعَّدُونَ . قُورَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ  
لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (٣)

ويدفع الإنسان للمجاهدة بلسانه ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر  
ويقول كلمة الحق حتى ولو أمام حاكم ضال أو سلطان جائر ، لا يخاف إلا الله  
لثقتة أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله عليه ، فهاهو ذا المغيرة بن شعبه رضى الله عنه  
قبيل معركة القادسية يقول ليزدجرد ملك الفرس :

" فاختر إن شئت الجزية وأنت صاغروا إن شئت فالسيف "

(١) الغزالي : أيها الولد . فى محمد ناصر : الفكر التربوى العربى والإسلامى . مرجع

سابق . ج ٢ . ص ٣٠٩ .

(\*) سورة الطلاق : آية ٣ .

(٢) الغزالي : المرجع السابق . ج ٢ . ص ٣١٠ .

(٣) سورة الخازيات : آية ٢٢ - ٢٣ .

أو تسلم فتنجى نفسك . فقال يزيد جرد : استقبلنى  
ببمثل هذا ؟ فقال ما استقبلت إلا من كلمنى  
ولو كلمنى غيرك لم استقبلك به " (١)

والمؤمن بقدر الله يكون مجاهداً شجاعاً ، فلماذا الجبن والتقاعس عن  
أداء الواجب الدينى ، والعمر محدود ، وقد قال خالد بن الوليد رضى الله عنه عندما حضرته  
الوفاة .

" لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى إلا أن أموت  
على فراشى ، وما من عمل شئ أرجى عندى بعد إلا الله  
إلا الله . من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهلنى  
تمطر إلى الصبح حتى نغير على الكفار " (٢)

والمؤمن بقدر الله يكون مطمئناً راضى النفس وهو يستقبل ما قدره الله  
له ، فهذا أخيب بن عدى رضى الله عنه تخبره ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب وهو أسير للمشركين  
فى بيتها تخبره بالموعد الذى اعتزم المشركون قتله فيه فلا يكثر لذلك ،  
وعندما وصل إلى المكان المعد لقتله طلب منهم أن يسمحوا له بصلاة ركعتين  
لله تعالى . (٣)

ونظراً لما يؤديه الإيمان بالقدر من مهام إيمانية فى حياة البشر ، حرصت  
التربية القرآنية على تربية الناس على الإيمان به ، وحذر رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من الكافرين بالقدر وأمر بهجرتهم ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة  
والسلام " إن لكل أمة مجوساً وإن مجوس أمتى المكذبون بالقدر فإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن  
مرفوا فلا تعودوهم " وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ما أعد لهؤلاء المكذبيين  
(٤)

(١) ابن كثير : البداية والنهاية . مرجع سابق ج ٧ ، ص ٤٣

(٢) المرجع نفسه . ج ٧ ص ١١٦

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى . مرجع سابق . ج ٨ ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٤) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد . فى أحمد بن عبد الرحمن البنا . الفتح الربانى . مرجع سابق .

ج ١ . باب فى هجرة المكذبيين ، بالقدر والتغليظ عليهم . ص ١٤٠ - ١٤١ .

بالقدر من مصير مخير ، وعذاب شديد يوم القيامة فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي قَلْبٍ وَسَعْرٍ • يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِنِّي سَقْرًا • إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (١)

فبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات حال المكذابين بالقدر بقوله: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي قَلْبٍ وَسَعْرٍ ﴾ أي في احتراق وقيل جنون ، وذلك لما هم فيه من حيدة عن الحق وشكوك واضطراب في الإرادة . ثم يصور سبحانه المصير الذي هم آيلون إليه بسبب ما كانوا فيه من شك وتردد ، وهو النار التي يسحبون فيها على وجوههم ، لا يدرون أين يذهبون ويقال لهم: ﴿ ذُقُوا مِنِّي سَقْرًا ﴾ لكم مال ما يجدونه فيها من العذاب والألم وسقر اسم من أسماء جنهم ، وقيل هو الطابق السادس من جهنم . ثم يثبت الله قدره السابق لخلقة وعلمه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل حدوثها بقوله جل جلاله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . لهذا استدلت أئمة السنة على القدرية بهذه الآية ، وما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات. (٢)

والحادثة التي كانت سبباً في نزول الآيات السابقة أوردتها الواحدي بقوله:

" أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج . . . قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى الكعبي قال : أخبرنا حمدان بن صالح الأشج قال: أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز بن أبي رواد قال: أخبرنا سفيان الثوري عن زياد بن اسمعيل المخزومي عن محمد بن عباد بن جعفر عن أبي هريرة قال : جاءت قريش يختصمون في القدر، فأنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي قَلْبٍ وَسَعْرٍ ﴾ . . . " (٣)

(١) سورة القمر : آية ٤٧ - ٤٩ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم مرجع سابق . ج ٤ . ص ٢٦٧ .

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٧ . ص ١٤٧ .

(٣) الواحدي : أسباب النزول مرجع سابق . ص ٢٩٩ .



فقد كان مشركو قريش ينكرون القدر، ويقولون إن الحوادث كلها  
 حادثة بالكواكب واتصالاتها<sup>(١)</sup> فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يجادلونه في تلك الآراء الضالة حول القدر ذلك الركن، من أركان الإيمان  
 الذى يبين عظمته صلى الله عليه وسلم في أكثر من موطن من سنته ومن ذلك  
 قوله عليه الصلاة والسلام: " لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره " (٢)

وتعظم العقوبة مع عظم الذنب لذا جاء الرد من الله سبحانه وتعالى  
 عنيفاً، يبين لهؤلاء المشركين ولكل من حضر محاجتهم وجدلهم، مقدار ضلالتهم وبعدهم  
 عن الحق، تلك الضلالة التى استحقوا أن ينزل عليهم بسببها أشد العذاب، والذى  
 وضعه تعالى بقوله: ﴿يَوْمَ يُسْحِبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِن سَقَرٍ﴾ \*

ثم بعد أن بينت لهم الآيات مقدار ضلالتهم والعقوبة التى يستحقون أن  
 تحل بهم يوم القيامة إن هم استمروا فى تلك الضلالة ولم يتوبوا عنها وضحت  
 الحقيقة الأزلية التى يجب أن يؤمنوا بها وهى أن كل شيء خلقه سبحانه بقدر.

هذه الحادثة وما نزل فيها من آيات تفتح الأفق لتطبيق العديد من

المبادئ التربوية التى ألقى الضوء فيما يلى على بعض منها \*

١- إيضاح سبب العقوبة قبل الإقدام عليها :

الأسلوب القرآنى فى التربية المستخدم فى الآيات النازلة فى هذه الحادثة يلفت

الانتباه إلى مبدأ تربوى مهم، وهو عدم اقدام المرئيين على عقوبة المرئيين قبل أن

يوضحوا لهم السبب الذى من أجله استحقوا العقوبة حيث تم فى الآيات السابقة ذكر

سبب العقوبة، وهو ضلالتهم وبعدهم عن الحق، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ ثم ذكر نوع العقاب الذى سيحل بهم ان هـنـم

استمروا فى ذلك الضلال، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحِبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ

ذُقُوا مِن سَقَرٍ﴾ \*

(١) الفخر الرازى: التفسير الكبير مرجع سابق ج ٢٩ ص ٦٩

(٢) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد فى أحمد عبد الرحمن البنا: الفتح الربانى مرجع

سابق ج ١ ص ١٣٥ . باب فى الإيمان بالقدر . ص ١٣٥ .

٢- تصوير العقوبة بصورة مؤلمة نفسياً قبل الإقدام على إنزالها ثم بيان طريق

الخلاص منها .

في الحادثة السابقة لم يتــــم إنزال العقوبة الجسمية بأولئك المشركين المنكرين للقدر ، وإنما تم تصوير مشهد العقوبة التي ستنزل بهم إن استمروا على تلك الضلالة ، بصورة مؤلمة نفسياً لينتهوا عن ما هم فيه ، فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ، فأى كرامة يرجوها الإنسان في ذلك اليوم ، وأى فرق بينه وبين البهيمة التي تساق للذبح وهو يومئذ أقل وأحقر شأنًا ، فالبهيمة تساق على قدميها ، ثم تطرح على أرض نظيفة بضع دقائق ليتم ذبحها ، بعد ذلك ترفع للسلخ دون أن تشعر بأى ألم ، أما هو فإنه يسحب على وجهه ليس على أرض نظيفة وإنما في نار ملتهبة تمس وتؤلم جسمه كله ، ولا يكفى ما يشعر به من ألم من جزاء ذلك السحب ، وإنما يقال له ذق والمس هذا العذاب . فبذلك يعذب جسدياً بالسحب في تلك النار ويهتسب بالسحب على الوجه ، ويعذب نفسياً بما يقال له من توبيخ وتقريع على ما آل إليه حاله .

بعد هذا التصوير المؤلم لذلك المصير المنتظر تأتي الآية واضحة وصريحة ببيان طريق الحق الذي يجب أن يسلكوه ويؤمنوا به إذا أرادوا النجاة من ذلك العذاب ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ .

هذا الأسلوب القرآني في التربية يجب أن يستفيد منه المربون عامة فلا يعجلون بتقديم العقوبة لمن يقومون بتربيتهم بمجرد اقترانهم الخطأ ، وإنما لابد أولاً من تبصيرهم بنوع الخطأ الذي أقدموا عليه ، ثم تصوير العقوبة التي يستحقونها من جزاء إقدامهم على ذلك الخطأ ، على أن يتم تصوير تلك العقوبة بصورة تهز وجدانهم وتشير الرعب والخوف في نفوسهم ، وتحفزهم على عمل المستحيل من أجل تفادي ذلك العقاب حتى إذا وصلوا إلى أعلى حالة من الشوق لتلافي ذلك العقاب ، يتم إيضاح الطريق الصحيح لهم ، الذي إذا سلكوه نجسوا

وإن استمروا وأصروا على خطيئهم فإن الله يحب أن  
ينفذ بهم ذلك العقاب وينفس الصورة التي تم توعددهم بها.

٣- عرض المعلومات العلمية بطريقة تعمق الإيمان بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ  
خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

فعلى المعلمين أن يعملوا من خلال ما يدرسونه من معلومات علمية  
على تعميق الإيمان بالقدر في نفوس التلاميذ والمجالات أمامهم عديدة ومن  
ذلك أن معلم العلوم عند تدريسه مثلاً لدرس التكامل بين تركيب أجهزة الإنسان  
والوظائف التي تؤديها، ودرس الترابط الوظيفي بين أجهزة الجسم (١) يجب  
أن يبين قدر الله في هذه الأجهزة من حيث شكلها وحجمها وأماكن وجودها  
وعدها وتلائمها مع ما تؤديه من وظائف.

كذلك معلم الجغرافيا عند شرحه لدورة الأرض حول الشمس وحدث الفصول  
الأربعة (٢) لا يعرض المعلومات بطريقة علمية فقط، بحيث يذكر السبب والنتيجة  
الحتمية له، وإنما يبرز قدر الله سبحانه وتعالى في إيجاد الأسباب وتقديره  
لها وماذا يحدث لو لم يخلق الله تلك الأسباب بتلك الأقدار.

(١) مجموعة من الخبرات: العلوم للصف الثاني المتوسط المملكة العربية السعودية:

الرئاسة العامة لتعليم البنات ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ص ٥١-٧٠

(٢) أحمد موسى البكوري، عكاشة أحمد الجعلي: أسس الجغرافيا الطبيعية للصف

الأول المتوسط + مرجع سابق + ص ٣٢ - ٣٥.

الفصل الثالث

التربية الخلقية بالأحداث

---

تمهيد:

بعد أن عملت التربية القرآنية على غرس جذور الإيمان بالله في نفوس الناس كما أتضح في الفصل السابق أخذت تربيتهم على التحلى بأخلاق لا إله إلا الله ، والتي سأقوم في هذا. الفصل بعرض موجز لأهميتها ، ثم بيان كيفية عملت التربية القرآنية على استغلال الأحداث الجارية في المجتمع لتربية الناس من خلالها على التحلى بكل من الأخلاق الفردية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية .

### أهمية الأخلاق :-

للأخلاق في الإسلام أهمية كبيرة ومنزلة عالية يمكن إدراكها من قول الرسول عليه الصلاة والسلام " بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ " <sup>(١)</sup> حيث إن الأخلاق الإسلامية تمتاز عن غيرها بربانيتها فمصدرها كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى . وبالتالي فهي أخلاق ثابتة لا تتغير بتغير الزمان لأن الذي وضعها هو موجد الزمان والمقدر لما سيكون فيه ، ولا تختلف باختلاف الأفراد لأن واضعها هو الذي خلق الأفراد جميعهم وهو العالم بما بينهم من اختلاف وماهية القيم الخلقية التي تلائمهم وبالتالي فهي توفر للمجتمعات الاستقرار والثبات والسعادة الدائمة . إضافة إلى ذلك فإن ثبات القيم الخلقية مع اختلاف الأفراد والمجتمعات يؤدي إلى تحقيق الوحدة والترابط بين الأفراد داخل المجتمع الواحد من ناحية ، وبين المجتمعات من ناحية أخرى . حيث قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِمَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> وهي لذلك تسمى بالنفس وترتفع بها عن المنافع المادية فتربطها بالله وتجعل جميع ما يصدر

(١) مالك: موطأ الإمام مالك . مرجع سابق . كتاب الجامع . باب ما جاء في حسن الخلق . حديث ١٦٣٤ . ص ٦٥١ .

(٢) مقاد يالجن : التربية الأخلاقية الإسلامية . مصر . مكتبة الخانجي . ١٣٩٧ هـ .

١٩٧٧ م . ص ٨٨ .

(٣) سورة الحجرات : آية ( ١٣ ) .

عنها من أخلاق حميدة متجهة إلى هدف واحد هو رضا الله سبحانه وتعالى وهذا لايعنى أن هذه الأخلاق خالية من المنفعة الدنيوية أو مغلقة لها بل على العكس من ذلك فهي تحقق المنفعة الدنيوية لكن الدافع والموجه للمرء أثناء القيام بها هو الحصول على رضا الله ، فإذا ما حدث تعارض بين هذه الغايات الأخرى وبين المنفعة الدنيوية فإن المؤمن لابد أن يؤثر رضا الله وما سيلقاه من جزاء أخرى على المنفعة الدنيوية القريبة ويبقى ملتزماً بالأخلاق الإسلامية .  
 . حيث قال تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي  
 السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ  
 النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

كما أن الأخلاق الإسلامية أخلاق شاملة تشمل جميع حركات وسكنات وعلاقات الأفراد الشخصية والأسرية والاجتماعية العامة منها والخاصة ، وتشمل جميع نشاطات الإنسان في أى مجال من مجالات الحياة من اقتصاد .. سياسة .. حكم علم ... الخ (٣) ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يٰبَنِي آدَمَ اصْبِرُوا عَلَىٰ مَا أَصَابَكُمْ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ • وَلَا تَمْسُرُوا  
 خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ • وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ  
 إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٤)

وقوله جل جلاله :

﴿ فَمَا أُوْتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا  
 وَمَاعِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ  
 يَتَوَكَّلُونَ • وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ

(١) أحمد عبد الرحمن إبراهيم : الفضائل الخلقية فى الإسلام . الرياض . دار

العلوم . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م . ص ٢٨١ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) محمد قطب : واقعنا المعاصر . جده . مؤسسة المدينة . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) سورة لقمان : آية : ١٧ - ١٩ .

وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا  
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُم الْبَغْيُ هُمْ  
يَنْتَصِرُونَ . وَجِزَاءُ السَّيِّئَةِ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ  
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾

إضافة إلى ذلك فإن الأخلاق الإسلامية ليست أوامر منزلة يجبر الفرد على القيام بها والانصياع لها دون تفكير أو تدبير بل على العكس من ذلك فهي تدعو العقل للتفكير والنظر والتدبير في حبتها والتوصل إلى الحكمة منها والمصلحة المترتبة على القيام بها . ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأُنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ  
لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ . إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ  
الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٢)

يتضح مما سبق أن القيم الخلقية الإسلامية قيم ربانية ينبغي على الناس الالتزام بها ، إلا أن هذا الالتزام يختلف من شخص لآخر على حسب تشرب الشخص لهذه القيم وإيمانه بها وتربيته على الالتزام بها بحيث تصدر عنه في كل حين بيسر وسهولة دون تكلف . لذلك عرف الإمام الغزالي الخلق بقوله :

" الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخه ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكير وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً " (٤)

(١) سورة الشورى : آية ٣٦ - ٤٠ .

(٢) على معبد فرغلي : محاضرات في الأخلاق الإسلامية والإنسانية ، راجعه عبدالعزیز عبدالله عبیده . القاهرة : مكتبة السنكليات الأزهرية . ١٣٩٦ هـ .

١٩٧٦ م . ص ٦٢ .

(٣) سورة المائدة : آية ٩٠ - ٩١ .

(٤) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد : إحياء علوم الدين . بيروت : دارالمعرفة

د . ت . ج ٣ . كتاب رياضة النفس ، ص ٥٣ .

وهذه الهيئة في النفس قابلة بطبيعتها للتأثر بالتربية الحسنة والسيئة، فإذا ماربت تربية حسنة وأصبحت الأفعال الجميلة تصدر عنها بسهولة ويسر قيل فيها خلق حسن، وسميت تلك الأفعال الصادرة عنها بالأخلاق الحسنة. أما إذا أهملت ولم تنم عناصر الخير الكامنة فيها أو ربيت تربية سيئة وصارت الرذائل من الأقوال والأفعال تصدر عنها بيسر وسهولة قيل فيها خلق سيء، وسميت الأفعال القبيحة الصادرة عنها بالأخلاق السيئة. لذلك بدأت التربية القرآنية في تربية الناس تربية خلقية من النفس الإنسانية ولم تبدأ بمقت ما ينتج عنها من رذائل وتقبيحها وتحريمها، وإنما بدأت أولاً بتربيتها على الإيمان بالله لأنه متى انحلت عقدة الشرك من النفس الإنسانية انحلت الرذائل الأخرى المتعلقة في النفس. فالإيمان وحده هو المؤثر على النفس وهو المحرك والدافع لها إلى القيام بجميع الأعمال الصالحة والأخلاق المحمودة. فمتى تمكن الإيمان من النفس استحسنت والتزمت بكل خلق يدعوها الله إلى القيام به واستقبحت وأقلعت عن كل خلق يدعوها الله إلى التخلي عنه. وفي ذلك يقول محمد الغزالي:

" الإيمان قوة عاصمة عن الدنيا، دافعة إلى  
المكرمات، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلى  
خير أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان  
المستقر في قلوبهم وما أكثر ما يقول في كتابه:  
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) ثم يذكر - بعد - ما  
يكلفهم به " (٣)

لذلك تم تخصيص الفصل السابق من هذا البحث لبيان كيف عملت التربية القرآنية على تربية الناس تربية إيمانية. حتى إذا أصبحت نفوسهم في حالة من الخضوع والطاعة لخالقهم مستجيبين لكل توجيه يصدر عنه جل جلاله لثقتهم

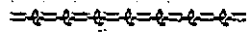
(١) أبو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم. بيروت: دار الفكر. ط ٨. ١٣٩٦هـ  
١٩٧٦م. ص ١٣٤.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن. مرجع سابق. ج ٧. ص ٩٧٣ - ٩٧٤.

(٣) محمد الغزالي: خلق المسلم. دمشق: دار العلم. ط ٦. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.



أن فى ذلك صلاحهم فى دنياهم وآخرتهم ، أخذت التربية القرآنية تربي الناس  
تربية خُلقية ، مستغلة ما يحصل فى مجتمعهم من أحداث وما يصدر عنهم من تساؤلات  
وسيتم فى هذا الفصل عرض بعض النماذج التى يتضح من خلالها كيف عملت  
التربية القرآنية بالأحداث على تربية الناس تربية خُلقية مبتدئة بالأخلاق  
الفردية .



## " النموذج الأول "

## تربية الأخلاق الفردية بالأحداث

الإنسان هو خليفة الله في الأرض في صلاحه صلاحها وفي فساده فساده حيث

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً  
قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ  
وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ  
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

هذه الخلافة لا يمكن تحقيقها بالمعنى الصحيح إلا إذا حقق الفرد العبودية التامة لله ثم تحلى بأخلاق لاله إلا الله لذلك اهتمت التربية القرآنية بوضع القيم الخلقية للفرد . والتي يصبح الفرد بموجبها مسؤولاً مسؤولية فردية عن عمله وموئناً بأنه سيلقى جزاء ذلك العمل في اليوم الآخر . حيث قال تعالى :

﴿ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٢) وبالتالي فإن عليه أن يسعى ليتعلم العلم الذي يمكنه من إصلاح نفسه وهدايتها لذلك كانت أول آية أنزلت من أي الذكر هي قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (٤) . كما يجب عليه محاربة أهوائه حتى لاتضله عن طريق الهداية لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ (٥) مستعيناً لتحقيق ذلك بالصبر والتقوى لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) والصدق في الأقوال والأفعال ذلك الصدق الذي وصي رسول الله صلى

الله عليه وسلم الناس بالتحلى به حيث قال :

- (١) سورة البقرة : آية ٣٠ .
- (٢) سورة الإسراء : آية ١٥ .
- (٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٥٢٧ .
- (٤) سورة العلق : آية ١ .
- (٥) سورة النازعات : آية ٤٠ - ٤١ .
- (٦) سورة آل عمران : آية ٢٠٠ .

" عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن  
البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق  
ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم  
والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى  
النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى  
يكتب عند الله كذاباً " (١)

فهذا الحديث يدل على أن الصدق كغيره من الأخلاق الفاضلة يمكن تربيته،  
حيث أمر عليه الصلاة والسلام بتربية النفس وتدريبها على تحرى الصدق. كما ذكر  
عليه الصلاة والسلام فائدة أخرى من فوائد الصدق وهو أنه يهدي إلى البر، والبر  
بينه سبحانه وتعالى بقوله :

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ  
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ  
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ  
إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ  
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢)

وبهذا يتضح أن الصدق يهدي إلى جميع أنواع الخير وأعلىها الإيمان بالله  
وسيتم في الأسطر القادمة إيضاح كيف عملت التربية القرآنية بالأحداث على  
تربية الناس على التحلى بهذا الخلق الإسلامى حيث قال تعالى :

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ  
قُلُوبَهُمْ قَرِيبًا مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَحِيمٌ  
وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ  
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن  
لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا  
إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَلَايَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣)

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٦ ، كتاب البر والصلوة

والاداب ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٢) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٣) سورة التوبة : آية ١١٧ - ١١٩ .

أخبر سبحانه وتعالى في هذه الآيات عن توبته على النبي والمهاجرين —  
والأنصار بسب ما لاقوه من شدة في غزوة تبوك حيث إنهم استعانوا بالله فثبتهم  
وقبل توبتهم ، من بعد أن كادت قلوبهم أن تنحرف وتميل إلى الدعة والسكون ،  
كذلك أخبر سبحانه عن توبته على الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في تلبسك  
الغزوة بسبب صدقهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ختم سبحانه وتعالى  
هذه الآيات بأمر الناس بتقواه واجتناب ما نهى عنه ، والاقتداء بأولئك الثلاثة  
(١)  
في صدقهم .

وبالتالى فإن هذه الآيات نزلت عقب أحداث غزوة تبوك التى عانى فيها  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن غزا معه من المهاجرين والأنصار ما عانوه  
من عسرة ، ومنها عسرة الزاد التى وصلت إلى الحد الذى  
فيه يمض التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فيما بينهم ، وعسرة الماء التى  
وصلت إلى الحد الذى ذبح فيه بعضهم ناقته ومص فرثها ووضع الباقى على كبده ،  
وعسرة الركب مع طول المسافة إلى الحد الذى كان العشرة منهم يتناوبون على  
ركوبة واحدة . (٢)

هذه العسرة التى تخلف عنها المتخلفون وأكثرهم من المنافقين الذين فضح  
الله أمرهم فى هذه السورة ، كما تخلف من المؤمنين جماعتان كلهم لم يتخلفوا  
شكاً ولانفاقاً وإنما تكاسلاً وميلاً إلى الراحة والظل . وهاتان الجماعتان جماعة (\*\*\*)  
قضى فى أمرهم فى قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا  
وَأَخْرَسَيْنَا عَنَّا اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) ، وجماعة أخرى أخبر

(١) السعدى : عبد الرحمن بن ناصر : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان  
الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة  
والإرشاد ١٤٠٩ هـ . ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣١١ .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ١٦ ص ٢١٥ .

(\*) سورة التوبة : آية ٨١ ، ٩٤ - ٩٦ .

(\*\*) وهم الذين تخلفوا عن هذه الغزوة ثم ندموا وربطوا أنفسهم بسوارى المسجد  
وقالوا : لانطلقها حتى يطلقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( انظر الواحدى

أسباب النزول ص ١٩٤ ) .

(٣) سورة التوبة : آية ١٠٢ .

عنهم تعالى بقوله : ﴿ وَآخَرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) . وهم الثلاثة الذين خلفوا . (٢) وقد ذكر مسلم في صحيحه حال هؤلاء الثلاثة في تلك الغزوة وأذكرها فيما يلي بشيء من الإيجاز :

كان من هؤلاء الثلاثة كعب بن مالك رضى الله عنه، الذى لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاهما سوى هذه الغزوة، وغزوة بدر التى لم يعاقب الله أحداً لعدم خروجه فيها لأنها كانت على غير موعد . وتخلفه هذا لم يكن سببه ضيق ذات اليد فهو لم يكن أيسر حالاً منه فى تلك الغزوة وإنما كان بسبب ميله إلى الراحة والظل والطيب من الثمار والفاكهة، حيث كانت تلك الغزوة فى فصل الصيف . إلا أنه لم يكن عازماً على التخلف عن الجهاد مع الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم وإنما كان متهاوناً فى ذلك حيث يقول : { وطفقت أعدوا لى أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول فى نفسى أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بى } ، حتى أتى المسلمون جهازهم وغادروا المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متجهين لمقاتلة عدوهم . إلا أنه لم يلبث أن شعر بعظم ذنبه وخطأ فعله، إذ يقول : { فطفقت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى أنى لا أرى لى أسوة إلا رجلاً مغموساً عليه فى النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء } (\*).

وظل على حاله تلك حزيناً على تخلفه، خائفاً من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، راغباً فى الكذب عليه ليخرج من سخطه، لكن تقوى الله كانت تنساع تلك الرغبة فى نفسه وتقبحها له . حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الغزوة عندها تغلث تقوى الله على نفسه، فعزم على صدق رسول الله صلى الله

(١) سورة التوبة : آية ١٠٦ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن : مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ١٧٢٧ .

(\* ) هم الذين عذر الله من المرضى والعاجزين والضعفاء والذين لا يجدون ما ينفقون .

عليه وسلم فقال له : { والله لقد علمت لكن حدثك اليوم حديث كذب ترضى به عن ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثت حديث صدق تجد على فيه إني لأرجو فيهِ عَقْبِي اللهُ ، والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفنك } (\*). فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( فقم حتى يقضى الله فيسكنك ) ، لكن أصحاب كعب خافوا عليه من غضب الله وغضب رسوله عليه الصلاة والسلام فأخذوا يلومونه على صدقه وعدم اعتذاره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث إنه قد سبقه ( بضعة وثمانين رجلاً ) من الذين تخلفوا واعتذروا للرسول عليه الصلاة والسلام عن تخلفهم وحلفوا له ( فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله ) {

لكن كعب بن مالك رضى الله عنه عندما ألح عليه أصحابه بذلك سألهم هل قال أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقولته ، فذكروا له أن ( مرارة بن الربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي ) رضى الله عنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فوجد فيهما قدوة صالحة له فمضى منتظراً حكم الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فيه وفي صاحبيه . فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعة المسلمة عن التحدث مع هؤلاء الثلاثة ، فامتلأوا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنكروا لهم وقطعوا كل علاقة قرابة أو أخوة في الدين معهم ، فمكث مرارة وهلال رضى الله عنهما في دارهما يبكيان ، أما كعب فكان شاباً قويا لم يستسلم للبكاء ويمكث في داره ، وإنما كان يخرج للصلاة ، ويظوف في الأسواق ، ويملى بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسارقنه النظر لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه برد السلام عليه . فلما طال عليه الهجر وعظم في نفسه ملاقاه من جفوة المسلمين له ، دخل على ابن عمه وأحب الناس إلى قلبه ، فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام

(\* ) أى أن يعقبنى خير وأن يثبتنى عليه . ( أنظر النووى : صحيح مسلم بشرح النووى

فقال له : ( أنشدك الله هل تعلمن أنى أحب الله ورسوله ) ، فلم يجب عليه  
وعندما ألح عليه بالسؤال أجابه إجابةً لم تشف صدره حيث قال له : ( الله ورسوله  
أعلم ) ففاضت عينا كعب رضى الله عنه بالدموع ، وخرج حزيناً كئيباً من بيت ابن  
عمه . وبينما هو يمشى فى السوق على حالته تلك إذ بنبطى من أنباط الشام  
يقدم له رسالة من ملك غسات ، مكتوباً فيها ( لقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك  
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيفة فالحق بنا نواسك ) ، لكن كعباً لم يـزد  
أن قال بعد قراءته لتلك الرسالة : ( وهذه أيضاً من البلاء ) وحرق الرسالة !  
وبعد أن مضت أربعون ليلة على كعب وصاحبيه منبذين من الجماعة المسلمة  
لا أحد يرد عليهم سلاماً أو يتجه نحوهم بنظرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لهم بيأمرهم باعتزال زوجاتهم ، فبعث كعب زوجته إلى أهلها ، أما هلال فقد  
استأذنت زوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البقاء فى بيته لتقوم  
على خدمته حيث إنه شيخ ليس له خدم فسمح لها الرسول بذلك على أن لا يقربها ،  
فردت على ذلك بقولها : ( إنه والله مابه حركة إلى شئ ووالله ما زال يبكى  
منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ) .

وبعد عشر ليال أى بعد أن عانى أولئك الثلاثة خمسين ليلة من هجر الجماعة  
المسلمة لهم حتى ضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، أنزل الله  
الآيات السابقة منبئة بتوبته عليهم . فأسرع الناس إليهم يبشرونهم بهـمـا  
فانطلق كعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً بتوبة الله عليه ، مخبراً  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من توبته أن يتصدق بماله كله ، لكن رسول  
الله عليه الصلاة والسلام أمره بإمسك بعض ماله ، لأن فى ذلك خيراً له . كذلك  
قال للرسول عليه الصلاة والسلام : ( يارسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق  
وإن من توبتى أن لا أحدثُ إلا صدقاً مابقيت ) . وقد التزم كعب بتوبته هـمـه  
حيث يقول فى ذلك : ( فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله فى  
صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا  
أحسن مما أبلانى الله به والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى  
الله عليه وسلم إلى يومى هذا وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى ) (١)

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، مرجع سابق ، ج ١٧ . كتاب التوبة ، ص ٨٧ - ٩٢ .

هذه الحادثة وما تنزل فيها من آيات تضمنت مبادئ تربية منها :-

(١) الصدق منجاة لصاحبه :

استغلت التربية القرآنية هذه الغزوة وما جرى فيها من أحداث لتربية الناس على التحلى بالصدق ، وذلك من خلال بيان عظم عاقبته وأن فيه منجاة صاحبه من عذاب الله . فقد تاب الله على كعب وصاحبيه بسبب صدقهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل فيهم آيات تتلى إلى يوم الدين .

وحيث إن الصدق قد يسبب لصاحبه بعض المشقات والمعويات العاجلة إلا أن هذا الألم القريب ، والشقاء العاجل ينبغي أن لا يجعلهما الناس ذريعة لبعدهم عن الصدق والتجائهم للكذب ، لأن العبرة بخواتم الأمور . وهذا ما وقع فى الحادثة السابقة ، فقد فضل المنافقون الكذب على الصدق لأن فيه رضا الرسول عليه الصلاة والسلام عليهم واستغفاره لهم وعيشهم داخل المجتمع فى سلام فلا يعلم سرائر النفوس إلا المطلع عليها سبحانه وتعالى فكانت عاقبة كذبهم أن أنزل الله جل جلاله آيات فضحتهم وبينت كذبهم وغضب عليه حيث قال تعالى :

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَاتَعْتَذِرُوا  
لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى  
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ  
لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا  
عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا  
عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* (١)

أما الثلاثة الذين خلفوا فقد فعلوا قول الصدق لرسول الله صلى الله

(١) سورة التوبة : آية : ٩٤ - ٩٦ .



عليه وسلم ، مع ما قد يجره عليهم صدقهم هذا من غضب الرسول عليه الصلوة والسلام عليهم ، ليقينهم أن الله مطلع على سرائرهم وأنه سيبدى من أمرهم ما أخفوه ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أفراد المجتمع بكامله أن يهجروهم حتى إذا استمر هذا الهجر خمسين ليلة قاسوا فيها ما قاسوه من ألم ، ولمس الناس ما جناه صدق هؤلاء الثلاثة عليهم ، وأنه سيكون السبب في هلاكهم ، أنزل الله توبته عليهم بسبب صدقهم . ليس هذا فحسب بل ختم توبته عليهم بدعوة المؤمنيين جميعاً للتحلى بالصدق ، حيث قال جل جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

هذه الدعوة من الله للمؤمنين بتقوى الله والتحلى بالصدق تجعل من واجب المرئيين جميعاً تجنيد وسائلهم وإمكاناتهم لإجابة دعوة الله ، وإنشاء جيل مؤمن يتقى الله ويشعر برقابته ، فلا يعمل إلا صالحاً ، ولا يقول إلا صدقاً . ففي مجال الأسرة مثلاً يجب أن يعود الطفل منذ الصغر على الصدق والإحساس برقابة الله عليه ، فلا يقال له إلا صدقاً ، ولا يقال أمامه إلا الصدق ، ولا يوعد بوعود كاذبة . وهذا ماوجه إليه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : " من قال لصبي تعال هـاك ثم لم يعطه فهي كذبة " (١)

ليس هذا فحسب بل يجب أن يشجع الطفل على قول الصدق ، فإذا اقتترف خطأ معيناً ، واعترف به يُعفى عنه ولا يعاقب عليه ، ويخبر أن سبب العفو عنه هـو صدقه في القول . وحتى لا يتخذ الطفل الصدق وسيلة لارتكاب الخطأ وتجنب العقاب عليه يوجه إلى ضرورة عدم الإقدام على الخطأ لأن الصادق في أقواله لا بد أن يكون صالحاً في أفعاله .

(١) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد في أحمد البناء : الفتح الرباني . مرجع سابق ج ١٩ . كتاب آفات اللسان باب ما جاء في المزج والترهيب من الكذب فيه . ص ٢٦٨ .

ويمكن أيضاً للمُربِّين الاستعانة بالحادثة السابقة وغيرها من الأحداث التاريخية التي توضح كيف كان الصدق سبباً في نجاة صاحبه ، وفوزه في الدنيا والآخرة ، لتربية خُلُق الصدق في نفوسهم بحيث يصدر عنها دون تكلف أو تردد . وبالتالي فإنه يجب أن يسعى المربون إلى مقت الكذب وتقبيحه وتنفير من يقومون على تربيتهم منه وإيقاع أشد العقوبات على الكاذب وبيان أن الكذب ليس من أخلاق المؤمنين مستشهادين بما رواه الإمام مالك عن صفوات بن سليم حيث قال :

" قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جباناً ؟ فقال "نعم" فقليل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ فقال : "نعم" فقليل له : أيكون المؤمن كذاباً ؟ فقال : "لا" (١)

#### (٢) الهجر وسيلة من وسائل العقاب :-

تم في الحادثة السابقة استخدام وسيلة تربوية في العقاب وهي الهجر الذي يعتبر من وسائل التأديب النفس الذي يشعر الفرد بعظم خطئه ، وكبر جرمه ، وإقدامه على عمل استحق بموجبه عزله عن الجماعة . فمن أصعب الأمور على النفس أن يشعر الفرد أنه منبوذ من الجماعة لايمتد إليه طرف بنظر ، ولا تنبر له شفة بكلمة حتى ولو كانت هذه الكلمة هي رد السلام . ولقد صورت الآيات النازلة في هذه الحادثة عظم تأثير هذه الوسيلة التربوية في العقاب في النفس ، حيث قال تعالى : \* ... ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ \*

هذه الوسيلة الناجحة في العقاب يمكن الاستفادة منها وتطبيقها في مجال التربية في الأسرة والمدرسة والمجتمع ، فإذا تمادى المُربِّ في التقاعس عن

(١) مالك : موطأ الإمام مالك . كتاب الجامع - باب فاجاء في الصدق والكذب . حديث ١٨١٦ .

أداء الواجبات المنوطة به القيام بها على الوجه المرضي، أو تمادى في اقتراف الأخطاء فإن عقوبة الهجر يمكن أن تطبق عليه على أن يراعى في تطبيقها سن المُرَبِّي وقسوة تحمله . فإذا كان طفلاً يمكن أن يكتفى فقط بهجر الأم له ، أما إن كان في بدء المراهقة يمكن أن يطبق عليه هجر الوالدين فقط دون الأخوة وذلك حتى لا يلجئه هجر جميع أفراد الأسرة له إلى الهرب من المنزل واللجوء إلى رفقاء السوء الذين لا يخفى على أحد عظم تأثيرهم . كذلك في مجال المدرسة ففي الصفوف الدنيا يكتفى فقط بهجر معلم الصف للتلميذ ، حيث إنه يقضي يومه الدراسي كله تقريباً مع التلاميذ وبالتالي يكون هجره للتلميذ المخطيء أو المتقاعس عن أداء الواجب له أكبر الأثر في نفس ذلك التلميذ . أما في الصفوف العليا في المرحلة الابتدائية وكذلك في المرحلة المتوسطة والثانوية فيمكن الاكتفاء بهجر معلم المادة التي تم فيها التقاعس عن أداء الواجب ، أو الذي شاهد اقتراف التلميذ للخطأ ، أو هجر جميع المعلمين وتلاميذ الصف أو جميع تلاميذ المدرسة ، كما يمكن للمدرسة الاستعانة بالوالدين في عملية الهجر ليكون أثر العقوبة أبلغ في النفس . وهجر المعلم للتلميذ في هذه المرحلة يتم بعدم التحدث معه أو مشاركته في الدرس أو النظر إليه ، ولكن يجب مع ذلك أن يتم الاطلاع على دفاتره وواجباته من غير تصحيحها أو كتابة أي كلمة ثناء عليها .

وبالتالي يمكن القول أنه لا يمكن داخل الأسرة أو المدرسة تطبيق نظام الهجر الكامل ، وإنما يتم تحديد الأفراد الذين يقومون بالهجر وفقاً لسن المُرَبِّي، وعظم الخطأ الذي ارتكبه . أما بالنسبة للجماعة المسلمة فمتى التزمت بالجهاد في سبيل الله فيجب عليها أن تطبق الهجر الكامل على الذين يتقاعسون عن ذلك الجهاد .

٣ - ملاءمة الثواب للعمل :

أثاب الله في الآيات النازلة في الحادثة السابقة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن رافقه من المهاجرين والأنصار في تلك الغزوة على ما لا قوه من مشقة ، وما بذلوه من جهد وعناء في تحملها ، أثابهم بتوبته عليهم ، وأي شيء أعظم جزاء من توبة الله جل جلاله !



## النموذج الثانى

## تربية الأخلاق الأسرية بالأحاديث

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا  
وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١)

فنظام الأسرة فى الإسلام نظام فطرى ، فبواسطتها يتم إنتاج الأبناء ، وعن طريقها يتم تربيتهم على تقوى الله ، والهدف من ذلك كله عبادة الله . لذلك دعا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم الله أن يمن عليهم بالذرية الصالحة ، ومن هؤلاء زكريا عليه السلام الذى دعا ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٢) ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام الذى دعا ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴾ (٣) وبذلك أيضاً دعا المؤمنون رضى الله عنهم إذ قالوا : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتِنَا قَرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٤) . فهدفهم من إنشاء الأسرة هو تقوى الله . لذلك دعت التربية القرآنية الناس إلى إنشاء الأسرة ، والذى يعتبر الزواج أول لبننة من لبناتها ، وهونت على نفوسهم الخوف من تبعاته المالية ، حيث قال تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥) ومن أجل ذلك اهتمت التربية القرآنية بالأسرة ووضعت القيم الخلقية لها ، تلك القيم التى تبدأ بالاهتمام بالأسرة من قبل الزواج حيث حددت الأسس التى يتم بناء عليها اختيار الزوجين هذه

(١) سورة النساء : آية ١ .

(٢) سورة آل عمران : آية ٣٨ .

(٣) سورة إبراهيم : آية ٤٠ .

(٤) سورة الفرقان : آية ٧٤ .

(٥) سورة النور: آية ٣٢ .

الأسس التي أوضحها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر من موطن فــــ سنه الشريفه، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض " (١) وقوله عليه الصلاة والسلام: " تنكح المرأة على احدى خصال ثلاثة ، تنكح المرأة على مالها، وتنكح المرأة على جمالها، وتنكح المرأة على دينها، فخذ ذات الدين والخلق تربت يمينك " (٢) . وعند الزواج حيث قال تعالى: ﴿ فَاَنكِحُوهُنَّ بِأَدْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الآية (٣) . واثناء الزواج حيث قال جل شأنه: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٤) وقوله جل جلاله: ﴿ فَالْمُصَلِّاتُ قِنَاطَرٌ لِّغَيْبٍ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ الآية (٥) وبعد انجاب الأولاد حيث قال تعالى للآباء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِن قَتَلْتُمُوهُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا ﴾ (٦) وقال للابناء: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (٧) . وفي حالة الرغبة في تعدد الزوجات حيث قال عزوجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مِمَّنَّ وَتِلْكَ أَرْبَعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدْنَىٰ أَلَّا تَعْوِلُوا ﴾ (٨) وفي حالة الوفاة حيث قال عز من قائل: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوفًا ﴾ (٩)

ولم يقتصر اهتمام التربية القرآنية بالأسرة على وضع القيم الخلقية لها في حالة دوامها، بل تعدى ذلك إلى وضع القيم الخلقية التي من شأنها القضاء على الصراع والخلاف إن وجد فيها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ الآية (١٠)

- (١) ابن ماجه: سنن ابن ماجه . مرجع سابق ج٠ ١ . كتاب النكاح . باب الأكفساء . حديث ١٩٦٧ . ص ٦٢٢ - ٦٢٣ .  
 (٢) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل: الفتح الرباني . مرجع سابق ج٠ ١٦ . كتاب النكاح . باب صفة المرأة التي تستحب خطبتها .

- ص ١٤٤  
 (٣) سورة النساء آية ٢٥ .  
 (٤) سورة نفسها : آية ١٩ .  
 (٥) سورة نفسها : آية ٣٤ .  
 (٦) سورة الإسراء : آية ٣١ .  
 (٧) سورة النساء : آية ٣٦ .  
 (٨) سورة نفسها : آية ٣ .  
 (٩) سورة نفسها : آية ٧ .  
 (١٠) سورة نفسها : آية ١٢٨ .

ولكن قد يمعب الإصلاح بين الزوجين ، ولاتفلح أى محاولة فى التغلب على أسباب الخلاف ، وإعادة العلاقة الزوجية الطبيعية بين الزوجين ، ويصبح الزواج مصدر عذاب وبؤس ، ويفقد كل مبرراته وغاياته التى شرع لأجلها . فبدلاً من أن يكون مصدر سكن ومودة واطمئنان يصبح مصدرأ للشقاء والأحزان ، وبدلاً من أن يؤدى إلى إنتاج أبناء صالحين ، يؤدى إلى إنتاج أبناء مشردين تائهين ينخرون فى جسم الأمة ضعفاً وإيهاناً ، فى هذه الحالة شرع الله الطلاق ليخلص الأسرة من شقاء دائم ومفاسد كثيرة ستبقى قائمة لو منع الزوجات منه . (١)

فى هذه الحالة التى قد تؤدى إلى انهيار الأسرة إلى الأبد وضعت التربية القرآنية العديد من القيم الخلقية . وسيتفح فى الأسطر القادمة كيف عملت التربية القرآنية بالأحداث على تربية الناس على التحلى ببعض هذه القيم عند إيقاع الطلاق حيث قال تعالى :

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ  
وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا  
أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا  
حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ  
حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢)

بينت الآيات السابقة الطلاق المشروع فى الإسلام بأنه ثلاث طلاقات لارجعة فيه للزوجة بعد الثالثة حتى تنكح زوجاً غيره . أما إذا طلقها واحدة أو اثنتين فهو مخير بين ردها ناوياً بالإحسان إليها ، وبين تركها ، وفى ذلك قال ابن عباس إذا طلق الرجل امرأته تطليقتين فليتق الله فى ذلك أى فى الثالثة فإما أن يمسكها بمعروف ، أو يسرحها بإحسان ، فلا يظلمها من حقها شيئاً لقوله تعالى :

(١) محمد عقله : نظام الأسرة فى الإسلام . عمان : مكتبة الرسالة الحديثية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . ج ٣ . ص ١٣٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٢٩ .

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ أى لا يحل لكم أيهما الأزواج أن تغاوجوا زوجاتكم وتضيقوا عليهن ، ليفتدين منكم بما أعطيتموهن من صدق أو بعضه . حيث نهى سبحانه وتعالى عن ذلك فى كتابه ، إذ يقول : ﴿ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ ﴾ (١) أما إذا لم تقم المرأة بحقوق زوجها ، وابتغته ، ولم تستطع معاشرته فلا حرج عليها فى بذلها ولا حرج عليه فى قبوله ذلك منها . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ وأعقب الله على ذلك بقوله : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أى هذه الشرائع التى شرعتها لكم فى الطلاق هى حدود فلا تتجاوزوها فإنها لا يتجاوزها إلا ظالم لنفسه ولغيره .

والحادثة التى كانت سبباً فى نزول هذه الآية أوردها الترمذى بقوله :

" حدثنا قتبة حدثنا يعلى بن شيب عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان الناس والرجل يطلق امرأته ماشاء أن يطلقها وهى امرأته إذا أراد ارتجعها وهى فى العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته : \* والله لا أطلقك فتبينن منى ولا آويك أبداً . قالت : وكيف ذلك ؟ قال أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضى راجعتك ، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فسكتت النبى صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن ﴿ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٣)

(١) سورة النساء : آية ١٩ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٧ .

(\*) قيل هو رجل من الأنصار . أنظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(٣) الترمذى ، أبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة : الجامع وهو سنن الترمذى

تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض ، بيروت : دار إحياء التراث العربى

د . ت ٣ . ج ٣ . كتاب الطلاق حديث ١١٩٢ . ص ٤٩٧ .



أُلفت هذه الحادثة الضوء على جانب من الأخلاق الأسرية فى الجاهلية، حيث كان للزوج مطلق الحرية فى البت فى أغلظ عقد فيها وهو عقد الزواج . فله الحق فى إيقاع مآشاء من الطلاقات دون رعاية لمشاعر الزوجة ، أو مصلحة الأبناء ، أو استقرار ودوام الأسرة . فكان يستخدم الطلاق لاوسيلة لحل المشكلات العائلية ، وإنما وسيلة للإضرار بالمرأة ونلمس ذلك كله من قول الرجل لامرأته فى الحادثة السابقة : ( لا أطلقك فتسبينى منى ولا أويك أبداً ) فأراد مضاربتها بأن يطلقها فإذا قاربت عدتها على الانتهاه راجعها حتى لاتحل لزوج غيره ثم يطلقها أخرى وهكذا حتى يوافقها الأجل !

فلم يكن هدفه من طلاق زوجته تأديبها ومحاولة إصلاحها لمعاودة الحياة معها ولم يكن يعبأ باستقرار الأسرة إذ أى استقرار للأسرة وربتها تبقى طوال عمرها غريبة عنها منفية منها، لايسمح لها بالقيام بها إلا فترة بسيطة ، ليُعاد مرة أخرى إجلاؤها ونفيها منها . هذه الأخلاق الجاهلية التى واجهتها التربية القرآنية وأخذت تتدرج فى انتزاعها من الناس . فلاتدع مناسبة إلا استغلتها فى نزعها وغرس وتثبيت الأخلاق الإسلامية مكانها ، وهى فى كل هذا تستعين بقوة الإيمان فى النفس التى سعت ببادئ ذى بدء لغرسها فى نفوس الناس . فما أن انطلقت المرأة فى الحادثة السابقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنشده حلاً لما يعزم زوجها القيام به ، حتى تنزلت الآيات السابقة تمنع الرجل من تنفيذ خطته واضطهاد زوجته، وتثبت للجميع عناية التربية القرآنية بالأسرة ، وحرصها على استقرارها واهتمامها بجميع أمورها كبيرها وصغيرها . فهى وإن لم تلغ الطلاق لأن الحاجة قد تكون إليه مناسبة إلا أنها رسمت الطريق الصحيح لإيقاعه ، طريقاً يودى فى آخر المطاف إلى أحد أمرين ، إما الحصول على أسرة مستقرة مطمئنة يعيش جميع أفرادها فى وئام أو يفك هذا الرباط الأسرى إلى الأبد ويتيح لكل من الزوجين الفرصة لبناء أسرة أخرى تحقق الأهداف المقصودة منها والتى لم تسمح الظروف بتحقيقها فى الأسرة الأولى . وحيث إن تقوى الله والخوف من عقابه هو الذى يمنع من التحايل أو مخالفة السير على الطريق الذى رسمته التربية القرآنية فى الآيات النازلة فى الحادثة السابقة لمن أراد أن يوقع الطلاق

خَتَمَتِ الْآيَاتِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ سَاءَ فَاؤْلِيكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ \*

تضمنت المعالجة القرآنية في الحادثة السابقة العديد من الجوانب التربوية والتي أقوم فيما يلي بعرض أهمها :

### (١) حماية الأسرة من الانهيار :-

جعلت التربية القرآنية الطلاق علاجاً أخيراً يُلجأ إليه بعد فشل جميع وسائل الإصلاح بين الزوجين ، ونظراً لما في الطلاق من هدم للأسرة ، وتصديع لبنيانها ، وتشتيت لأبنائها لم تقيد الطلاق بطلقة واحدة تحرم بموجبها الزوجة على زوجها إلى الأبد ، وإنما سلكت به طريق العلاج فجعلته على وضع يمكن الزوجين من مراجعة أنفسهما ، وتدبر عاقبة أمرهما ، وأمر ما قد يكون بينهما من أبناء وشؤون (!) فمنحت الزوج فرصتين لمراجعة زوجته والمحافظة على أسرته من الانهيار . وهذا مادلت عليه الآية النازلة في الحادثة السابقة ، حيث يقول محمد على الصابوني: " دل قوله تعالى: ﴿ الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ ﴾ على أن الطلاق ينبغي أن يكون مفزقاً مرة بعد مرة " (٢) كما قال عبد الرحمن الصابوني : " نظام المراجعة انفردت به الشريعة الإسلامية حرصاً منها على استئناس العلاقة الزوجية بين الزوجين " (٣) ، فالطلقة الأولى تجربة تظهر للزوجين مدى الهوة العميقة السحيقة التي تغرر فاها لتتلقف الأسرة . وتؤدي بالزوجين إلى الانفصال وبالأبناء إلى الغياع ، لعلها بذلك تحد من قوة الخلاف ، وتطأ من حدة شره وشدته ، وتخفف حده وحدته ، فتمر العاصفة بسلام .

(١) محمود شلتوت: الإسلام "عقيدة وشريعته" ، القاهرة: دار الشروق . ط ٣هـ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٥م . ص ١٧٢ .

(٢) محمد على الصابوني : روائع البيان تفسير آيات الاحكام . دمشق : مكتبة

الغزالي . ط ٢هـ - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م . ج ١ . ص ٣٣٣ .

(٣) عبد الرحمن الصابوني : نظام الأسرة وحل مشكلاتها . " في ضوء الإسلام " . دمشق

دار الفكر . ط ٤هـ - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م . ص ١٢٣ .

(٤) محمود الشريف : الإسلام والأسرة . د . ن . ت . ص ١٣٦ .

هذا النظام الذى وضعته التربية القرآنية لحل الخلافات الزوجية توصل إليه بعد أربعة عشر قرناً رجل من كبار رجال القانون الانجليز، وأيدته الكنيسة وفى ذلك يقول كمال عون :

" نشرت صحيفة المصرى بعدها الصادر فى ١٩٥٤/١/٥ مايلى : " وضع قانونى انجليزى كبير مشروع قانون يقضى بايجاد نوع من الطلاق تحت التجربة ، وذلك لكى يتيح للزوجين غير المتفقين فرصة مراجعة أفكارها وتحديد الأسباب التى تدفعهما للطلاق ، حين يكونان فى حالة انفصال بيتى ، وقد أيدت الكنيسة الانجليكانية هذا المشروع " (١)

ولكن كمال التجربة قد لا يحصل بالمرّة الواحدة ، لذا فقد منحت التربية القرآنية الزوجين فرصة أخيرة لتكرار تجربة الفراق يتدبران فيها أمرهما لعلهما يجدان ما يدفعهما إلى استئناف الحياة الزوجية مرة أخرى . ليس هذا فحسب بل وضعت التربية القرآنية العديد من القيود التى من شأنها الحيلولة دون افتراق الزوجين ، وانهييار الأسرة نهائياً حتى بعد إيقاع

الطلاق الأولى ، أو الثانية ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ  
لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ  
مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ  
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ  
نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ (٢)

فحرم سبحانه وتعالى فى هذه الآية تطليق المرأة وهى حائض أو فى طهر عاشرها فيه الزوج معاشرة جنسية ، لحكم كثيرة منها أن طلاق المرأة فى فترة الحيض يفتقر إلى الموضوعية فيه وذلك لأن مشاعر الزوج تجاه زوجته قد لا تكون صادقة

(١) كمال أحمد عون : المرأة فى الإسلام " مكانتها وجهادها ، وحقوقها وواجباتها وطريق نهضتها ، ونهضة الأمة بنهوضها . الرياض : دار العلوم . ط ٢

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . ص ١١١ .

(٢) سورة الطلاق : آية ١ .

(\*) أجمعت الأمة على تحريم طلاق الحائض . بغير رضاها فلو طلقها أثم ووقع طلاقه ( انظر النووى . صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٠ . كتاب الطلاق . ص ٦٠ ) .

فى هذه الفترة بسبب رغبته عنها (١) إضافة إلى أن فى هذا التحريم تربية للرجل على كظم غيظه والتحكم فى مشاعره وعدم التسرع فى إيقاع الطلاق، إذ أنه يتوجب عليه بذلك أن ينتظر فترة بعد اللحظة التى اتجهت فيها نفسه للطلاق، وقد يحدث فى هذه الفترة من الأمور والاعتبارات أو الخواطر النفسية ما يدعو إلى تغيير رأيه وصرفه عن نية الطلاق، أو قد يصر الزوج على طلاق زوجته لكنه يمسك عن ذلك منتظراً قدوم طهرها الذى يحل فيه الطلاق فيطول انتظاره إذ تكون قد حملت منه، فإذا رأى جنينه فى بطنها أثناء ذلك غالباً عن نية الطلاق إذ أن مشاعر الأبوة عادة ما تدفع بالرجل إلى التضحية بمصلحته الشخصية، أما إذا طلقها وقد استبان حملها فلا بد أن تكون قد تجمع لديه من الاعتبارات ما جعله يؤثر ذلك الإجراء على مافيه من مكاره دينية واجتماعية . فيطلقها واحدة لاتغدو على أثرها أجنبية عنه بل لها عليه حق النفقة والسكن ولا يحل له أن يخرجها منه إلا إذا أتت بفاحشة مبينة (\*) ولا شك أن وجودها فى منزل الزوج وعلى مقربة منه وفى متناول يده له أثره فى عودة الأمور إلى ماكانت عليه، خاصة وأن من حق المرأة فى هذه الفترة أن تتزين بما شاءت من لبس وطيب وأن تبتدى فتنتها وتظهر مفاتنها طمعاً فى استمالته وجلباً لما فقدته من مودته، فإذا رغب الزوج فى إرجاعها كان له ذلك بمجرد مراجعتها (\*\*). أما إذا انتهت العدة ولم يراجعها فإنها تبين منه بينونه صغرى وتصبح أجنبية عنه، ولا يحل له مراجعتها إلا بعقد ومهر جديد، وإذا راجعها بعد ذلك واستأنف معها حياة جديدة ثم تعرضت حياتهما بعد ذلك لأسباب القلق فإن له أن يطلقها طليقة ثانية تحيط بها نفس القيود التى أحاطت بالطلقة الأولى . عند ذلك يكون الزوج قد خاض تجربة الفراق مرتين، واطلع على ما يؤول إليه أمره وأمر أسرته فى تلك الحالة،

(١) محمد على الصابوني، روائع البيان تفسيرايات الأحكام، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٠٤.

(\*) الفاحشة المبينة هى الزنا، أو نشوز المرأة وبذاتها على أهل زوجها . (انظر

ابن كثير ج ٤، ص ٣٧٨).

(\*\*) ( تصح المراجعة بالقول مثل قوله : راجعت زوجتى إلى عصمة نكاحي، وبالفعل

مثل التقييل والمباشرة بشهوة، والجماع عند أبى حنيفة ومالك وقال الشافعى

لارجعه إلا بالقول الصريح ولا تصح بالوطء ودواعيه لأن الطلاق يزيل النكاح ) انظر محمد

على الصابوني : المرجع السابق، ج ١، ص ٣٣٢ .

فإذا رأى أن من الأضلع أمسكها أمسكها بمعروف وإسرحها بإحسان. وهذه هي التطليقة  
 الثالثة التي نفرت التربية القرآنية الرجال من إيقاعها حيث قال تعالى:  
 ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> فأى شئ ينفر الرجل  
 من إيقاع الطلقة الثالثة بزوجه أشد من معرفته أنه بعد هذه الطلقة لا تحلل  
 له حتى يترك رجلاً آخر يعقد عليها عقداً صحيحاً ويفاجعها ويتمتع بالحياة معها،  
 وإن شاء طلقها بعد ذلك وعادت إليه زوجته، وإن شاء أمسكها بالمعروف وضاعت  
 عليه زوجته إلى الأبد وهو ينظر ولا يستطيع عمل شئ فهذا ماجنته يداه .

وبهذا يتضح أن التربية القرآنية لم تدع وسيلة من وسائل الوفاق إلا نصت  
 عليها ولا طريقاً من الطرق التي من شأنها أن تحمي الأسرة من الانهيار إلا أرشدت إليه  
 ومن هنا يمكن إدراك خطأ ما يقوم به بعض الأزواج في الوقت الحاضر من التسرع  
 في إيقاع الطلاق لأتفه الأسباب، وجعله أول الحلول لا آخرها، ليس هذا فحسب بل  
 إيقاع الطلقات الثلاث دفعة واحدة، ثم الالتجاء إلى المحاكم والعلماء للبحث  
 عن حل ومخرج لما جناه ابتعادهم عن المنهج الرباني في الطلاق!

إضافة إلى ذلك يمكن إدراك خطأ ما تقوم به الزوجات في الوقت الحاضر من  
 الإسراع في مغادرة بيت الزوجية بعد إيقاع الطلاق الرجعي بهن، وعدم قضاء فترة  
 العدة فيه، معللات ذلك بأن كبيرياً هن لا تسمح لهن بالمكوث في المنزل وهن مطلقات.  
 غير مدركات لما في سلوكهن هذا من مخالفة للمنهج الرباني الذي رسمه الله لهن.  
 لذا فإن على عاتق المرئيين تقع مسؤولية تبصير الشباب والشابات بحكمة  
 مشروعية الطلاق والمواطن التي يُستخدم فيها والطريقة الموافقة للشريعة

(١) البهي الخولى : المرأة بين البيت والمجتمع . القاهرة : مكتبة دار العربية

ط ٣ . ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م . ص ١٣٤ - ١٤٣ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٣٠ .

فى إيقاعه والأخطار المترتبة عليه حتى لا يسيئون استخدامه فتنهار الأسرة.

(٢) مراعاة مشاعر ومصلحة الزوجين :-

نظام الطلاق فى الإسلام والذى بينت الآيات النازلة فى الحادثة السابقة جانباً منه يراعى مصلحة ومشاعر الزوجين . فإن كان الزوج هو الكاره لزوجته والمبغض لها أتاح له نظام الطلاق فى الإسلام فرصتين لتجربة مشاعره والتأكد منها، فإن أيقن باستحالة عيشه معها فإنه يطلقها دون شتم أو مياغضة أو تعد على حق من حقوقها، فلا يسترد ما قدمه إليها من مهر أو ما أنفقه عليها من مال ويدفع لها ما اتفق عليه من مؤخر المصداق، إضافة إلى تأمين السكن لها والنفقة عليها فى فترة العدة وتقديم أجر الرضاع لها إن كانت ترضع له ابناً<sup>(١)</sup> . بل وأكثر من ذلك وهو دفع متعة الطلاق إليها هذه المتعة التى اختلف العلماء فى حكمها بين الوجوب والاستحباب،<sup>(٢)</sup> والتى تعتبر تكريماً للمرأة، وتخفيفاً لما لحق بها من آلام الطلاق، واشعاراً للناس بأن طلاقها كان ناتجاً لخلافات زوجية عادية أو لأسباب خاصة بالزوج لا لعيب خلقى أو خلقى فيها،<sup>(٣)</sup> وفى ذلك يقول الإمام الغزالي: " أن يتلطف فى التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الامتناع والجبر لما فجعهما به من أذى الفراق " <sup>(٤)</sup> . وقد كان كرام السلف يببالغون فى التطيب لخاطر المرأة والتكريم لها بعد طلاقها، ومن ذلك أن الحسن بن على رضى الله عنه دفع عشرين ألف درهم وزقاق من غسل متعة لإحدى نساءه عند طلاقها<sup>(٤)</sup> ليخفف عنها بذلك ما أصابها من حزن نتيجة إيقاع الطلاق بها . وهذه المتعة تختلف عن التعويض الذى يطالب أعداء الإسلام بفرضه على الرجل عند الطلاق<sup>(٥)</sup> .

(١) على عبد الواحد وافى : حقوق الإنسان فى الإسلام . القاهرة . دار نهضة مصر

طه . ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م . ص ١٢٦ .

(٢) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢٠٠ - ٢٠٣ .

(٣) الغزالي ، أبو حامد إحياء علوم الدين . مرجع سابق . ج ٢ . كتاب آداب النكاح .

ص ٥٦ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢٠١ .

(٥) محمد عقله : نظام الأسرة فى الإسلام . مرجع سابق . ج ٣ . ص ١٤٧ .

وذلك لأن المتعة يدفعها الزوج من نفسه تكرماً وعلى قدر سعته، أما التعويض فإنه يفرض على الزوج من قبل القاضى، وتقدير قيمته تستلزم الخوض فى أسباب الطلاق والذى فيه من فضح لأسرار العائلات ما لا يرضاه الإسلام . (١)

أما إن كانت الزوجة هى الكارهة لزوجها والمبغضة له وغير قادرة على معاشرته لسبب خاص بمشاعرها هى وتخاف أن تدفعها هذه المشاعر إلى أن لاتقيم حدود الله التى أوجبها عليها تجاه زوجها، فإن التربية القرآنية فى الايـات السابقة منحت المرأة الحق فى هذه الحالة فى طلب الطلاق من زوجها إلا أنها حرصاً منها على عدم استغلال النساء لهذا الحق فى اقتناص مال الرجل والاستمتاع بخيراته وهباته وما يسوقه من صداق أو جيت على المرأة الغداء تقدمه نظير ما تطلبه من طلاق . حيث قال تعالى ( وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيهَا إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ لَمَّا خَلَعْتُمُوهُنَّ لِأَنَّكُمْ سَأَلْتُمُوهُنَّ وَإِنْ كُنْتُمْ لَتَّامِرِينَ ) (٢) طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه التربية القرآنية عملياً ومن ذلك ما رواه ابن ماجة من قصة زوجة ثابت بن قيس بن شماس حيث ذكر أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت :-

" والله ما أعتب على ثابت فى دين ولا خلق ولكنى أكره الكفر فى الإسلام لا أطيقه بغضاً . فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم: أترددين عليه حديقته قالت: نعم . فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منها حديقته ولا يزيد " (٣)

أما إن دفع الزوجة ظلم زوجها لها إلى طلب الطلاق منه فلا يحل له فى هذه الحالة أن يأخذ منها فدية ويقع الطلاق حيث قال الإمام مالك فى المفتديـة التى تفتدى من زوجها : أنه إذا علم أن زوجها أضر بها وضيق عليها ، وعلم

(١) توفيق على وهبه : دور المرأة فى المجتمع الإسلامى . الرياض . دار اللـواء

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . ص ٤٧ .

(\*) هذا الطلاق يسمى فى لغة الشرع الخلع .

(٢) كمال عون : المرأة فى الأسرة . مرجع سابق . ص ١١٥ .

(\*) أى أخلاق الكفر بعد الدخول فى الإسلام . انظر ابن ماجة . ج ١ . ص ٦٦٣ .

(٣) ابن ماجة : سنن ابن ماجة . مرجع سابق . ج ١ . كتاب الطلاق . باب المختلعة

تأخذ ما أعطاها . حديث ٢٠٥٦ . ص ٦٦٣ .

(١)

أنه ظالم لها ،مضى الطلاق وَرَدَّ عليها مالها " .

هكذا يمكن ملاحظة عدالة نظام الطلاق في الإسلام ومراعاته لمصلحة كلا الزوجين، وأن جهل بعض الرجال والنساء بهذا النظام هو الذي يدفعهم إلى تطبيقه بصورة غالباً مائتس إلى أحد الطرفين، لذا فإن من واجب المرئيين عامة استغلال جميع الوسائل التربوية الموجودة في المدرسة والبيت والمجتمع لبيان المنهج الرباني وكماله ،ليس في مجال الطلاق فقط وإنما في مجالات الحياة عامة .

==||==||==||==||==

---

(١) مالك : موطأ الإمام مالك . مرجع سابق . كتاب الطلاق . ص ٢٨٥ .



النموذج الثالث  
تربية الأخلاق الاجتماعية بالأحداث

المجتمع هو مجموعة أو مجموعات من الأفراد، إلا أن المجتمع المسلم يختلف عن غيره من المجتمعات في أنه مجتمع متماسك، وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " (١) لذلك وضعت التربية القرآنية العديد من القيم الخلقية التي تضمن تماسك وصلاح المجتمع المسلم. فعلى عاتق كل واحد فيه تقع مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۝ الأية. (٢) ومن واجب كل منهم التعاون لتحقيق هذا المعروف حيث قال تعالى: ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ (٣) ومن واجب كل منهم التأكد من صحة الخبر قبل تصديقه حتى لا يسيئ إلى الآخرين أو يظلمهم حيث قال جل جلاله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ (٤) وعلى كل واحد منهم السعي للإصلاح بين الناس حتى لا يظهر الشقاق بين أفراد المجتمع حيث قال عز من قائل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ (٥) ومن واجب كل منهم الحفاظ على عورات الآخرين وعدم الدخول عليهم إلا بعد الاستئذان حيث قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ (٦) وعلى كل واحد منهم الإحسان

(١) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق ج٨ . كتاب الادب . باب تعاون المؤمنين

بعضهم بعضاً . ص ١٤ .

(٢) سورة التوبة : آية ٧١

(٣) سورة المائدة : آية ٢

(٤) سورة الحجرات : آية ٦

(٥) السورة نفسها : آية ١٠

(٦) سورة النور : آية ٢٧

إلى الآخرى — حيث ربط سبحانه وتعالى ذلك بعبادته  
والإيمان به بقوله :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ  
إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ  
الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١)

ومن واجب كل منهم عدم الإساءة إلى الآخرين بعد الإحسان إليهم حيث قال تعالى:  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِضَاءً  
النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ﴾ الآية (٢) ومراعاة مشاعر الآخرين حيث قال  
تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ  
أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ  
خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ  
بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٣)

وسينضح في الأسطر القادمة كيف عملت التربية القرآنية بالأحداث على تربية  
الناس على الالتزام بمبدأ من أهم المبادئ الخلقية الاجتماعية وهو مبدأ المساواة  
الذى يتجلى في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤)  
فالتقوى هي المقياس الذى يتم على أساسه التفريق بين الناس فيتساوى بذلك  
الفقير والغنى إذا تساويا في العمل الصالح وتقوى الله ، بل قد يفوق الفقير  
الغنى في التقوى فيكون بذلك أكرم منه عند الله .

- 
- (١) سورة النساء : آية ٣٦ .
  - (٢) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .
  - (٣) سورة الحجرات : آية ١١ .
  - (٤) السورة نفسها : آية ١٣ .

هذا المقياس هو الذى حرصت التربية القرآنية عليه وعملت على تربية الناس لإقامته فى كل وقت وعدم التغاضى عنه للحظات مهما كانت الأسباب حيث قال تعالى :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ  
يَزْكَى . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى  
فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى . وَأَمَّا مَن جَاءَكَ  
يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ  
فَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ (١)

عاب الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم على كلحه بوجهه وإعراضه وتوليه عن الأعمى الذى جاء يسأله عن أمور دينه، وقد كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم بسبب انشغاله بدعوة صناديد قريش للإسلام ولكن الخطاب جاء بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيماً للرسول عليه الصلاة والسلام وإشفاقاً عليه من أن يكون هذا العتـاب موجهاً إليه . ثم وجه جل جلاله الخطاب لرسوله تأنيساً له بقوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَزْكَى ﴾ أى وما يعلمك لعل هذا الأعمى يزداد طهارة فى دينه ويزول الظلم والجهل عنه ويتعظ بما تقول فتنفعه العظة . ثم عرض سبحانه وتعالى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرجلين وحال كل واحد منهما بقوله تعالى: ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى . وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾ أى أما إذا كان المستغنى بماله والذى تتعرض له وتستقبله وتصفى لكلامه فليس عليك هداه فما أنت إلا رسول وما عليك إلا البلاغ، أما الذى جاءك يطلب العلم ويخاف الله فأنت تعرض عنه بوجهك وتشتغل بغيره . ثم عقب جل جلاله على ذلك العتاب بقوله: ﴿ كَلَّا ﴾ أى لاتفعل بعدها مثلها من إقبالك على الغنى وإعراضك عن المؤمن الفقير، فهذه

السورة أو آيات القرآن موعظة وتبصرة للخلق فمن شاء اتعظ وكان حافظاً  
لها غير ناس (١)

والحادثة التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات أوردها الترمذى فى سننه

بقولسة :

" حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى . حدثنى  
أبى قال : هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه  
عن عائشة قالت : أنزل ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ فى ابن أم  
مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فجعل يقول : يا رسول الله أرشدنى ، وعند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرض عنه ويقبل  
على الآخر ويقول : أترى مما تقول بأساً فيقال  
لا ، ففى هذا أنزل " (٢)

ففى هذه الحادثة يجىء مسلم فقير أعمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يسأله أن يرشده ويعلمه مما علمه الله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول  
عنه بدعوة أحد صناديد قريش للإسلام الذين يرجو بإسلامهم الخير كل الخير  
لدعوته ولدينه ، فهم يقفون بمالهم وجاههم وقوتهم فى وجه الإسلام ويصدون الناس  
عنه ، فلو أسلم هؤلاء لانزاحت العقبات من طريق الدعوة ولكانوا عوناً فى نشر  
هذا الدين ، إلا أن الأعمى ظل يلح فى السؤال مع علمه بانشغال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عنه بأمر مهم ، أمر ليس فيه مصلحة الشخصية وإنما مصلحة هذا الدين  
فهو وإن كان لا يبصر إلا أنه يسمع ! . فيكره رسول الله صلى الله عليه وسلم  
مقاطعة الأعمى له وصرفه عن الأمر المهم الذى يسعى للوصول إليه فيعبس فى  
وجهه ويعرض عنه (٣) فى هذه اللحظة تنزل الآيات القرآنية لتقر ركيزة من

(١) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٩ . ص ٢١٢ - ٢١٥ .

(٢) الترمذى : الجامع وهو سنن الترمذى . مرجع سابق . ج ٥ . كتاب التفسير

حديث . ٣٣٣١ . ص ٤٢٢ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣٠ ، ص ٢٨٢٤ .

ركائز الأخلاق الاجتماعية في الإسلام \* إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ \* تقرها بصورة لا يمكن لأي فرد من أفراد المجتمع المسلم في أي زمان ومكان أن ينساها، وهل ينسى الناس على اختلاف أزمانهم ومستوياتهم أن سورة من سور القرآن ابتدئت بعبارة نبيهم، وتوجيهه إلى أن يساوي بل يفضل في المعاملة الرجل الفقير الأعمى المطم على صناديد قريش وعظمائهم، الذين يرجو عليه الصلاة والسلام إسلامهم. وفي ذلك يقول القرطبي :

" قال علماءنا ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره، وأنه يرجو إسلامهم، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل المفصة، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر إلى المؤمن أولى، وإن كان فقيراً أصلاً وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم وإن كان ذلك أيضاً نوعاً من المصلحة ". (١)

وفي ذلك يقول سيد قطب أيضاً :

" وهنا تتدخل السماء. تتدخل لتقول كلمة الفصل في هذا الأمر، ولتضع معالم الطريق كله، ولتقرر الميزان الذي توزن فيه القيم بغض النظر عن جميع الملابس والاعتبارات. بما في ذلك اعتبار مصلحة الدعوة كما يراها البشر. بل كما يراها سيد البشر صلى الله عليه وسلم. وهنا يجئ العتاب من الله العلي الأعلى لنبيه الكريم، وماحب الخلق العظيم، . . . . . وللمرة الوحيدة في القرآن كله يقال للرسول الحبيب القريب: (كَلَّا) ". (٢)

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٩ . ص ٢١٣ .  
(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣٠ . ص ٢٨٢٤ .

ففى كلمة " كَلَّا " بعد ذلك العتصاف ب توجيه لاعتقاف للنبي عليه الصلاة والسلام لكن لا يتكرر ذلك منه . وفى هذا يذكر الفخر الرازى عن الحسن بن على رضى الله عنه قوله :

" لما تلا جبريل ( عليه السلام ) على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه ، كأنما أسف الرماد فيه ينتظر ماذا يحكم الله عليه ، فلما قال : ( كَلَّا ) سرى منه أى لاتفعل مثل ذلك " (١)

هذه الحادثة وماتنزل فيها من آيات تشمل توجيهات تربوية منها :

(١) قرب منزلة المُربّي من مربيه لاتمنع من عتابه وتوجيهه :

قرب منزلة النبي محمد عليه الصلاة والسلام من الله سبحانه وتعالى حيث إنه خاتم أنبيائه ورسله ، لم يشفع له عند ربه ويجعله يتركه دون أن ينبهه ويوجهه ، إلى أنه سلك سلوكاً كان من الأفضل أن لايسلكه . مع أن دافع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى سلكه هذا السلوك هو أن ابن أم مكتوم قد أسلم وثبت إسلامه ، فالأمر الأساسى والمهم قد حصل عنده ، فلا ضرر من تأخير الإجابة على بعض استفساراته عن أمور الدين لبعض الوقت ، ذلك الوقت الذى كان جل اهتمامه عليه الصلاة والسلام منصباً على أمر فيه صلاح الإسلام . ويمكن للمُربّيّن عامة الاستفادة من هذا المبدأ التربوى ، وتطبيقه ، فلا يسمح المعلم مثلاً لصلة القرآنية التى بينه وبين أحد تلاميذه ، أو المكانة العالية فى المدرسة أو المجتمع التى يحظى بها والد ذلك التلميذ ، بأن تقف عائقاً فى طريق تقديم التوجيه والتربية اللازمة لذلك التلميذ .

(٢) تقديم التوجيه اللازم فى الوقت المناسب :

نزول الآيات السابقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عقب الحادثة السابقة مباشرة . وقبل أن يبرح عليه الصلاة والسلام مكانه ، يلفت نظر المُربّيّن إلى مبدأ تربوى مهم له أكبر الأثر فى التربية والتوجيه ، وهو تقديم التوجيه

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٣١ ، ص ٥٧ .

اللازم في الوقت المناسب ، وذلك لأن تأجيل تقديم التوجيه أو العتاب فترة بعد إقدام المُرَبِّي على العمل الذي استحق بموجبه ذلك ، يفقد التوجيه أثره والعتاب فائدته . وبهذا يمكن إدراك عدم صحة مايقوم به بعض المُرَبِّين من التغاضي عن الأعمال غيرالصحيحة والهفوات التي يقدم عليها من يقومون على تربيتهم في المرة الأولى، وتركها دون توجيه ، فيعتقد المُرَبِّي بذلك أن سلوكه الذي قام به حسن ومقبول ، حتى إذا ما أقدم عليه مرة أخرى، أنزل به أشد العقوبات. وبذلك لا يستطيع المُرَبِّي أن يقوم سلوكه أولاً بأول إضافة إلى أنه قد تعتاد نفسه على الإقدام على الأعمال غير الصحيحة بسبب عدم تقديم التوجيه المناسب له في المرة الأولى.

### (٣) الاقرار بالحق والاعتراف بالخطأ :

الآيات النازلة في الحادثة السابقة وما تضمنته من عتاب مريح وتوجيه شديد للرسول عليه الصلاة والسلام ألقاها جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده دون أن يسمع بها أحد . فكان من الممكن أن لا يعلن عليه الصلاة والسلام هذه الآيات للناس ، ويكتفى فقط بمعرفة ما بدر منه من سلوك نتيجة اجتهاده دون قعدٍ منه ، ويتلافى عمل ذلك في حياته المقبلة ، ويوجه المسلمين بأسلوب غير مباشر إلى أن لا يقعوا فيما وقع فيه عليه الصلاة والسلام . وقد ذكر الطبري في ذلك قول ابن زيد: " كان يقال لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتّم من الوحي شيئاً كتّم هذا عن نفسه " .<sup>(١)</sup> إلا أن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك النفس الطاهرة الأمانة آبت ذلك، وشرعت ترتل هذه الآيات وتعتزف على مسمع من الناس جميعاً أن ربها عاتبها ووجهها إلى ما هو أفضل . بل ولم يكتفِ عليه الصلاة والسلام بذلك بل ظل طوال حياته يقرب ما بدر منه فكان إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط لسانه رداه<sup>(٢)</sup> ويقول : " مرحباً بمن عاتبني فيه ربني . . هل من حاجة " .

(١) الطبري : تفسير الطبري . مرجع سابق . ج ٣٠ . ص ٢٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق .

هذا المبدأ هو الذى ينبغى على المُربِّين عامة تطبيقه، وهذا الطريق فى التعامل هو الذى ينبغى أن يسلكه المعلمون والآباء وجميع أفراد المجتمع الإنسانى فى حياتهم . فلا ينقص من قدر المعلم مثلاً أن يعترف بأنه آسأء، الذى أحسد تلاميذه سواء بقصد أو بغير قصد، وإنما على العكس من ذلك يزيد هذا السلوك من احترام التلاميذ وحبهم له وتعلقهم به واتخاذهم قدوة صالحة حسنة لهم.

(٤) تربية الناس على الإيمان بأن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى :

نزول المعاتبه من الله سبحانه وتعالى على رسول الله عليه الصلاة والسلام فى أعقاب تلك الحادثة مباشرة، يثبت لجميع من حضر هذه الحادثة أو سمع بها أن القيم الخلقية فى الإسلام قيم ربانية، وهى بالتالى قيم ثابتة لا يمكن التخلّى عنها ولو لدقائق مهما نُبل السب وعظمت المنفعة . هذا من جهة ومن جهة أخرى فيه رد على الشبهة التى كان يثيرها المشركون قديماً والتى لا يزال يكررها أعداء الإسلام فى هذا العصر، وهى أن القرآن من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر الله جل جلاله عن قولهم هذا بقوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١)

فمعاتبة الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام فى الحادثة السابقة فيها رد على هذه الشبهة . لأن العظماء الذين يكتبون عن مبادئهم أو أنفسهم، لا يأتون أبداً بقول يتعارض مع مبدأ من المبادئ التى يؤمنون بها ويدعون إليها، ولو أخطأوا يتجاوزون عن خطئهم هذا بعدم ذكره، والاكتفاء فقط بمعرفته فى قرارة أنفسهم . وبالتالى فإنه مهما بلغ صدق الرسول عليه الصلاة والسلام مع نفسه ومن حوله، لاتهم عليه نفسه لدرجة أن يستهل سورة من سور القرآن بمعاتبته . خاصة وأن دافعه لاتخاذ ذلك السلوك ليس انكار مبدأ المساواة بين الناس أو التحقير من أمر ذلك الرجل الأعمى رضى الله عنه، وإنما هدفه نشر الدعوة وصلاحها . وبذلك فإن هذه الآيات من أقوى الأدلة التى يمكن بها الرد على من قال بتلك الشبهة .



## النموذج الرابع

## تربية الأخلاق الاقتصادية بالأحداث

النظام الاقتصادي في الإسلام قائم على أساس أن المالك الحقيقي للمال هو الله، والناس مستخلفون فيه، حيث قال تعالى: ﴿أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١) ومن ثم فإن واجب المستخلف القيام بتنفيذ أوامر وتوجيهات المالك الحقيقي . هذه الأوامر والتوجيهات هي التي تتجلى فيها القيم الخلقية الاقتصادية الإسلامية ، فلا اعتداء على الملكية الفردية لقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُمْ﴾ (٢) ، وقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (٣) ولا يدفع المال إلى من يسيئون التصرف فيه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ (٤) . ولا احتكار للمال لأن الاحتكار يؤدي إلى ظهور النظام الطبقي الذي يحاربه الإسلام، حيث

قال عز وجل :

﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَآيَكُنْ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهُنَّكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥)

إضافة إلى ذلك فقد اقتطع جزء محدد من مال الأغنياء للفقراء، حيث قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرْمِيِّنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦)

• (٢) سورة النساء : آية ٣٢

• (٤) السورة نفسها : آية ٥

• (٦) سورة التوبة : آية ٦٠

• (١) سورة الحديد : آية ٧

• (٣) السورة نفسها : آية ٢

• (٥) سورة الحشر : آية ٧

ثم إن على الأغنياء والفقراء تنمية أموالهم بالطرق المشروعة، حيث قال تعالى:  
 ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١)  
 والابتعاد عن جميع وسائل الكسب غير السليمة، حيث قال عز من قائل: ﴿ يَأْتِيهَا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِلْبَاطٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴾ (٢)  
 الآية . وسينتم في الأسطر القادمة إيضاح كيف عملت التربية القرآنية بالأحداث  
 على تربية الناس على التخلي عن وسيلة من وسائل الكسب الحرام وهي الربا  
 وإحلال القرض الحسن مكانه حيث قال تعالى :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ  
 مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا  
 فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ  
 رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ  
 ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ، وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

أمر الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآيات برقابته، والخوف منه،  
 وترك مالهم على الناس من زيادة على رؤوس أموالهم إن كانوا حقاً مؤمنين بشرع الله .  
 ثم عقب على ذلك بالتهديد والوعيد الشديد، لمن استمر على تعاطي الربا بعد  
 الإنذار. وفي ذلك يقول ابن عباس: ( يقال يوم القيامة لأكل الربا خذ سلاحك للحرب)  
 أما إن تابوا فإنهم لا يظلمون بأخذ الزيادة، ولا يظلمون بترك رؤوس أموالهم، بل  
 يأخذون أصل مالهم الذي دفعوه دون زيادة أو نقص. وفي حالة إعسار المستدين  
 وعدم وجود ما يوفى به الدين، فقد أمرهم الله بالصبر عليه، وندبهم إلى التجاوز عن  
 مالهم عنده، ووعدهم على ذلك الخير والثواب الجزيل .  
 (٤)

وقد ذكر الواحدى فى سبب نزول قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا  
 اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ  
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ الأحداث التالية:

- (١) سورة الملك : آية ١٥ .
- (٢) سورة النساء: آية ٢٩ .
- (٣) سورة البقرة : آية ٢٧٨ - ٢٨٠ .
- (٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

الحادثة الاولى ما رواها بقوله :

" أخبرنا محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر قال : أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال: أخبرنا أبو يعلى قال : حدثنا أحمد بن الأحمشي قال: حدثنا محمد بن فضيل قال : حدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس بلغنا والله أعلم أن هذه الآية نزلت في بنى عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف وفي بنى المغيرة من بنى مخزوم، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف، فلما أظهر الله تعالى رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله. فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة إلى عتاب ابن اسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة : ما جعلنا أشقى الناس بالربا وضع عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو بن عمير : صولحناعلى أن لنا ربنا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية والتي بعدها \* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ \* (١)

الحادثة الثانية مارواها بقوله :

" قال عطاء وعكرمة نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان، وكانا قد أسلفا في التمر، فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لى مايكفى عيالى إذا أنتما أخذتما حظكما كله، فهل لكما أن تأخذوا النصف وأضعف لكما، ففعلا. فلما حل الأجل طلبا الزيادة، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما، وأنزل الله تعالى هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذوا رؤوس أموالهما " (٢)

الحادثة الثالثة مارواها بقوله :

" قال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا. فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) الوحداى : أسباب النزول . مرجع سابق ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٦٥ .

ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا  
أضعه ربا العباس بن عبد المطلب " (١)

وقد ذكر الفخر الرازى هذه الأحداث جميعها مختصرة عند تعرضه لأسباب  
نزول الآيات السابقة، دون ترجيح لأحدها على الآخر (٢) أما القرطبي، وابن كثير  
فقد اكتفيا فقط بذكر الحادثة الأولى، دون تطرق للحادثتين الأخريتين. وبذلك  
يمكن استنتاج أن الحادثة الأولى هي الأرجح في سبب نزول الآيات السابقة، ويؤيد  
ذلك ما ذكره الواحدى عن سبب نزول الآية التى بعدها وهى قوله تعالى:—  
\* وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ\*  
حيث قال :

" قال الكلبي : قالت بنو عمرو بن عمير لبنى  
المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم،  
فقالت بنو المغيرة : نحن اليوم أهل عسر فأخرونا  
إلى أن تدرك الثمرة، فأبوا أن يؤخروهم، فأنزل الله  
تعالى: \* وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ \* الآية " (٥)

نظراً لما يدره الربا من أرباح طائلة لصاحبه دون بذل أى جهد فقد كان منتشراً  
فى الجاهلية. لذلك سلكت التربية القرآنية مسلك التدرج، لتربى المرابي—  
تدريجياً على التنازل عن تلك الأرباح التى تنهال عليهم من الربا . فبدأ تهـم  
بالموعظة الحسنة ، التى تبين لهم أن الزيادة التى يحصل عليها المرابى هـى  
زيادة فى الظاهر، لأنها ليست زيادة فى نظر الله ، إضافة إلى أنها لاتزيد شيئاً  
فى الثروة العامة للمجتمع . أما النقص الظاهرى الذى يصيب الأموال بسبب  
الزكاة، هو زيادة فى نظر الله وزيادة فى الواقع ، وذلك لأن صرف الزكاة فى  
مصارفها يزيد من ثروة المجتمع، وقدراته، وإمكاناته . فقال تعالى: \* وَمَا آتَيْتُمْ  
(٧)

(١) الواحدى : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٦٥ .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٧ . ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٠ . ص ٣٦٣ .

(٤) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٣٣٠ .

(٥) الواحدى : المرجع السابق . ص ٦٥ - ٦٦ .

(٦) محمد على الصابونى : تفسير آيات الأحكام . مرجع سابق . ج ١ . ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٧) على عبد الواحد وإفنى: حقوق الإنسان فى الإسلام . مرجع سابق . ص ٨٣ - ٨٤ .

مِّن رَّبًّا لِّيَرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ  
 وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْعِفُونَ \* (١) ثم انتقلت التريبة القرآنية في تربيتها  
 للناس على التخلي عن الربا من الموعظة الحسنة، إلى تحريمه بالتلميح لا  
 بالتمريح، فبينت تحريمه في الشرائع السابقة، حيث قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ  
 هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ وَبَصَرِهِم مِّن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذِهِمُ  
 الرَّبُّوْا وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ ۗ ۝ ١٠٠ ۝ الأية (٢) \* ثم حرمت بعد ذلك الربا تحريماً جزئياً لا كلياً،  
 حيث حرمت نوعاً من أنواعه، وهو ( الربا الفاحش )، الذي يتزايد فيه الربا حتى  
 يصبح أضعافاً مضاعفة \* حيث قال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا  
 الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* (٤)

وحيث إن الربا لم يكن قد حرم قطعياً فقد صالح رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم بنى ثقيف على أن لهم رباهم، وذلك يتضح من قولهم: ( مولحنا على أن لنا  
 ربانا )، فلما حانت آجال رباهم بعثوا إلى مكة للاقتضاء، حيث كانت هناك ديون  
 لبني عبدة وهم بنو عمرو بن عمير من ثقيف، على بنى المغيرة المخزوميين.  
 (٥)  
 ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد وضع الربا عن أهل مكة عندما فتحها،  
 رفع بنو المغيرة قضيتهم إلى عتاب بن أسيد يشكون إليه ما يجدونه من عناء الربا  
 لبني ثقيف، ويلتمسون لديه حلاً لما هم فيه، إلا أنه لم يتمكن من الحكم لهم أو عليهم  
 لأنه حتى تلك اللحظة لم تكن قد أنزلت آيات تحريم الربا حرمه قطعياً، فرد الأمر  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم \* فما إن وصل الخطاب إلى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم واطلع على ماتعانيه بنو المغيرة من ظلم الربا، حتى تنزلت  
 الآيات القرآنية السابقة .

(١) سورة الروم . آية ٣٩ .

(٢) سورة النساء : آية ( ١٦٠ - ١٦١ ) .

(٣) محمد على الصابوني : تفسير آيات الأحكام . مرجع سابق . ج ١ ص ٣٩٠ .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٣٠ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ص ٣٦٣ .

تنزلت الآيات تخاطبهم بصفاتهم الجديدة التى تباعد بينهم وبين ممارسات الجاهلية، وتستجيش فى قلوبهم مشاعر التقوى، تلك المشاعر التى تدفع صاحبها لأداء أوامر الله وتكون رقيباً داخلياً عليه، إضافة إلى الرقابة الخارجية، فتكفل بذلك تنفيذ أوامر الله، وهذه هى إحدى المميزات التى تمتاز بها التربية القرآنية عن التربية الوضعية التى تستند فقط إلى الرقابة الخارجية التى يسهل التحايل عليها . نزلت الآيات تربيتهم وتعلق إيمانهم بتركهم الربا، فإن لم يتركوه فليسوا بمؤمنين ولو أعلنوا إيمانهم، لأن الإيمان ليس كلمة تقال وإنما كلمة تصدر عن اللسان ويصدقها العمل . ثم إن الآية لم تكتف بهذا النهى بل أعقبته بأقسى وأفظع أساليب التهيب وهو الايذان بحرب من الله ورسوله لمن أقدم على أكل الربا بعد النهى عنه وتحريمه، فهى حرب معروفة المصير مقررة العاقبة فمن من البشر له طاقة بحرب الله ورسوله <sup>(١)</sup> .

وبذلك استغلت التربية القرآنية الحادثة السابقة فى تحريم الربا تحريماً قطعياً وتربية الناس على تركه . وبالفعل أثمرت هذه التربية ثمارها، فلم يطالب بنو عمر بن عمير بالربا وإنما اكتفوا فقط بالمطالبة برؤوس أموالهم، حيث قالوا لبني المغيرة ( هاتوا رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم )، إلا أن المشكلة لاتزال قائمة ولم تنحل نهائياً، نظراً لإعسار بنى المغيرة وعدم تمكنهم من سداد الدين، فطلبوا كما يطلب أى دائن من مدينه أن يمهلوا حتى يحين موعد حصاد ثمارهم . إلا أن بنى عمرو بن عمير الذين اعتادوا من قبل أكل الربا أبوا إمهال بنى المغيرة، فبهم وإن كانوا قد تركوا الربا لأنهم يريدون أن يثبتوا إيمانهم، إضافة إلى أنهم لاطاقة لهم بحرب الله ورسوله، فإنهم ليسوا مطالبين بإمهالهم . إلا أن التربية القرآنية واصلت معهم مبادئه من تربية، فكما سبق أن ربتهم على ترك الربا والاكتفاء بأخذ رؤوس الأموال، ربتهم فى الآية الأخيرة على التحلى بالأخلاق الإسلامية عند المعاملات المالية، لأن الدين يفقد جزءاً كبيراً من حكمته، إذا ضيق الدائن على المدين الخناق وهو معسر لا يستطيع السداد . لذا أمرتهم بإمهال المعسر حتى يمن الله عليه من فضله ويتمكن من سداد دينه وإن كان الأجدر بهم والأصلح هو أن يستغلوا إعسار هذا المدين وحاجته إلى المال فى

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢٢٤ .

إسقاط هذا الدين عنه، للحصول على ما عند الله من نعيم مقيم، وثواب جزئىـل  
مقابل ذلك .

الأحداث السابقة وما تنزل فيها من آيات يمكن منها استنباط توجيهات  
تربوية . من ذلك :

(١) التكافل والتراحم أساس العلاقات الاقتصادية فى الإسلام :

الربا هو استرداد الدين مع زيادة مقتطعة من جهد المدين وعرقه ، أو من  
لحمه ودمه ، فهى مقتطعة من كده وكفاحه إن كان قد ربح أرباحاً من جراء ما بذل  
من جهد وعرق فى تشغيل ما استدانه من مال ، ومقتطعة من لحمه ودمه إن كان لىم  
يربح وخسر فى تجارته ، أو كان قد استدان المال للنفقة أو العلاج .<sup>(١)</sup> وبالتالى  
فإن الربا يقضى على روح التضحية والإيثارة، وينمى فى نفوس المرابين الأثرة  
الفردية، ويجعلهم دائى التريىمى لنكبات الآخرين وحاجاتهم لىستغلوها فى تنمية  
رؤوس أموالهم ، مما يولد فى نفوس المدينين الحقد على هؤلاء الدائىن، والبغض  
لهم وحسدهم على ما أوتوا من مال فتختفى من المجتمع مظاهر المودة والتراحم  
والتعاون والتكافل . ومن ثم فإن الربا يتعارض مع القيم والمبادئ والأخلاق  
الإسلامية ، لذا فقد حرمت الآيات السابقة الربا تحريماً قطعياً، وحلت محله القرض  
الحسن، الذى يؤدى استخدامه إلى أن تختفى من النفوس مظاهر الأثرة والبخل، وتحل  
محله مظاهر الإيثارة والكرم ، ويزول البغض والحقد بين الأفراد، ويحصل  
محله مظاهر الأخوة والمحبة والمودة والتعاون . إضافة إلى غلق باب القروض  
للمعاصى والتبذير ، لأنه لن يوجد هناك شخص مستعد لأن يلقى بماله إلى التهلكة ،  
كما أنه فى هذه الحالة يكون حريصاً على حماية المجتمع من أن ترتكب فىه  
المعاصى ، فليس هناك فائدة ربوية تدعوه للتغاضى عن مصلحة الآخرين، وإنما هناك  
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وسد كل باب يؤدى إلى المعصية .

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٣١٢ .

كما أن القرض يتجلى فيه عادة كرم المقرض وإنسانيته، التي تدفع القارض إلى بذل قصارى جهده لسد ذلك القرض في أقل زمن ممكن، فيكون بالتالي حافزاً له على الجد في عمله، إضافة إلى تهيئه الفرص المناسبة التي يعبر فيها لذلك المقرض عن شكره وامتنانه، ويرد له جزء من معروفه. (١)

(٢) دفع الناس إلى العمل لإزالة الفوارق الاقتصادية :

الربا من أعظم العوامل التي تؤدي إلى تضخم رؤوس الأموال تضخماً شديداً في أيدي فئة قليلة من الناس دون أن يبذلوا أدنى جهد في سبيل الحصول عليه، مما قد يدفع مجموعة منهم إلى التقاعس عن العمل والاعتماد على هذه الوسيلة الهينة في تنمية أموالهم، والتي تعتمد على كد المحتاجين الذين اضطروا للاستدانة في ساعة العسرة، وينتج عن ذلك انقسام الناس إلى طبقتين، طبقة متعظلة عن العمل مترفة غايتها كسب المال بأي وسيلة كانت وصرفه على ملذاتها وشهواتها، وطبقة كادحة تقضى عمرها في العمل لسداد ديونها وما فيها من ربا. (٢) وفي ذلك أورد سيد قطب مقاله الدكتور شاخت الألماني، ومدير بنك الرايخ الألماني في محاضرة له بدمشق عام ١٩٥٣م، إذ يقول :

" إنه بعميلة رياضية ( غير متناهية ) يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرابين . ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة . ومن ثم فإن المال كله في النهاية لا بد - بالحساب الرياضي - أن يصير إلى الذي يربح دائماً ! وأن هذه النظرية في طريقها للتحقق الكامل . فإن معظم مال الأرض يملكه - ملكاً حقيقياً - بصفة الوفاء، أما جميع الملاك وأصحاب

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الإسلام . مصر : مطبعة عيسى البابي الحلبي

وشركاه . ط ٦ . ٥١٣٨٣ - ١٩٦٤ م . ص ١٣٦ .

(٢) المرجع نفسه . ص ١٣١ .



المصانع الذين يستدينون من البنوك، والعمال، وغيرهم، فهم ليسوا سوى آراء يعملون لحساب أصحاب المال، ويجنى ثمرة كدهم أولئك الألوفاً (١)

وبالتالى فإن الربا يقوم على أساس أن الإنسان هو سيد الأرض ابتداءً، وهو المالك الحقيقي للمال، له مطلق الحرية فى كسبه بأى وسيلة كانت وإنفاقه فى أى طريق شاء، وهذا يتعارض مع النظام الاقتصادى الإسلامى . وبالتالى فإن تحريم التبرية القرآنية للربا، وإحلال القرض الحسن مكانه، إضافة إلى ترغيب الدائن فى إسقاط الدين عن المدين فى حالة التأكد من إعساره، يقرب بين طبقات المجتمع ولا يدع فرصة للفوارق الطبقيّة للظهور فى المجتمع المسلم كما أنها تتيح أمام الجميع الفرصة للعمل على تنمية أموالهم فى المشاريع النافعة للبشرية، لا المشاريع التى تدر أرباحاً طائلة بغض النظر عن نوعها .

لذا فإن على المرَبِّين عامة، إيضاح أضرار الربا النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وعرضها على الرأى العام، وإنذار من يتعامل من الناس به بما أنذر به الله فى الآية السابقة بقوله جل جلاله: ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وما أنذر به المرَبِّى الأول لهذه الأمة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حيث لعن عليه الصلاة والسلام " آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواهاً" (٢) إضافة إلى ذلك يجب على المرَبِّين دفع الناس إلى التكافل، وصد أى باب من أبواب الربا، ودحض الأكذوبه الضخمة التى تدعى استحالة قيام الاقتصاد العالمى اليوم وغداً على أساس غير الأساس الربوى، لأنه من المستحيل أن يحرم الله أمراً لا تقوم حياة البشرية إلا به . كما أن إلغاء التعامل الربوى لا يعنى إلغاء المؤسسات والأجهزة اللازمة لنمو الحياة الاقتصادية فى العصر الحاضر، وإنما فقط تطهيرها من الربا ودنسه، وإقامة معاملاتها على أسس أخرى سليمة تتفق مع المنهج الربانى . (٣)

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٣ . ص ٢١٥ .

(٢) مسلم: صحيح مسلم شرح النووى . مرجع سابق . ج ١١ . باب الربا . ص ٢٦ .

(٣) سيد قطب: المرجع السابق . ج ٣ . ص ٢١٣ - ٢١٧ .

## الفصل الرابع

### تربية المرأة بالأحداث

---

المرأة هي نصف الأمة ، وهي المسؤولة عن تربية وإعداد النصف الآخر ، وبالتالي فهي أمة بأسرها . ومع ذلك فقد قاست على مدى الأجيال والقرون في أكثر الأمم القديمة ألواناً من الظلم ، والامتهان لإنسانيتها ، والاعتداء على حقوقها ومورست ضدها جميع أنواع الإهانات ، وعملت كأمة وكأسيرة وكخادمة ، بل وكحيوان مملوك أحياناً كثيرة<sup>(١)</sup> .

من هذا المستوى المنخفض رفعت التربية القرآنية المرأة ، فمنحتها من الحقوق فوق ما تطمح إليه ، وفرضت لها من الضمانات ما فيه حماية لها ورعاية لأنوثتها ، وتحقيق لكرامتها وتقدير للعمل الذي يجب أن تقوم به في هذه الحياة . إلا أنه في هذه الفترة من تاريخ تطور المجتمعات الإسلامية أخذت تتعالى صيحات أعداء المرأة المسلمة ، على أفواه المسممين أنفسهم زوراً وبهتاناً بأنصارها ، فأخذوا ينادون بمساواتها الكاملة بالرجل ، ويطلبون منها التمرد على قوامه زوجها ، ويعملون على صرفها عن مكانتها التي رفعها الإسلام إليها<sup>(٢)</sup> .

لذلك سأقوم في هذا الفصل إن شاء الله ، بدراسة لمجموعة من الأحداث التي توضح الظلم الذي قاسته المرأة في الجاهلية ، وكيف استغلت التربية القرآنية هذه الأحداث في الرفع من مكانتها ، لتلمس المرأة المسلمة بذلك اهتمام التربية القرآنية بها ، وعنايتها بشؤونها ، ومراعاتها لخصائصها ، فلا تنخدع بأكاذيب دعاء تحريرها ، ولا تنساق وراء أقباويلهم ، وتعلم أن الخير كل الخير فيما اختاره الله لها . حيث إن النماذج التي سأتناولها في هذا الفصل تلقى الضوء على بعض القضايا الخاصة بالمرأة والتي يتخذها أعداء الإسلام ودعاة تحرير المرأة مجالاً لمحاربة الإسلام ، وفساد المرأة .

(١) انظر - عبدالمتعال محمد الجبري : المرأة في التصور الإسلامي . القاهرة .

مكتبة وهبة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م . ص ص ١٢٩ - ١٤٦ .

- البهسي الخولي : المرأة بين البيت والمجتمع . مرجع سابق ص ص ١١ - ١٨ .

- مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون . بيروت . المكتب الإسلامي . ط ٥ .

د . ت . ص ص ١٣ - ٢٢ .

(٢) أحمد محمد جمال : محاضرات الثقافة الإسلامية . د . ن . ط ٤ . ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م .

ونظراً لما للقدوة من أثر في التربية ، وحيث إن نساء النبي صلى الله عليه وسلم هن القدوة للنساء المسلمات في كل زمان ومكان ، فسأعرض في هذا الفصل بعض الأحداث التي وقعت لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وكيف عملت التربية القرآنية على استغلالها في تربيتهن رضي الله عنهن . فيعلم النساء بذلك أن زوجات النبي رضي الله عنهن نساء مثلهن يشعرن بما تشعر به كل امرأة ، ويرغبن بما ترغبه كل امرأة ، وينفعلن كما تنفعل أي امرأة منهن لكن ما حصل في حياتهن من تغير ، وفي سلوكهن من تبدل ، إنما هو ناتج عن توجيه عواطفهن وتهذيب مشاعرهن ، وتربية استجابتهن ، ليكون قدوةً صالحةً للنساء المسلمات .

===

## النمـنـوذج الأول

## التربية القرآنية بالأحداث وتكريم المرأة

كانت المرأة في الجاهلية العربية كغيرها من الجاهليات ، تتعبرض لأنواع عديدة من الظلم ، والامتهان ، فكانت تُفرض عليها الواجبات ، وتُحرم من أيسر الحقوق ، ليس لها حق على أب أو زوج ، فلأب الصلاحية في وأدها حية عند ولادتها ، أو تربيتها على مريض ، ثم تزويجها بمن شاء دون أن يكلف نفسه جهد معرفة رأيها في شريك حياتها ، ثم تنقل المرأة من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، لتواصل رحلة عذايها في ذلك البيت ، الذي تعامل فيه معاملة الخادمة ، حيث لا يكون لها حق إيداع رأي في شأن من شؤونه ، إضافة إلى ذلك فقد يعاملها الزوج أسوأ معاملة ، ويضيق عليها ، ويفارها يغيه منه في استرجاع ماقدمه لها من مهر مقابل طلاقها .

ليس هذا فحسب يل تورث يعد موت زوجها ، كما يورث ماله وبهائمه ومتاعه ومن حق من ورثها ( إن لم يكن اينها ) أن يتزوجها رضيت أم أبت ، أو يزوجهها من شاء ويأخذ صداقها ، أو يحبسها حتى يكبر اينه الصغير فيزوجها له إن شاء . (١)

من هذا المستوى المنخفض رفع الإسلام المرأة ، ووضع الميزان الحقيق لكرامتها ، فحرم مضارتها والتضييق عليها ، ومنحها الحق في اختيار زوجها ، ونفى عنها صفة المتاع الموروث ، وأوصى بالإحسان إليها ، وحسن معاشرتها فقال تعالى : -

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا  
النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَآءِ تَيْمُوهُنَّ  
إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ يَفْأَحِشَةً مُبَيِّنَةً وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ  
كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِينَا  
خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢)

(١) محمد أحمد إسماعيل المقدم : عودة الحجاب ( المرأة بين تكريم الإسلام

وإهانة الجاهلية ) الرياض دار طبية ١٤٠٤ ص ٤٩ - ٥٤ ، ٥٠

(٢) سورة النساء : آية ( ١٩ ) .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١)

أعدت الآية الأولى للمرأة المسلمة إنسانيتها التي ضيعتها الجاهلية فنهت الرجال عن تزوجها ، أو تزويجها ممن يشاؤون دون رضاها وأخذ رأيها ، كما نهت الرجال أيضاً عن مضاربتها والتضييق عليها بغية أن تترك صداقها أو يعضه أو حقا من حقوقها عليهم ، إلا في حالة إتيانها بفاحشة مبينة كالزنا والنشوز والعصيان، كما بينت أنه ينبغي على الزوج معاشرته بالمعروف قولاً وفعلاً ، ووصته بإمسакها وعدم مضاربتها ، حتى في حالة كرهها ، فعسى أن يجعل الله للزوج في ذلك الإمساك مع الكره خيراً كثيراً ، فقد تزول الكراهية ويخلفها الحب — أو يرزق منها ولداً باراً بوالديه — .

أما الآية الثانية فقد حرمت على هذه الأمة زواج الابن من زوجة أبيه ، ووصفت ذلك الزواج الذي كان يمارس في الجاهلية بأبشع الأوصاف ، فهو ﴿ فَحِشَةٌ ﴾ أي أمر قبيح يفحش ويعظم قبحه ، ﴿ وَمَقْتًا ﴾ أي بغضاً وهو أمر كبير في النفس يؤدي إلى مقت الابن أبيه ، ﴿ وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ أي وبئس الطريق لمن فعله من الناس .

والحادثة التي كانت سبباً لنزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ..... ﴾ الآية ، أوردها الواحدي في كتابه أسباب النزول بقوله :

" ..... توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية ، فقمام ابن له من غيرها يقال له حصن ، وقال مقاتل : اسمه

- (١) سورة النساء ، آية ( ٢٢ ) .  
 (٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٦٥ .  
 . ٤٦٦ .  
 (٣) المرجع نفسه : ج ١ . ص ٤٦٨ .

قيس ابن أبي قيس، فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها  
ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها  
لتفتدي مني بماله. فأتت  
كبيشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت:  
يا رسول الله إن أبي قيس توفي، فورث ابنه نكاحي،  
وقد أضرتني وطول علي، فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي،  
ولا هو يخلي سبيلي. فقال لها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم: اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله  
قال: فانصرفت، وسمعت بذلك النساء في المدينة،  
فأتين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلن: ما  
نحن إلا كهياة كبيشة غير أنه لم يتكهن الأبناء،  
ونكحنا بنو العم. فأنزل الله تعالى هذه الآية (١).

أما قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ  
سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ . فقد ذكر الواحدي في سبب  
نزولها عدة أسباب منها قوله :

" قال أشعث بن سوار : توفي أبو قيس، وكان من  
صاحبي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأة أبيه، فقالت:  
إني أعدك ولداً، ولكنني آتي رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أستأمره. فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى  
هذه الآية! (٢)

ويمكن من ذلك استنتاج أن كلا الآيتين السابقتين نزلتا في حادثة واحدة،  
وهي ورثة ابن أبي قيس لامرأة أبيه بعد وفاته. وهذا ما يفهم أيضاً مما أورده  
السيوطي بقوله :

" أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: كان  
الرجل إذا توفي عن امرأته كان  
ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء، إن لم تكن أمه،  
أو ينكحها من شاء، فلما مات أبو قيس بن الأسلت  
قام ابنه محسن، فورث نكاح امرأته ولم يورثها من

(١) الواحدي : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) المرجع نفسه . ص ١٠٩ .

المال شيئاً . فأنت النبي صلى الله عليه وسلم  
 فذكرت ذلك له ، فقال أرجعي لعل الله ينزل فيك  
 شيئاً . فنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ  
 آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ، ونزلت ﴿ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ  
 تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ﴾ الآية " (١)

صورت الحادثة السابقة نوعاً من أنواع الظلم والمهانة الذي كانت تلقاه  
 المرأة في الجاهلية ، وأنه لم يكن أمامها إلا الصبر على ذلك فهذا هو العرف  
 وهذه هي العادات ! .

أما بعد أن أشرق نور الإسلام ، شعرت المرأة بأن زمن الظلم والمهانة قد  
 رحل ، ولم لا والآيات القرآنية تنزل في كل حين ، تثبت أن هذا الدين جاء  
 لصالح الناس جميعهم ، لا يفرق بين رجل وامرأة ، أو عيب وحر ، لذا لم تصير  
 كبيشة ولم تستسلم لعادات الجاهلية كما صيرت قبلها النساء ، وإنما  
 اتجهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلتمس حلاً لما ألم بها ، إلا أن  
 الرسول عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى ، فلا يستطيع أن يبت من تلقاء  
 نفسه بأمر لم يأمره الله به . فأمر عليه السلام هذه المرأة المغلوبة على  
 أمرها بانتظار أمر الله فيها ، وكله ثقة بأن الله لا يرضى الظلم لعياده ، وأنه  
 سينزل في هذه المرأة وغيرها من النساء قرآن يرد لهن إنسانيتهن ويحقق لهن  
 كرامتهن .

يداها إن أفراد المجتمع في ذلك الوقت . كانوا على علم بما تلقاه  
 المرأة من ظلم واضطهاد على يد الرجل في ظل تلك العادات الجاهلية . إلا أن  
 شكوى كبيشة للرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم شكوى مثيلاتها من النساء جعل  
 الجميع متشوقين لمعرفة الحكم القرآني في هذه القضية التي تم عرضها على  
 رسول رب العالمين .

وبالفعل استغلت التربية القرآنية هذه الحادثة ، فجاءت للرجال بتربية

(١) السيوطي : لباب النقول في أسباب النزول . مرجع سابق . ص ٧٢ .



واضحة ، تُعلي من شأن المرأة ، وتحقق إنسانيتها ، وتمنحها من الحقوق مالم يكن معترفاً به لها . إلا أن الآيات لم تبدأ مباشرة بذلك ، وإنما بدأت بنداء الرجال بقوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ نداء لهم بصفتهم الجديدة تلك الصفة التي تخلصهم من سيطرة ما تعارفوا عليه ، ونشأوا على إقراره ، من رذائل الجاهلية ، بل وترفعهم عنها ، وتباعد بينهم وبينها ، مبينة لهم أن لا ولاء بينهم وبين الجاهلية الماضية ، وأنهم الآن أمة مؤمنة أنشأها الله وفق منهجه ، فلا تتلقى إلا منه ، ولا تنفذ إلا حكمه . ففي هذا النداء لهم بهذه الصفة تهيئة لنفوسهم لقبول تلك التربية ، وبيان أن سبب ما سيحدث من جراء تنفيذها من انقلاب في أنظمة المجتمع راجع إلى تحول المجتمع من مجتمع جاهل إلى مجتمع مؤمن .

وبعد هذا النداء قررت الآيات إنسانية المرأة وكرامتها ، فلا يليق بالجماعة المؤمنة أن ينتشر بينها الظلم ، ولا أن يمتهن أحد أعضائها ، فحمت المرأة من أن تورث كما يورث المتاع لأنها إنسان ، كما نهت عن إكراهها على الزواج ممن لا ترضى ، وحرمت عضلها ومضاربتها والتضييق عليها ظلماً من غير ارتكابها لفاحشة توجب ذلك .

بل ولم تكتفِ الآيات بذلك فقد وصت الأزواج بمعاشرة زوجاتهم بالمعسروف حتى في حالة كرههم لهن ، معللة ذلك بأن الإنسان لا يعلم الغيب ومرغية الأزواج بما في غيب الله من خير . وبذلك يتأنى يعقد الزوجية ويحفظ للأسرة دوامها ، وللأفراد العيش في ظلها في مودة ووئام .

إلا أن هذه الأسرة التي حرصت التربية القرآنية على يقائها حتى في حالة كره الزوج لزوجته ، لا يمكن أن يعيش جميع أفرادها في مودة ووئام ، وينام فيها الأب قريبر العين وهو يعلم أن أحد أبنائه الذين هم من صلبه يمكن لسه أن يتزوج بامرأته بعد وفاته في حالة موافقتها عليه ، لقوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۖ ۝۰۰۰۰ ﴾ الآية . فجاءت الآية الثانية مبينة حرمة زواج الابن من زوجة أبيه وواصفة إياه بأشع الأوصاف . فتضع بذلك التربية القرآنية زوجة الأب في منزلة الأم المفقودة ، لا في منزلة

الزوجة المنتظرة . فيتمكن الأب إلى وجود زوجته بين أبنائه لتساوره الظنون ولا تحرقه نار الغيرة . فتعيش بذلك الأسرة المسلمة وفق هذا التنظيم الإسلامي في سعادة وهناء .

ومن التوجيهات التربوية التي يمكن استنباطها من هذه الحادثة وما تنزل فيها من آيات مايلي :

١ - عدم إكراه المرأة على الزواج ممن لا ترغب فيه :

اهتمام التربية القرآنية بالأسرة عامة ، والمرأة خاصة ، جعلها تكرم المرأة ، وتمنحها الحق في اختيار زوجها ، فلا يحق لوليها أن يكرهها على الزواج منه (\*) . أو الزواج من غيره . وهذا التوجيه القرآني يؤثر بصورة مباشرة على سعادة الأسرة وتربية الأطفال .

فعقد الزواج هو أول لينة في إنشاء الأسرة ، فإذا وضعت هذه اللينة باتفاق ورضى الطرفين ، أصبح الأمل قوياً في إنشاء بنيان أسري قوي ، أسرة يسودها جو من المودة والعاطفة والوئام .

كما أن التربية القرآنية بمنحها هذا الحق للمرأة أتاحت أمامها الفرصة لترسم في ذهنها صفات معينة تختار الزوج على أساسها، صفات تجعل هذا الزوج عوناً لها على تربية أبنائها وتحقيق ما تنشده فيهم من كمال الدين والخلق .

لذا فقد حرص المُرَبِّي الأول لهذه الأمة عليه الصلاة والسلام ، على إيضاح هذا الحق الرياني للمرأة ، وتثنييه الناس إلى ضرورة تطبيقه ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : " لاتنكح الشيب حتى تستأمر ولا اليكر حتى تستأذن ، وإذنها الصُّمُوت " (١) .

(\*) إذا كان غير محرم لها كابن عمها .

(١) ابن ماجة : سنن ابن ماجة . مرجع سابق . ج ١ . كتاب النكاح ، باب

استئثار البكر والشيب . حديث رقم ١٨٧١ . ص ص ٦٠١ - ٦٠٢ .

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الآباء لا يزال في نفوسهم بعض من روااسب الجاهلية ، فيرون أن ليس هناك ضرورة لأخذ رأي الفتاة في زواجها، إذا رأى الأب أن في ذلك مصلحة ومنفعة معينة . وهذا ما حصل في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلا أن النساء المسلمات اللاتي تربين تربية قرآنية ، لم يستسلمن لذلك ، وأخذن يدافعن عن ما منحهن الله لهن من حق ، ويقررن ما أقره الله لهن، ولم يدعن فرصة للجاهلية لأن تعود وتسيطر عليهن مرة أخرى ، ومن ذلك ما ذكره ابن ماجة في سننه حيث قال :

" حدثنا هناد بن السرى ( حدثنا ) وكيع عن كهيم بن الحسن ، عن ابن يريدة ، عن أبيه ، قال : جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيته\* قال ، فجعل الأمر إليها . فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء " (١)

لذا فإنه يجب على كل ولي أمر مسلمة من المسلمات ، سواءً كان أباً - - أو أخاً - - أو عمّاً - - ، أن لا يكره من يتولى أمرها على الزواج ممن لا ترغب ، تنفيذاً لأمر الله وإتباعاً لسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . فإذا رفضت المرأة أن تتزوج بمن خطبها ورأى وليها أن صلاحها في أن تتزوج منه ، فإنه ليس له إكراهها ، وإنما عليه مناقشتها ، ليتعرف على وجهة نظرها ، ومالديها من مبررات ودوافع جعلتها ترفض الزواج من ذلك الخطيب ، فقد تكون وجهة نظرها صائبة ، وقد تكون تجلت لها من الأمور ما غاب عنه . فإن رآها على صواب أقرها ، وإن رآها على غير ذلك حاول إقناعها بالزواج من ذلك الخطيب ، بأن يعرض عليها ما يمتاز به من دين وخلق وعلم ، محاولاً بذلك إقناعها لا إكراهها .

(\*) أي ليزيل عنه إنكاحي إيساه دناعته .

(١) ابن ماجة : سنن ابن ماجة . مرجع سابق . كتاب النكاح . باب

من زوج ابنته وهي كارهه . حديث رقم ١٨٧٤ ج ١ ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

عملت التربية القرآنية على استغلال الحادثة السابقة في توجيه الرجال، وتربيتهم على عدم مضارة النساء والتضييق عليهن ، بغية دفعهن إلى أن يفتدين أنفسهن منهم . ليس هذا فحسب بل أوصتهم بتكريم المرأة وإحسان معاشرتها ، وعدم اتخاذ الرجل كرهه لزوجته ذريعة لإيقاع الطلاق بها ، أو سوء معاشرتها . لأنه قد يكون في صبره عليها ، وحسن معاشرتها مع كرهه لها ، خير كثير يخفى عليه . فجعلت الخير غيباً مجهولاً ولم تصرح به ترغيباً للرجال في السعي للحصول عليه .

وقد فهم السلف الصالح هدف التربية القرآنية المتضمن في قوله تعالى :  
 ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ . فكانوا حريصين أشد الحرص على الحصول على هذا الخير . ومن ذلك ما ذكره القرطبي في جامعه يقول :

" كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد من العلماء والدين في المنزلة والرفعة . وكانت له زوجة سيئة العشرة ، وكانت تقصر في حقوقه ، وتؤذيه بلسانها ، فيقال له في أمرها ويُعذل بالصبر عليها فكان يقول : أنا رجل قد أكمل الله علي النعمة ، في صحة يدني ، ومعرفتي ، وما ملكت يميني . فلعلها يُعثت عقوبة على ذنبي فأخاف إن فارقتها ، أن تنزل بي عقوبة أشد منها (١) . "

فعلم هذا الشيخ بالقرآن ، وتطبيقه لما فيه من توجيهات ، دفعاه إلى حسن معاشرۃ زوجته ، مسح إساءتها إليه ، وعدم قيامها بحقوقه عليها . هكذا تفعل التربية القرآنية بمن يطبقها . فأين هذا الشيخ من بعض الرجال اليوم ، الذين يُقدمون على إيذاء زوجاتهم ، لا لذنب اقترفته ، وإنما رغبة منهم في السيطرة عليهن ، واعتقاداً منهم أن القسوة على المرأة والخشونة في معاملتها ضرب من

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٥ . ص ٩٨ .

الرجولة والشهامة ، وإن ملاطفة الرجل لزوجته ، وحسن معاشرتها ينقص من رجولته ، وعلامة من علامات الضعف يخشى أن يعلم بها الرجال .<sup>(١)</sup> فهل أنقص من رجولة رسول الله صلى الله عليه وسلم سباقه لعائشة رضي الله عنها ، وحسن معاشرته لزوجاته ومداعبته لهن وتلفظه في الحديث معهن رضي الله عنهن؟؟<sup>(٢)</sup>

إضافة إلى ذلك فإن من الشباب من يببالغ في رسم صورة فتاة أحلامه ، فينشد فيها كل كمال ، فإذا جاءه الواقع مخالفاً لتلك الأحلام ، تعرضت حياته لكثير من الكدر ، يل وقد ينتهي به الأمر إلى طلاقها . وهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : " لا يَقْرُكُ مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً ، رضي منها آخر أو قال غيره " .<sup>(٣)</sup>

ليس هذا فحسب بل أطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على طبيعة النساء ، وواجب الرجل تجاه تلك الطبيعة ، بقوله عليه الصلاة والسلام : " إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها " .<sup>(٤)</sup>

ففي هذا الحديث تربية للرجال على مواجهة هذا الواقع ، وعدم الميالفة في رسم صفات فتاة الأحلام ، فلا يمكن أن تتوفر في امرأة واحدة جميع صفات الكمال التي ينشدها الرجل ، ولكن مع ذلك يمكن له أن يعيش معها حياة سعيدة ، إذا غُض النظر عن ما لا يرضيه منها ، ولم يحاول تقويمها بشدة .<sup>(٥)</sup>

وبالتالي فإن على الرجل أن يتبع مجموعة من الوسائل التربوية ، تعينه على تنفيذ أمر الله له في معاشرة زوجته بالمعروف . ومن ذلك مداعبتها وملاطفتها بالطيب من القول والفعل ، والمحافظة على كرامتها وعدم الإساءة إليها بقول أو

- (١) البهي الخولي : المرأة بين البيت والمجتمع . مرجع سابق . ص ٧٤ - ٧٥ .
- (٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٦٦ .
- (\*) الفرك بفتح الفاء واسكان الراء البغض . انظر النووي في صحيح مسلم بشرح النووي . ج ١٠ . ص ٥٨ .
- (٣) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١٠ . كتاب الرضاع . ص ٥٨ .
- (٤) المرجع نفسه . ج ١٠ . ص ٥٧ .
- (٥) البهي الخولي : المرجع السابق . ص ٧٥ - ٧٦ .

فعل سواً كان ذلك بينه وبينها أو أمام الآخرين ، والتجاوز عن أخطائها وعدم محاسبتها على كل صغيرة وكبيرة تيدر منها ، والتشاور معها في الأمور الخاصة بالأسرة والأخذ برأيها إذا وجد أن فيه مصلحة الأسرة ، وتقديم الهدايا إليها في المناسبات وتكريم أهلها إذا وفدوا عليه ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم وعدم ذكرهم بما يسيء إليهم .<sup>(١)</sup>

٣ - عناية المرأة بزینتها في بيتها لغرض يصر الزوج عن النظر إلى غيرها :

من الوسائل التي تُعين بها المرأة المسلمة زوجها على معاشرتها بالمعروف وتدخل بها السرور إلى قلبه ، التزين له في بيته ، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " أي النساء خير؟ ، التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره " .<sup>(٢)</sup> ففي هذا الحديث النبوي تربية للمرأة وتوجيه لها إلى ضرورة التزين لزوجها فلاتقع عينه منها إلا على كسل جميل .

وقد هيأت التربية القرآنية المتضمنة في الآيات النازلة في الحادثة السابقة للمرأة جميع الظروف ، التي تتيح لها التزين لزوجها في بيتها . فهي لم تُكره على الزواج منه وإنما تزوجته برضاها وعن اقتناع منها وبمحض إرادتها ، وهو لا يعضلها ولا يضيق عليها لأن الله نهاه عن ذلك ، إضافة إلى أنه يعاشرها بالمعروف تنفيذاً لأمر الله ورغبة فيما لديه من خير .

كل هذه الأمور تهيب المرأة نفسياً للاجتهاد في إبداء زينتها لزوجها . كما أن شعور المرأة بحرمة زواجها من أبناء زوجها ، والذين غالباً ما يسكنوا معها في منزل واحد ، يجعلها لا تجد في نفسها حرجاً من التزين في منزلها لزوجها . وكذلك شعور أبناء الزوج بحرمة زواجهم من زوجة أبيهم حرمة دائمة ،

(١) محمد عقلية : نظام الأسرة في الإسلام . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٥١ .

(٢) النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي : سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي

وحاشية الإمام السندي . بيروت : دار الفكر ١٣٨٤ هـ - ١٩٣٠ م

ج ٦ . كتاب النكاح . ص ٦٨ .

يجعل أنفسهم لا تتحرك نحوها بأى لون من ألوان الشهوة، مهما اجتهدت فسى  
التزين في منزلها لأبيهم .

٤- وضع زوجة الأب في منزلة الأم المفقودة لا الزوجة المنتظرة :

إن تحريم زواج أبناء الزوج من زوجة أبيهم حرمة دائمة يدفعها  
إلى الإحسان إليهم، وحسن تربيتهم ، والعطف عليهم ، ومعاملتهم بما تعامل  
به أبناءها دون تخوف من أن يفسر سلوكها هذا على أنه رغبة منها فسي  
الزواج من أحدهم في المستقبل .

كما أن في هذا التحريم تربية للمرأة على المساواة في المعاملة  
بين جميع أبناء زوجها ، دون تفضيل من قبلها لأحدهم أكثر من اخوته لما  
يتمتع به من صفات توهله لأن يكون هو الزوج المرتقب بعد وفاة أبيه ،  
لأن إحسانها الزائد إليه ، وعطفها الدائم عليه ، وحبها له دون إخوته  
في هذه الحالة قد يوءدى إلى كره إخوته له وحقدهم عليه ، كما أنه قد  
يسوءدى إلى كراهية الأب لهذا الابن لأن الزوج يكره أن يشتغل  
قلب زوجته بحب غيره والتفكير بالزواج منه بعد وفاته حتى ولو  
كان ابنه ، وكراهية الابن لأبيه لأن الرجل بفطرته يكره الـزوج  
السابق لزوجته .

فينتج عن ذلك كله توتر في العلاقة بين الأب والأبناء، يتبعه  
بالتالى توتر في الأسرة ، والمجتمع . إضافة إلى ذلك فان حب المرأة لابن  
زوجها، وتعليقها الآمال على أن تتزوج منه في يوم من الأيام ، وشعور  
الابن بهذا الاهتمام والهدف منه ، قد يوءدى بهم إلى ارتكاب الفاحشة  
في حالة طول عمر الأب . وبذلك فإن في تحريم زواج الأبناء من زوجة أبيهم  
حفاظا للأسرة والمجتمع من هذه الآثار الضارة .

## النموذج الثاني

التربية القرآنية بالأحداث وتأكيدها مساواة المرأة بالرجل

وتوضيح معناها

رفع الإسلام من منزلة المرأة فكرمها ، ومنحها من الحقوق ما لم يكن متعارفاً به لها من قبل . إلا أنها يعد أن شعرت بالمكانة الرفيعة التي وضعها فيها الإسلام ، أخذت تطالب بالمساواة التامة مع الرجل ، فنزلت الآيات القرآنية توضح للجميع المفهوم الصحيح للمساواة بين المرأة والرجل في الإسلام ، وممن ذلك قوله تعالى :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ يَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَارَبُوا وَآخَرُوا مِّن دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَاتَلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ ۝ (١) ﴾

وقوله عز من قائل :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُكَلِّمُ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ (٢) ﴾

وقوله عز وجل :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ

(١) سورة آل عمران : آية ( ١٩٥ ) .

(٢) سورة النساء : آية ( ٢٢ ) .



وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا <sup>(١)</sup> .

قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي فأجابهم ربهم ﴿ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾ تفسير للإجابة أي قال لهم ربهم مُخيراً إياهم أنه لا يضيع عمل عامل لديه ، يل يوفي كل عامل يقدر عمله ، من ذكر أو أنثى ، ﴿ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ أي جميعكم في ثوابي سواء ولا اعتبار لفارق الجنس وإنما الاعتبار للفارق في الطاعة والعمل ، ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا ﴾ أي تركوا دار الشرك وآتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحياب والإخوان والخلان والجيران ، ﴿ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ أي آذاهم المشركون وضايقوهم ، حتى اضطروهم إلى الخروج من بلادهم ، ﴿ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي ﴾ أي كان سبب إبدائهم ومضارتهم ودفعهم إلى مفارقة أوطانهم ، هو أنهم آمنوا بالله وحده ثم بين سبحانه وتعالى أعلى مقامات أعمالهم ، وهي أنهم قاتلوا في سبيل الله وقتلوا المشركين وقتلوا ، فأثابهم على ذلك بقوله : ﴿ لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ أي إن ثوابهم على ما قدموا من عمل هو تكفير سيئاتهم فلا يفاقون عليها ، يل وأكثر من ذلك إدخالهم جنات تجري من خلالها أنهار من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فهو ثواب من عند الله نسيه إلى نفسه ، ليدل على عظمته ، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلاً كثيراً فهو وحده عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى . <sup>(٢)</sup>

فساوى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الرجال والنساء في الجزاء الأخروي ، إلا أنه في الآية الثانية نهى النساء عن تمني ما فضل الله به الرجال عليهن سواء كان هذا التفضيل في الأمور الدينية أو الدنيوية ، مخيراً بأن ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ فكل سيلقى جزاء ما عمل في هذه الحياة ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وقيل إن المراد بذلك

(١) سورة الأحزاب : آية ( ٣٥ ) .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

في الميراث أن كلاً يرث بحسبه . ثم أرشدهم سبحانه وتعالى إلى ما فيه صلاح شأنهم ، فقال عز من قائل: ﴿ وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ لأن التمني لا يجدي شيئاً ولكن الذي يجدي هو سؤال الله من فضله فهو الكريم الوهاب ، وهو بكل شيء عليم يعطي كل امرئ على حسب ما يستحق .<sup>(١)</sup>

وذكر سيد قطب أن المقصود بقوله تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾ ما منحه الإسلام للمرأة من حق الملكية الفردية<sup>(٢)</sup>

ثم بينت الآية الأخيرة عشرًا من الصفات التي يجب أن يتحلى بها أفراد الجماعة المؤمنة رجالاً ونساءً على حد سواء، وما أعده من أجر لمن التزم منهم بها . وهذه الصفات هي :

- الإسلام أي الاستسلام لله والانقياد التام لأوامره .
- الإيمان وهو " التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان "<sup>(٣)</sup>
- القنوت أي طاعة الله في سكون ، وبنشأ من الإسلام والإيمان .
- الصدق في الأقوال ويقتضي اجتناب الكذب .
- الصبر على المصائب والعلم بأن لا راد لقدر الله .
- الخشوع أي السكون، والطأنينة، والتودد، والوقار، والتواضع، والحامل على ذلك كله هو الخوف من الله تعالى .
- التصدق أي يذل الأموال إلى الضعفاء والمحتاجين .
- الصيام وهو الصبر عن الشهوات ، يما في ذلك شهوة الطعام .
- حفظ الفرج أي صيانتة عن المحارم والمآثم ( الزنا وغيره ) .
- ذكر الله أي المداومة على ذكر الله تعالى .

ثم أخبر سبحانه وتعالى أن الملتزمين من الرجال والنساء بالصفات السابقة قد هيا لهم مغفرة لذنوبهم ، وأجرًا عظيمًا وهو جنته .<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٨٨ .
  - (٢) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ٤ . ص ٤٦٥ .
  - (٣) الخازن : لباب التأويل في معنى التنزيل . مرجع سابق . ج ١ . ص ٢٦ .
  - (٤) ابن كثير : المرجع السابق . ج ٣ . ص ٤٨٧ - ٤٨٨ .

وقد أورد الترمذي أسباب نزول الآيات السابقة في جامعه بقوله :

" حدثنا ابن أبي عمر ، ( أخيرنا ) سفيان عن عمرو بن دينار ، عن رجل من ولد أم سلمة ، عن أم سلمة قالت : يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء بالهجرة فأنزل الله : ﴿ أَنْتَ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَ يَعْزُكُم مِّنْ بَعْضٍ ﴾ (١)

وقوله أيضاً :

" حدثنا ابن أبي عمر ( أخيرنا ) سفيان ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن أم سلمة ، أنها قالت : يغزو الرجال ولا تغزو النساء ، وإنما لنا نصف الميراث . فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَ يَعْزُكُم عَلَى بَعْضٍ ﴾ قال مجاهد : وأنزل فيها ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ وكانت أم سلمة أول طعينة قدمت المدينة مهاجرة " (٢)

وبالتالي يمكن القول أن الآيات السابقة جميعها نزلت جواباً على أسئلة

أم سلمة المتعلقة بوضع المرأة بالنسبة للرجل . ويسبب ذلك وضع الزرقاني الآيات

السابقة جميعها ضمن الأمثلة التي أوردها لتعدد النازل والسبب واحد ، وعلق على

ذلك بقوله :

" قد يكون أمر واحد سبباً لنزول آيتين أو آيات متعددة ولا مانع من ذلك ، لأنه لا ينافي الحكمة في إقناع الناس ، وهداية الخلق ، وبيان الحق عند الحاجة ، بل إنه قد يكون أبلغ في الإقناع وأظهر في البيان " (٣)

ومن الأمور التي نزلت الآيات السابقة لإقناع الناس بها ، هي تساوي عمل

(١) الترمذي : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي . مرجع سابق . ج ٥ . كتاب التفسير

حديث ٣٠٢٣ . ص ٢٢٧ .

(\*) أي أول امرأة ( انظر لسان العرب . ج ١٣ . ص ٢٧١ ) .

(٢) الترمذي : المرجع السابق . ج ٥ . حديث ٣٠٢٢ . ص ٢٢٧ .

(٣) الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن . مرجع سابق . ج ١ . ص ١١٤ .

المرأة والرجل في ميزان الله . فهاهي ذي أم سلمة رضي الله عنها التي هجرت دار الشرك مرتين إلى الحبيشة . وكانت أول امرأة قدمت المدينة مهاجرة تقرأ القرآن ، فلا تجد فيه ذكراً لهجرة النساء . على الرغم من أنهن عانين ما عاناه الرجال من إيذاء ومشقة . فتقول : ( يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة ) . فنزلت الآيات تثبت لهن ، ولكل من أوديت في دينها ، وهجرت وطنها ، وجاهدت في سبيل الله أن الله لن يضيع عملهن وأن الله لا يفرق بين الذكر والأنثى في الأجر ، إذا تساويا في الطاعة والعمل . لتقرر أعينهن ويستبشرن بما أعدده الله لهن من أجر عظيم ، عبر عنه تعالى بقوله :  
 \* لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَادْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ \* .

إلا أن ما كان يشغل يال أم سلمة رضي الله عنها وغيرها من النساء الصالحات في ذلك الوقت ، هو الجهاد لإعلاء كلمة الله أو الاستشهاد دون ذلك لنيل ما أعدده الله من ثواب عظيم لمن يستشهد في سبيله . لذا فقد تمنى أم سلمة رضي الله عنها أن يكتب على النساء الجهاد كما كتب على الرجال إضافة إلى ذلك فإن من الأمور التي شغلت يال الرجال والنساء منذ القدم إلى هذا اليوم أمر الإرث ، ونصيب الذكر والأنثى منه ، لذا قالت أم سلمة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث ) . فتنزلت الآية الثانية تنهى أم سلمة رضي الله عنها ، وغيرها من النساء المسلمات عن أن يتمنين ما فضل الله به الرجال عليهن ، وتريبتهن على الاستسلام التام لحكم الله ، وعدم تمني غيره .

(\*)

فهو لم يكتب عليهن الجهاد ، لأنه لم يخلقهن لذلك ، ولم يهيء قواهن وخلايا جسدن لذلك ، وإنما هيأ كل خلية من خلايا جسدن نفسياً وعضوياً لمهمة أخرى تسهم في تحقيق الهدف نفسه ، وهي مهمة إنتاج الرجال الذين يجاهدون

(١) ابن سفيان : الطبقات الكبرى . مرجع

سابق . ج ٨ . ص ٨٧ .

(\*) إن الله لم يكتب على المرأة الجهاد إلا أنه لم يمنعها منه إذا كان هناك حاجة لا يسدها الرجال .

في سبيل الله . فالحرب حين تقضي على الرجال وتستبقي النساء ، تدع للأمة معامل إنتاج الذرية لتعوض النقص الحاصل في الرجال ، والحال ليس كذلك حين تقضي الحرب على الرجال والنساء معاً ، أو حين تقضي على النساء وتستبقي الرجال . وذلك لأن رجلاً واحداً في النظام الإسلامي إذا استخدم ما رخصه له الله في الزواج يمكنه بمشيئة الله أن يجعل أربع نساء ينتجن في وقت واحد ، بينما ألف رجل لا يستطيعون أن يجعلوا امرأة تنتج أكثر مما تنتجه من رجل واحد . وهذه ليست إلا حكمة واحدة من حكم منع النساء من الجهاد .<sup>(١)</sup>

كذلك في الارث خصص سبحانه وتعالى للنساء نصف الميراث . لأنه لم يكلفهن بما كلف به الرجال من واجبات والتزامات مالية ، فالرجل يؤدي للمراة صداقها - - وينفق عليها وعلى أولادها منه - - ويمنحها أجر إرضاع طفله عند الافتراق - - وينفق على المعسرین والعاجزين والعواجز عن الكسب في الأسرة الأقرب فالأقرب - - ويؤدي الأرش ( التعويض عند الجراحات ) والديات عن الأسرة - - ، والمرأة معفاة من كل هذه التكاليف وبالتالي فإن نصيب الرجل من التبعات المالية أثقل من نصيبه في الميراث ، إلا أن الله منحه القدرة على الكسب ، كل هذا لتوفير الراحة والطمأنينة الكاملة للمرأة لتقوم بتربية ورعاية الرصيد البشري الثمين الذي تنتجه والذي لا يقوم بمال .<sup>(٢)</sup>

هكذا ريت هذه الآية أم سلمة رضی الله عنها ، وغيرها من النساء على عدم تمنى ما فضل الله به الرجال عليهن ، لما في هذا التمنى من اعتراض على الله فيما وهب بناءً على علمه الذي وسع كل شيء . كما أرشدتهن الآية إلى الطريق الصحيح الذي يجب عليهن أن يسلكنه ، وهو سؤال الله من فضله . أما الأجر فقد طمأنتهن عليه ، في حالة إحسانهن في القيام بالأمور التي أوكلت إليهن .

أما بالنسبة للصفات التي يجب أن يتحلى بها من دخل في هذا الدين ، فلا فرق بين رجل وامراة في الإلتزام بها ، أو الأجر عليها ، لذلك استغلت التريية

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ج ٥ ص ٦٤٤ .

(٢) المرجع نفسه : ج ٥ ص ٦٤٥ .

القرآنية هذه الأسئلة من أم سلمة رضى الله عنها عن وضع المرأة بالنسبة للرجل ، لتثبت من خلالها أن لا فرق في الإسلام بين الذكر والأنثى في الالتزام بهذا الدين وأخلاقه ، ثم الإثابة عليه من الله تعالى. و بالتالي يمكن مما سبق استنباط أهداف وتوجيهات تربوية منها مايلي:

#### ١ - التمسك بهذا الدين والدعوة إليه :

الآيات النازلة إجابة على أسئلة أم سلمة رضى الله عنها ، تشمل دعوة عامة لكل مسلم ومسلمة للتمسك بهذا الدين ، والدعوة إليه . حيث ألفت الآية الأولى الضوء على مدى تمسك الجماعة المؤمنة الأولى رجالاً ونساءً بهذا الدين ، من خلال عرضها لبعض أعمالهم ، ثم ترغيبهم بالاستمرار على نفس الطريق بإيضاح ما أعدته لهم من جزاء أخروي . كما أن ما ذكر في الآية الثالثة من صفات يجب أن يتحلى بها كل من دخل هذا الدين من ذكر أو أنثى ما هي إلا أسس ووسائل تعينهم على تحقيق الهدف المنشود ، وهو التمسك بهذا الدين والدعوة إليه .

فالإسلام والإيمان يقودان إلى الفعل والعمل الصالح ، وطاعة الله وهو القنوت ثم إن الإنسان إذا آمن وعمل صالحاً كُمل ، فينفي أن يسعى إلى إكمال غيره فيأخذ بالدعوة إلى الله ويأمر الآخرين بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ويكون صادقاً في نصحه لهم . ثم إن من يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، يصيبه عادة أذى ، فيجب أن يتجند بالصبر في مواجهته - ثم إنه إذا كُمل وأكُمل غيره ، قد يفتخر بنفسه ، ويعجب بعبادته ، إلا أن تحليه بالخشوع يمنعه من ذلك . وقد يمنعه من الأعمال السابقة حب المال ، أو شهوة البطن أو شهوة الفرج ، إلا أن التصديق يعينه على التغلب على حب المال يبذله للضعفاء وعدم اكتنازه ، والصوم وحفظ الفرج يجعلان الشهوة اليطنية والشهوة الفرجية لا تمنعاه من عبادة الله ، إضافة إلى أنه دائم الذكر لله في جميع الأحوال .<sup>(١)</sup>

هذه الوسائل السابقة ، هي التي تعين على تربية المسلم القوي الداعية في

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ٢٥ . ص ٢١٠ .

كل زمان ومكان . فهي ثابتة لاتخضع للتغيير على مر العصور ، ويتساوى فيها الرجال والنساء ، وبها تربي الجيل الأول ، وبواسطتها تمكنوا من فتح مشارق الأرض ومغاربها ، وكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس . وإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تعيد مجدها فإن عليها العمل على تربية الدعوة وفق تلك الأسس الصادقة لأنه لا يصلح أمر هذه الأمة في الوقت الحاضر إلا بما صلح به أولها .

كما أنه لايد للداعية في هذا العصر ، من استخدام مستجدات العصر ، ووسائل التكنولوجيا ، والتعرف على كيفية تسخيرها لهذه الدعوة . إلا أن جميع هذه الوسائل لايمكن أن تؤدي الثمرة المرجوة منها إذا لم يتحل الداعية بالصفات السابقة ، فهي الأسس الثابتة ، والوسائل الدائمة التي تعينه على الدعوة ، وتمنحه القوة والدفع .

وفي هذا العصر الذي انتشر فيه الجهل بالدين ، وكثرت فيه الدعاوى إلى مذاهب وضعية ، أو ديانات إلهية محرفة ، يجدر بالأمة الإسلامية أن تضاعف جهودها في تربية أبنائها وبناتها ، مستخدمة الوسائل المذكورة في الآيسة السابقة ، والتي تعينهم على التمسك بدينهم ، والدعوة إليه . فخير سبيل لتعميق جذور هذا الدين والإيمان به في نفوسهم ، هو إعدادهم ليكونوا دعاة له . وفي ذلك يقول الندوي :

" وكل من لا يكون داعياً يكون هدفاً لدعوة أخرى وقد ثبت بالتجربة أن خير وسيلة للإيمان بالمبدأ والشيات عليه ، ومثانة العقيدة والاستماتة في سبيلها هي الدعوة إليها ، فالداعي دائماً قوي الإيمان بمبدئه متحمس في عقيدته ، ونشيط في عمله ، مستهين بغيره ، فإذا أردنا أن توجد في طلبتنا هذه الصفات ، وأن يخرجوا من الخطر على دينهم ، ونأمن عليهم الاندماج في غيرهم ، والوقوف في المعسكر المخالف فينبغي لنا أن نجعلهم دعاة " (!)

(١) أبو الحسن الندوي : نحو التربية الإسلامية الحرة ( في الحكومات والبلاد الإسلامية ، بيروت : مؤسسة الرسالة . ط ٤ . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ص ١٨

والدعوة ليست قاصرة على الرجال دون النساء ، بل هم فيها سواء كل

في دائرته كما قال تعالى :-

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ  
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

فمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة لهذا الدين عامة  
ساوت فيها التربية القرآنية بين المرأة والرجل ، ومن الخطأ أن تتقاعس  
المرأة ظناً منها أن الدعوة خاصة بالرجال دون النساء وإلى ذلك يوجه محمود  
شلتوت نظر النساء المسلمات بقوله :

" وليس من الإسلام أن تُلقى المرأة حظها من  
تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه  
أقدر منها عليه ، أو أنها ذات طابع لا يسمح  
لها أن تقوم بهذا الواجب ، فللرجل دائرته  
وللمرأة دائرتها ، والحياة لاتستقيم إلا بتكاتف  
النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فإن تخاذلاً أو تخاذل  
أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها  
المستقيم . فليعلم ذلك نساؤنا وليفقهن  
حكم الله فيهن " (٢)

(٢) نظام المساواة في الإسلام يراعى خصائص كل من المرأة والرجل :-

لقد ساوت التربية القرآنية بين المرأة والرجل في الإنسانية . هذه  
الإنسانية التي بلغ امتهانها في الجاهلية الأولى أن عقد الفرنسيون مؤتمراً

(١) سورة التوبة : آية ٧١ .

(٢) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة . مرجع سابق . ص ٢٢٥ .



فى عام ٥٦٨ م ( فترة شباب الرسول عليه الصلاة والسلام ) ، ليبحثوا فيـه هل المرأة إنسان أم غير إنسان ؟! ليقررُوا أخيراً إنها إنسان ، خُلق لخدمة الرجل (١) إلا أن التربية القرآنية قررت إنسانية المرأة وأنها والرجل فيهما سواء ، حيث قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ . الآية (٢)

ليس هذا فحسب بل ساوت بينهما في كل الحقوق المرتبطة بهذه الإنسانيه من حرمة دم .. وحرمة عرض .. وحرمة مال .. ومن ذلك قوله تعالى :-  
 ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (٣) . كما ساوت بينهما في جميع التكاليف ، والواجبات المرتبطة بهذه الإنسانيه ومن ذلك قوله عز وجل :-

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤)

ولكن التربية القرآنية بعد تقرير هذه المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في الإنسانية وفي جميع الحقوق والواجبات المرتبطة بها ، فرقت بينهما في بعض الحقوق والواجبات ، وهذا التفريق لم تراخ فيه مصلحة أحد الجنسين دون الآخر ، وإنما راعت فيه مصلحة الحياة الإنسانية عامة ، وما يمتاز به كل جنس عن الآخر من مميزات وخصائص ، لأن التنوع في الخصائص ينتج عنه تنوع في الوظائف والتكاليف ، ومن ثم يحدث التكامل والتوازن في الحياة (٥) .

(١) مصطفى السباعي : المرأة بين الفقه والقانون . مرجع سابق ص ٢٠ .

(٢) سورة النساء : آية (١) .

(٣) سورة الاحزاب : آية (٥٨) .

(٤) سورة التوبه : آية (٧١) .

(٥) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق ج ٥ ص ٦٤٣ .

مع ذلك فإن دعابة تحرير المرأة يطالبون بالمساواة التامة بين الجنسين !  
والقاعدة التي يتم بناء عليها الرد على المطالبين بهذه المساواة التامة  
تتم من خلال الإجابة على السؤال التالي :-

(هل المرأة والرجل متماثلان فى التركيب الجسمى والعصبي والنفسى؟)  
وفى ذلك أورد عبدالرحمن النحلوى قول المفكر الغربى ( اليكيس كاريل )

" إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة  
لاتأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن  
وجود الرحم والحمل، إذ أنها ذات طبيعه أكثر  
أهمية من ذلك . إنها تنشأ من تكوين الأنسجة  
ذاتها ، ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية  
محددة يفرزها المبيض . . . . . ولقد أدى الجهل  
بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن  
الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى  
الجنسان تعليماً واحداً وأن يمنح سلطات واحدة  
ومسؤوليات متشابهة . . . . . والحقيقة أن المرأة  
تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل فكل خلية من  
خلايا جسمها تحمل طابع جنسها . . . . . والأمراض  
بالنسبة لجهازها  
العصبى ، فالقوانين الفيزيولوجية غير قابلة  
للتغير ، شأنها شأن قوانين العالم الكونية  
فليس فى الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية  
محلها ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها . . . . .  
فعلى النساء أن ينمىن أهليتهن تبعاً  
لطبيعتهن ، دون أن يحاولن تقليد الذكور  
فإن دورهن فى تقدم الحضارة أئمن من دور  
الرجال فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن  
المحددة . . . (١)

(١) عبدالرحمن النحلوى : التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة . مرجع سابق .

ص ١٩٢ . نقلًا عن على القاضى . مقال فى مجلة الاعتصام

المصرية . العدد ١٢ . ١٣٩٧ هـ . ص ١٦ - ١٨ .

هكذا يتضح أنه لا يمكن تحقيق المساواة التامة بين الرجل والمرأة إلا في حالة واحدة فقط ، وهي إزالة جميع الفروق البيولوجية والفيزيولوجية والنفسية بين الجنسين ، فهل يمكن للمطالبين بالمساواة بين المرأة والرجل عمل ذلك ، هل يمكن لهم جعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والإرضاع لتحقيق المساواة التامة بينهم ؟ !

وماداموا لا يستطيعون ذلك ، فإن طلبهم المساواة بين المرأة والرجل فيه ظلم للمرأة وعدوان على حقوقها لامرأة لها ، إذ أنهم حملوها أكثر مما حملوا الرجل ، فهي بموجب هذه المساواة في الحقوق والواجبات ، تصبح مسؤولة عن أداء التزاماتها الفطرية التي أعفى منها الرجل من حمل وولادة وإرضاع وتربية وإدارة شؤون البيت ، ثم تخرج من البيت كالرجل لتعاني مشقة الكسب وتكون معه على قدم المساواة في القيام بأعمال السياسة والقضاء والصناعات والمهن والتجارة والزراعة والأمن والدفاع عن حوزة الوطن (١)

وبغض النظر عن الفروق الجسمية والنفسية بين الرجل والمرأة ، والتي تحول دون المساواة التامة بينهم ، فإن هناك سبباً آخر أكثر أهمية يربط المسلمين جميعهم على عدم المطالبة بالمساواة التامة بين النساء والرجال في الحقوق والواجبات ، وهو أن هذه المساواة تتطلب حذف آيات من القرآن الكريم مثل آيات المواريث .. القوامة .. الشهادة ..

### ٣- للمرأة الحق في الملكية الفردية

عملت التربية القرآنية في الآيات السابقة على تربية المرأة على الشعور بإنسانيتها ومسئوليتها ، وذلك من خلال ما فرضته عليها من واجبات

(١) محمد بن عبدالله عرفه : حقوق المرأة في الإسلام . بيروت : المكتب الإسلامي

وما منحتة لها من حقوق • ومن هذه الحقوق منحها الحق في التملك ••• والبيع والشراء ••• والأجر ••• والسوقف ••• والصدقة ••• مادامت بالغة عاقلية دون وصاية من ولي أو أب أو زوج (١) ومساواتها في ذلك كله بالرجل ، حيث قال تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُنَّ ﴾ .

هذا الحق الذي منحتة التربية القرآنية للمرأة ابتداءً ، دون طلب منها أو جهد ، ودون ثورة ، أو عضوية في برلمان ، منحتة لها تكريمًا وإقرارًا لأهليتها ، وإبعادًا لما لحق بها من عار القصور الدائم • هذا الحق حرمت منه المرأة في الجاهليات القديمة جميعها وأخفقت مساعيها في الحصول عليه ، ونالتة المرأة في الجاهلية الحديثة بعد أن دفعت ثمن ذلك من شرفها ، وأخلاقها ، وجهدها ، وكرامتها وفي ذلك يقول محمد قطب :

" أن المرأة الأوربية ظلت أكثر من اثني عشر قرناً بعد الإسلام لا تملك من الحقوق ما أعطاه الإسلام • ثم هي حين ملكتها لم تأخذها بسهولة ولا احتفظت بأخلاقها وعرضها وكرامتها ، وإنما احتاجت لأن تبذل كل ذلك ، وتحمل العرق والدماء والدموع ، لتحصل على شيء مما منحه الإسلام كعادته تطوعاً وإنشاءً " (٣)

إن معرفة المرأة المسلمة لهذا كله من شأنه أن يري فيهما الاحترام لنفسها والشعور بمكانتها ، وكرامتها ، واختلافها عن مثيلاتها في الجاهليات القديمة والحديثة ، لذا فإن من واجب كل من ولي أمر تربية المرأة المسلمة أن يوجه نظرها إلى معانته المرأة قبل الإسلام من ظلم وسلب للحقوق ، وإلى تاريخ كفاح المرأة الأوربية المبرير للحصول على ما منحتة التربية القرآنية للمرأة

(١) البهى الخولى : المرأة بين البيت والمجتمع • مرجع سابق ص ٨٨ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن • مرجع سابق ج ٥ ص ٦٤٥ .

(٣) محمد قطب : شبهات حول الإسلام • القاهرة : دار الشروق • ط ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

ابتسداً . . فتشعر بذلك المرأة المسلمة بعلو مكانتها ، ورفعة منزلتها  
في ظل المنهج التربوي الرباني .

### ٤- الحسد رذيلة أخلاقية يجب الامتناع عنها :

التربية القرآنية تربية شاملة ، لاتدع جانباً في النفس الإنسانية دون  
أن تتعهد به بالتوجيه والإصلاح ، مستغلة ما يحدث في المجتمع من وقائع وتساؤلات ،  
لتعمل من خلالها على غرس ما تريد أن تغرسه في النفوس من مبادئ وتوجيهات  
ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا قَضَىٰ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ ﴾  
الآية . فهذه الآية وإن كانت نزلت رداً على ما قالت أم سلمة رضي الله عنها إلا أن  
مساورد فيها من توجيه أمر عام لجميع المؤمنين رجالهم ونسائهم ، فسي  
أمر الغزو والميراث وغيره ، وفي ذلك يقول سيد قطب :

" النص عام في النهي عن تمنى ما فضل الله بعض  
المؤمنين على بعض من أي أنواع التفضيل ، فسي  
الوظيفة والمكانة ، وفي الاستعدادات والمواهب  
وفي المال والمتاع . . . وفي كل ما تتفاوت فيه  
الأنصبة في هذه الحياة والتوجه بالطلب إلى  
الله وسؤاله من فضله مباشرة " (١)

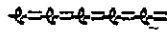
نهت التربية القرآنية عن التمنى الذي يؤدي إلى حسد الآخرين ، لما في  
الحسد من ضرر على الفرد والمجتمع ، فهو قد يمنع صاحبه من العمل بإضاعته  
وقته في النظر إلى ما منحه الله للآخرين من نعمة ، والتحسر عليها ، وتمنى  
حصوله عليها وقد ذكر القرطبي عن الحسن قوله : " ما رأيت ظالماً أشبهه  
بمظلوم من حاسد ، نفس دائم ، وحزن لازم وعبرة لاتنفذ " (٢) وقد يدفعه حسده  
إلى تمنى زوال النعمة من صاحبه ، وبغضه ، والحقد عليه ، وتمنى لحاق الضرر به  
فتختفى بذلك من المجتمع مظاهر الأخوة والمودة والمحبة في الله ، ويحـلـل

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق ج ٥ . ص ٦٤٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٥ . ص ٢٥١ .

محلها التباغض والتحاسد الذى نهى عنهما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: " لاتباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولايحصل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث " (١)

ثم إن التربية القرآنية لم تكتفِ بنهى الناس عن تمنى ما فضل الله به بعضهم على بعض ، بل وجهتهم إلى الطريق السليم الذى ينبغى أن يسلكوه إذا لمسوا تفوق الآخرين عليهم ، وهو سؤال الله من فضله لأنه القادر على كل شئ .



---

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١٦ . كتاب البر والملة

## النموذج الثالث

تربية المرأة بالأحداث على قبول قوامة الرجل عليها

الأسرة هي أهم المؤسسات الموجودة في المجتمع ، وتنبع أهميتها من إنها المؤسسة الأولى المسؤولة عن تربية النشء . ومن المعلوم أن كل مؤسسة مهما بلغ حجمها لابد وان تكون بحاجة إلى رئيس يتولى أمرها ، ويقوم بالإشراف عليها وأن اختيار هذا الرئيس لا يتم اعتباطاً ، وإنما لابد أن تتوفر لديه القدرات الجسمية ، والعقلية ، والمؤهلات العلمية ، والخبرة الكافية التي تؤهله لتولي هذه الرئاسة ، فإذا كان هذا الحال في كل المؤسسات ، فالأسرة بالتالي هي أحق وأجدر بأن يخصص لها رئيس يقوم على شؤونها . فأيهما أحق بالرئاسة الرجل أم المرأة ؟ هذا السؤال وضع الإجابة عليه رب العزه والجلال الخالق لكل من الرجل والمرأة ، والعالم باستعدادات كل منهما وقدراته والاختصاصات والوظائف الموكلة إليه . حيث قال تعالى :-

﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ  
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ  
فَالضَّالِحَاتُ قَنَاطٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالنَّسِ  
تَخَافُونَ نَشُوزَهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ  
وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴾ (١)

يقول تعالى في الآيات السابقة: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ أي مسؤولون عن تولى أمرهن ، وتحمل مسؤوليتهن ، والحفاظ عليهن ، وتوجيههن وتأديبهن . ثم يعلل سبحانه وتعالى تخصيص الرجال بالقوامة دون النساء بأمرين يتضحان في قولة تعالى : ﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ أي بما فضل الله به الرجال على النساء في العلم والقدرة فعقول الرجال وعلومهم أكثر من النساء وقدرتهم على الأعمال الشاقة والكسب أكمل وبالتالي فهم ملزمون بتقديم المهر إليهن عند نكاحهن ، وبالإفناق عليهن وعلى عيالهن بعد نكاحهن لذلك فهم أحق بالقوامة منهن (٢)

(١) سورة النساء : آية ٣٤ .

(٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق ، ج ١٠ ص ٨٨ .

ثم فصل تعالى حالة النساء تحت قوامه الرجال فبين أنهن قسمان؛  
القسم الأول: وهن الصالحات واللاتى من صفاتهن أنهن في حالة حضور أزواجهن يكن  
منداومات على طاعتهم في غير معصية الله ، وفي حالة غياب أزواجهن يحفظن  
فروجهن من الزنا وأموال أزواجهن من التبذير ، وبيوتهم مما لا ينبغي . (١)

القسم الثانى : هن المترفعات على أزواجهن ، التاركات لأوامرهم  
المعرضات عنهم المبغضات لهم (٢)

وبما أن الزوج هو القيم على أمر المرأة ، والمسؤول عن تأديبها  
فقد رسم سبحانه وتعالى في الآيات السابقة الطريق الذى ينبغى على الزوج  
أن يسلكه ، متى ظهرت من زوجته بوادر الترفع والعصيان ، حيث قال تعالى :  
﴿ وَالنِّسَاءُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوهُنَّ ۚ فَإِنْ  
أَطَاعَتِ الْمَرْءَ زَوْجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَضْرِبَهَا ، وَلَا يَهْجُرَهَا ، ثُمَّ خَتَمَ  
سبحانه الآية السابقة بتهديد الرجال وتحذيرهم من البغى على النساء .  
والحادثة التى كانت سبباً لنزول الآية السابقة أوردها الواحدي بقولنه:

" نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع وكان من  
النقباء ، وأمراة حبيبة بنت زيد بن أبى  
هريرة ، وهما من الأنصار ، وذلك أنها نشرت عليه  
فلطمها ، فانطلق أبوها معها إلى النبی صلى  
الله عليه وسلم ، فقال : أفرشته كريمتى فلطمها .  
فقال النبی صلى الله عليه وسلم : لتقتص منه  
زوجها ، وانصرفت مع أبيها لتقتص منه ، فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم : أرجعوا هذا جبريل  
عليه السلام أتانى ، وأنزل الله تعالى هذه  
الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أردنا  
أمرا وأراد الله أمراً والذى أراد الله خير ورفع  
القصاص " (٣)

- (١) الفخر الرازى : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ١٠ . ص ٨٩ .  
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٩٢ .  
(٣) الواحدي : أسباب النزول . مرجع سابق . ص ١١١ .



وأضاف إلى ذلك حادثة أخرى ذكرها بقوله :-

" لما نزلت آية القصاص بين المسلمين ، لطم رجل امرأته ، فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت: إن زوجي لطمني، فالقصاص، قال: القصاص فينا هو كذلك أنزل الله تعالى ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا قَضَى اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أردنا أمرا فأبى الله تعالى خذ أيها الرجل بيد امرأتك" (١)

وسواء كانت الحادثة الأولى أو الحادثة الثانية هي سبب نزول الآية السابقة فلا خلاف بينهما ، فكلاهما يذكران أن رجلاً لطم امرأته ، ثم اتجهت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم . وبما أن هذه الحادثة قد وقعت بعد نزول آية القصاص كما يفهم من الحادثة الأولى ، وكما هو مصرح به في الحادثة الثانية ، فقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة بالقصاص من زوجها . إلا أن التربية القرآنية التي حرصت على تنظيم العلاقة بين أفراد الأسرة كما حرصت على تنظيمها بين أفراد المجتمع ، لم تكن لتدع المرأة لتتمادى في نشوزها ، وتضرب زوجها ، ورب أسرتها فأى منزلة للرجل في الأسرة وقد لطم وجهه من قبل زوجته ، وأى طاعة يمكن أن تلتزم بها المرأة حياله وقد تجرأت عليه يوماً بالضرب ، وأى مكانة له في المجتمع وقد تسامع الجميع بأن امرأته قد ضربته ، وبالتالي فإن الآية جاءت في اللحظة المناسبة ، اللحظة التي كانت فيها امرأة متجهة إلى زوجها لتضربه ، وتقتص منه ، لأنه قام بتأديبها جاءت الآية تمنعها من ذلك ، وتقرر حق الرجل في توجيهها وتأديبها ، كما أن عليه واجب الحفاظ عليها ورعايتها وحمايتها والإنفاق عليها . إلا أن بعض الرجال قد يتخذون هذه الملاحية الموكلة إليهم في تأديب نساءهم ذريعة للاعتداء عليهم بالضرب لذا ختمت التربية القرآنية الآية النازلة في هذه الحادثة بمنع الرجال من البغي على النساء إن أظعنهم ، وذلك بتذكيرهم بقدرة الله على الانتصاف للنساء منهم ، إن هم بغوا عليهن حيث قال عز من قائل: ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ ، وفي ذلك يقول القرطبي:

" وهذا نهى عن ظلمهن ، بعد تقرير الفضل عليهن ، والتمكين من أدبهن ، .....  
 أى إن كنتم تقدرون عليهن ، فتذكروا قدرة الله ، فيده. بالقدرة فوق كل يــــد  
 فلا يستعلى أحد على امرأته ، فالله له بالمرصاد" (١)

وبذلك يمكن من المعالجة القرآنية فى الحادثة السابقة استنباط

التوجيهات التربوية التالية :

#### ١- قوامة الرجل تنظيمية لا استبدادية .

وضعت التربية القرآنية القوامة للمحافظة على نظام الأسرة واستقرارها  
 وبالتالي فهى ليست قوامة سطو واستبداد ، وقوة واستعباد ، ولكنها قوامة  
 تحمل تبعات والتزامات ومسؤوليات (٢) فهى درجة مسؤولية وتكليف وليسست  
 درجة تفضيل وتشريف ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾  
 وفى هذا يقول محمد المقدم : "إن القرآن الكريم لم يقل (الرجال سادة على  
 النساء) وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق (قَوَّامُونَ) ، ليفيد معنى سامياً  
 بناءً يفيد أنهم يصلحون ويعدلون ، لا أنهم يستبدون ويتسلطون" (٣)

فهذه القوامة ليست إلا توزيعاً للاختصاصات داخل الأسرة ، حسب الإمكانيات  
 المتوفرة لكل من الرجل والمرأة فالرجل يتمتع بمميزات خلقية وكسببية  
 تجعله أقدر على القوامة من المرأة ، والمرأة تتميز بميزات خلقية أخرى  
 تؤهلها لإنتاج الأبناء ، ومن ثم تحمل مصاعب تربيتهم . فكل منهم بالتالى  
 يؤدي الوظيفة المخصصة له ، والتي لا تتعارض مع وظيفة الآخر ، بل تكــــون  
 متكاملة معها ، وبالتالي لا ينقص من كرامة المرأة ولا من أهميتها تخصيــــص  
 الرجل بالقوامة دوناً عنها ، لذلك عبر سبحانه وتعالى عن الحكمة من جعل  
 القوامة فى الرجال دون النساء ، بقــــوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ولم يقل ( بما فضلهم عليهم ) أو ( بتفضيلهم  
 عليهن ) وفى ذلك يقول محمد على الصابونى :

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج٥ ص١٧٣ .

(٢) محمد عبدالله عرفة : حقوق المرأة فى الإسلام . مرجع سابق ص ٨٨ .

(٣) محمد أحمد المقدم : عودة الحجاب . مرجع سابق ص ٩٨ .

" التعبير ورد بهذه الصيغة لحكمة جليلة ، وهي إفادة أن المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من جسم الإنسان ، فالرجل بمنزلة الرأس ، والمرأة بمنزلة البدن ، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو ، لأن كل واحد يؤدي وظيفته في الحياة ، فالأذن لا تغنى عن العين ، واليد لا تغنى عن القدم ، ولا عار على الشخص أن يكون قلبه أفضل من معدته ، ورأسه أشرف من يده ، فالكل يؤدي دوره بانتظام ، ولا غنى لواحد عن الآخر" (١)

إلا أن الجاهلين بطبيعة ونوع القوامة الإسلامية ، أو المتجاهلين لها اتخذوا من هذه القوامة ذريعة للنيل من الإسلام ، فقالوا : إن هذه القوامة فرضت وصاية الرجل على المرأة ، فسلبتها بذلك حريتها وأهليتها وثقتها بنفسها .

ويمكن الرد على هؤلاء بالقول إن الإسلام أقام القوامة على أساس التشاور والمودة والمحبة والعطف ، وقيدها بما يحفظ للمرأة حقوقها وكرامتها ، فالمرأة في داخل هذه القوامة تتمتع بحريتها العقائدية فليس للزوج أن يجبرها على اعتناق دين الإسلام إن كانت كتابية ، ولا يمنعها من أداء شعائرها التعبدية الخاصة بها . كما أن هذه القوامة لا تتعدى على حرية المرأة في أموالها الخاصة بها فلا يتصرف فيها الرجل إلا بإذن منها ، ولا تفقد المرأة بعقد زواجها اسمها ولا شخصيتها كما هو الحال في دول الغرب . (٢)

ومــــع ذلك فإن المطالبات بحقوق المرأة يرفضن هذه القوامة الإسلامية ، والتي لا تتعارض مع كرامة المرأة ومنزلتها وحريتها واستقلالها

(١) محمد على الصابوني : روائع البيان تفسيرايات الأحكام . دمشق : مكتبة الغزالي ط ١٣٩٧ . ٢ هـ - ١٩٧٧ م . ج ١ . ص ٤٦٧ .

(٢) محمد بن عبد الله عرفه : حقوق المرأة في الإسلام . مرجع سابق ص ٨٨ .

(٣) البهي الخولي : المرأة بين البيت والمجتمع . مرجع سابق . ص ٨٨ - ٨٩ .

الشخصى والعقائدى، ويخضعن على سبيل المحاكاة لنوع آخر من القوامة نوع أقرب للرق منه إلى القوامة وذلك بأن تُتبع الواحدة منهن اسمها باسم زوجها أو عائلته بمجرد زواجهما منه بدلاً من أن تُتبعه باسم أبيها أو أستها، ولا تدرى أنها بتصرفها هذا (١) فرطت في أهم حق من حقوقها، منحها إياها الإسلام، وساواها فيه مع الرجل

ليس هذا فحسب بل إن أدعياء تحرير المرأة أخذوا يدعونها للتمرد على هذه القوامة، معللين دعواهم هذه بالقول إن قوامة الرجل على المرأة لا تتفق مع مبدأ حرية المرأة ومساواتها بالرجل وأن القوامة تمثل بقايا من عهد استعباد المرأة وإذلالها، أما اليوم بعد أن نالت المرأة حقوقها، وتعلمت ماتعلمه الرجل وحصلت على شهادات مساوية لشهادته، وحصلت على خبرة جديدة فى تدبير شؤون الحياة، وشاركت الرجل فى التزامات البيت، فلا ميزة تميزه عليها فى الإعداد والقدرة، ولا فى الالتزامات المادية. لذا فليس من المستساغ ولا من العدل أن ينفرد الرجل بالسلطة ورئاسة الأسرة دونها (٢)

ويمكن الرد على هؤلاء بالقول إلى من تريدون إذاً أن توكل قوامية الأسرة؟ إذا كنتم تريدونها أن تكون شركة بين المرأة والرجل يوزعون فيها المسؤوليات، ويتنازعون على الصلاحيات، فإن علم النفس الذى تؤمنون بنتائجه "يقرر أن الأطفال الذين يتربون فى ظل أبوين يتنازعان على السيادة تكون عواطفهم مختلفة، وتكثر فى نفوسهم العقد والاضطرابات". (٣)

وإن كنتم تريدون أن تنفرد المرأة بالقوامة على الأسرة، فإنكم بذلك ظلمتموها، إذ تحملونها فوق طاقتها، حيث تصبح بموجب هذه القوامية مسؤولة عن الحمل والولادة والإرضاع وأعباء التربية، وتوفير مستلزمات الأسرة وحل مشكلاتها وأداء التزاماتها، فهى وإن شاركت فى الإنفاق على

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن. مرجع سابق. ج ٥. ص ٦٤٦.

(٢) محمد بن عبد الله، عرفة: حقوق المرأة فى الإسلام: مرجع سابق. ص ٢٠٩.

(٣) محمد قطب: شبهات حول الإسلام. مرجع سابق. ص ١٢١.

-البيت فإن هذه المشاركة كما يقول محمد عرفة :

" لاتوءهلهالآن تكون القوامة على البيت ، لأنها بطبيعتها لاتستطيع مواصلة القيام بأعمال القوامة فى كـل الأوقات ، لأن ما يعتورها من موانع فطرية كالحمل والولادة والحيض تعطل قيامها جسمياً وعقلياً بما تتطلبه القوامة من أعمال" (١)

كما أن خصائص المرأة النفسية ، والعضوية مهياة لوظيفة المرأة الأساسية ، وهى الأمومة والزوجية ، وليست القوامة ، وهذه الخصائص فطرية أزلية نابعة من طبيعة تكوين المرأة وخاضعه لمؤثرات ذاتية نابعة من ذات المرأة وبالتالي لايمكن تغييرها ، مهما تلقت المرأة من علم أوخبرة فى مجال الحياة العلمية . وبذلك فإنه لايملح للقوامة إلا من اختاره الله لها وأعانه عليها وهيبأه لها

لذا فإنى أدعوا المرئيين للقيام بتربيته الفتاة على تقبل هذه القوامة ، وتعريف الشباب بمفهوم القوامة الصحيح فى الإسلام وحدود هذه القوامة والحكمة من وجودها ، وتزويدهم بالأساليب التربوية التى تجنبهم الاستخدام غير الصحيح لها .

## ٢ - التدرج فى التأديب :

أجمع عدد من المفسرين على أن المقصود بقوله تعالى ﴿ وَاللَّيْسَى تَخَافُونَ نُسُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ هو التدرج عند استخدام هذه الوسائل التربوية فى تأديب الزوجات ، ومن ذلك قول الفخراليرازى :

" الذى يدل عليه أنه تعالى ابتدأ بالوعظ ، ثم ترقى منه إلى الهجران فى المضاجع ، ثم ترقى منه إلى الضرب وذلك تنبيه يجرى مجرى التصريح

(١) محمد بن عبدالله عرفة : حقوق المرأة فى الإسلام . مرجع سابق . ص ٢١٢ .

(٢) المرجع نفسة . ص ٢١٢ .

في أنه مهما حصل الغرض بالطريق الأخف وجب  
الاكتفاء به ، ولم يجز الاقدام على الطريق  
الأشق ، (١)

وقول القرطبي : " أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولاً ، ثم بالهجران ،  
فإن لم ينجا فالضرب " (٢). وقول ابن كثير " قوله ﴿ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ أي إذا لم  
يرتدعن بالموعظة ، ولا بالهجران ، فلكم أن تضربوهن ، ضرباً غير مبرح " (٣)

وإذا نظرنا إلى خطوات التأديب ، التي رسمتها التربية القرآنية  
لعلاج نشوز المرأة ، تجلى لنا عظم هذا الأسلوب القرآني في التربية ، فمبادرة  
الرجل إلى علاج نشوز زوجته بوعظها بالكلام الذي يظن أنه يؤثر فيها وتلاوته  
الآيات والأحاديث التي تذكرها بعظم حق زوجها عليها ، وتشعرها بخطأ ما هي مقدمة  
عليه من ترفع وعصيان ، وما سيلحقها إن استمرت على ذلك من عقوبة في الآخرة  
وأضرار في الدنيا كل هذا قد يؤثر في نفس الزوجة ، ويجعلها تتراجع عند تذكر  
زوجها لها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبذلك تعود المودة والرحمة بين  
الزوجين ، دون إيذاء للمرأة ، أو جرح لمشاعرها ، أو مساس لكبريائها ، فمن  
النساء من يكفيها الكلام اللين ، للعودة عن ما عزمت القيام به من نشوز على  
زوجها . لذا فإن على الزوج أن لا يالو سبيلاً في تربية زوجته بالوعظ ، فليس  
هناك مدة محددة لذلك ، بل عليه أن يستمر في تقديم الموعظة والنصح الجميل  
لها . (٤)

أما إذا أخفق الوعظ في الإصلاح من شأن المرأة وأيقن الزوج أن هذه  
الطريقة التربوية لن تجدي نفعاً مع زوجته ، عندئذ ينتقل للخطوة الثانية

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ١٠ . ص ٩٠ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ٥ . ص ١٧٢ .

(\*) أي ليس شديداً لاشاق . انظر النووي في صحيح مسلم بشرح النووي . ج ٨ . كتاب

الحج . ص ١٨٤ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٩٢ .

(٤) محمد يوسف عبد : قضايا المرأة في سورة النساء بحث منشور للماجستير . الكويت .

دار الدعوة . ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م . ص ٢٤٧ .

فى تأديبها وهى التأديب النفسى لها ، عن طريق هجرها فى مضجعها حيث  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يهجر إلا فى البيت " (١) وقال ابن عباس  
رضى الله عنه : " الهجر هو أن لا يجمعها ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهراً " (٢) .

هذا الأسلوب التربوى فى تأديب الزوجة عند استمرارها فى نشوزها  
وعدم اكتراثها بما قدمه زوجها من نصح وموعظة له بالغ الأثر فى نفسها ، حيث  
إنه موجه إلى صميم أنوثتها التى تعزبها ، والتى تعتبرها سلاحاً تستطيع  
أن تتغلب به على زوجها وتخضعه لسلطانها مـــــــع نشوزها . والمضجع  
هو أكثر الاماكن ملائمة لتشهر فيه هذا السلاح ، وبالتالي فإن هجر الزوج لزوجته  
فى مضجعها حركة استعلاء نفسية منه على كل ماتبيده من جمال وجاذبية فتشعر  
بضعفها وقوته ، فلا تملك عند ذلك سوى التسليم والعودة عن العصيان ، وفى  
ذلك يقول سيد قطب :

" المضجع موضع الإغراء والجاذبية ، التى تبلغ  
فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها .  
فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا  
الإغراء فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى  
أسلحتها التى تعزبها . وكانت - فى الغالب -  
أُميل إلى التراجع والملاينة أمام هذا الصمود  
من رجليها ، وأمام بروز خاصية قسوة الإرادة  
والشخصية فيه فى أخرج مواضعها " (٣)

وللرجل أن يستمر فى استخدام هذا الأسلوب التربوى فى التأديب لمدة  
شهر كما قال القرطبي : " الهجر غايته عند العلماء شهر " (٤)

أما إذا استمرت الزوجة فى استعلائها على زوجها وعصايتها له مـــــــع

(١) ابن ماجه : سنن ابن ماجه . مرجع سابق ج٠ ١ كتاب النكاح . باب حق المرأة على

الزوج . حديث ١٨٥٠ ص ٥٩٤ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق ج٠ ١ ص ٤٩٢ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق ج٠ ٥ ص ٦٥٤ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق ج٠ ٥ ص ١٧٢ .

هجره لها طيلة هذه المدة ، فإن التربية القرآنية منحت الرجل حقاً أخيراً في التأديب ، وهو تأديب بدني ، بعد أن فشل التأديب النفسي ، وذلك كآخر إجراء داخلي يلجأ إليه الزوج لعلاج نشور زوجته ، قبل أن يضطر إلى الإجراءات الخارجية . ويجب أن تكون غاية الزوج من استخدام الضرب هو تأديب زوجته لا الانتقام منها ، أو إذلالها وتحقيرها ، أو تعذيبها . لذلك وضعت التربية القرآنية ، والتربية النبوية على الزوج قيوداً لا يجوز له ان يتجاوزها وهي :

- أ - أن لا يبحث عن سبيل يبرر له ضرب زوجته المطيعة أصلاً، أو التي رجعت عن نشورها عند استخدام الوسائل التربوية السابقة ، وإلا تعرض للتهديد والعقاب الذي ختم به سبحانه وتعالى الآية السابقة. (١)
- ب - أن لا يضرب المرأة في أماكن معينة من بدنهما مهما كان ، مثل الوجه ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك عندما سأله معاوية عن حق المرأة على زوجها ، حيث قال : " أن يطعمها إذا طعم . وأن يكسوها إذا اكتسى . ولا يضرب الوجه ولا يقبح . ولا يهجر إلا في البيت " (٢) .
- د - بما أن الغرض من الضرب التأديب والإصلاح ، لذا فإنه ينبغي على الزوج عند ضرب زوجته ألا يكسرفيها عظماً ، أو يشين عضواً ، أو يقطع لحمياً . وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حيث قال : " استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان . ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك . إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح " (٣)
- (٤) لذلك قال ابن عباس رضي الله عنه عن الضرب أن يكون " بالسواك ونحوه "

(١) محمد يوسف عبد: قضايا المرأة في سورة النساء . مرجع سابق . ص (٢٥١)  
 (٢) ابن ماجه : سنن ابن ماجه مرجع سابق ج١ . كتاب النكاح . باب حق المرأة على الزوج . حديث ١٨٥٠ . ص . ص ٥٩٣ - ٥٩٤ .  
 (٣) المرجع نفسه ج١ . كتاب النكاح . باب حق المرأة على الزوج . حديث ١٨٥١ . ص ٥٩٤ .  
 (٤) القرطبي : الجامع لاحكام القران مرجع سابق . ج ٥ . ص ١٧٣ .



وقد أورد الفخر الرازي وصف الشافعي للضرب بقوله: " لا يكون مفضياً إلى الهلاك البتة ، بأن يكون مفرقاً على بدنها ، ولا يوالى به في موضع واحد ويتقى الوجه لأنه مجمع المحاسن " (١)

ومع كل هذه القيود التي وضعت على الزوج في حالة قيامه بضرب زوجته إلا أن الرسول عليه الصلاة والسلام بين أن الضرب وإن كان من حق الزوج ، إلا أنه ليس بمستحسن ومكروه في حد ذاته ، حيث قال عليه الصلاة والسلام: " إلام يجلد أحدكم إمرأته جلد الأمة ؟ ولعله أن يضاجعها من آخر يومه " (٢)

ومـــــــع جميع ما سبق ، فإن اعداء الإسلام يتخذون من السماح للرجل بضرب زوجته لتأديبها ذريعة للطعن في دين الله ، حيث يقولون ، كيف يسمح الله بضرب النساء ، وكيف يصرح بذلك في كتابه الكريم بقوله جل جلاله ﴿ فَعِظُوا نِسَاءَكُمْ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾ ويعتبرون هذا اعتداءً على كرامة المرأة !! (٣)

ويمكن الرد على ذلك بالقول إن التربية القرآنية وضعت الضرب كإجراء احتياطي لا يلجأ إليه الزوج إلا بعد فشل الإجراءات الأخرى فإذا لم يصلح الوعظ والهجر من حال المرأة وبقيت مصرة على نشوزها وعصيانها ، فماذا عسى الرجل أن يفعل ؟ هل يعيش معها في جحيم دائم يجعل الأسرة في جو من التنافر والتباغض يؤثر في نفوس الأبناء ويجعل شبح تصدع الأسرة يلوح دائماً أمامهم ؟ أم يطلقها فتتهدم أسرته ويضيع أبناؤه ؟ ! لاشك أن علاج نشوز المرأة بضربها بسواك ونحوه أقل ضرراً عليها وعلى أبنائها من ايقاع الطلاق بها . فالعلاج لصلاح الجسم الواحد قد يستلزم بتر عضو من أعضائه فلا ضرر إذاً من أن يكون ثمن صلاح مؤسسسة بكاملها ضرب العضو الناشز فيها ضرباً غير مبرح . وبذلك فإن ضرب المرأة في هذه

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير . مرجع سابق . ج ١٠ . ص ٩٠ .

(٢) ابن ماجه : سنن ابن ماجه . مرجع سابق . ج ١ . كتاب النكاح . باب ضرب النساء حديث

١٩٨٣ . ص ٦٣٨ .

(٣) محمد علي الصابوني : تفسير آيات الأحكام . مرجع سابق . ج ١ . ص ٤٧٤ .

الحالة ليس إهانة لها، بل وسيلة لتربيتها والحفاظ على مملكتها وفي ذلك يقول محمد يوسف عبد :

" ولا أحد يشك في أنه أي الضرب ، أقل ضرراً على  
 أي حال من إيقاع الطلاق على المرأة الذي  
 هو تمزيق لشمل الأسرة، ومن حماقة أن تتترك  
 الأمور تجرى حتى تصل إلى أشد الضررين ، دون أن  
 نبذل جهداً لمحاولة حصرها في أخف الضررين،  
 والشارع منزه عن هذه حماقة ، ولذلك أعطى  
 للرجل فرصة أخيره يسعى فيها فرض هيبتة على  
 زوجته ، وردها مرة أخرى إلى الطاعة" (١)

إضافة إلى ذلك فإن بعض النساء قد يعانين من انحرافات نفسية معينة،  
 حيث لا تستجيب المرأة لقوامة الرجل إلا حين يقهرها عظيماً ، وبالتالي فإن هذا  
 الصنف من النساء بحاجة إلى هذا الإجراء الأخير لتأديبهن والحفاظ على الأسرة  
 في سلام . وعلى أية حال ، فالذي قرر هذه الخطوات لتأديب النساء هو الذي  
 خلقهن ، والعالم بأنسب الوسائل لتربيتهن ، فهو العليم الخبير (٢)

### ٣- وجوب طاعة المرأة لزوجها :

عملت التربية القرآنية على استغلال الحادثة السابقة في تربية النساء  
 على طاعة أزواجهن ببيان أن هذه من علامات الملاح لدى المرأة، فوصفت المرأة الصالحة  
 بالقنوت ، وليس بالطاعة لحكمة عظيمة ، توضح نوعية الطاعة التي تؤديها  
 المرأة للقيم على أسرتها ، والتي تختلف عن طاعة أي فرد لرئيسه فـ على أي  
 مؤسسة أخرى، لأتھام مؤسسة لها طابع خاص وأهمية خاصة ،

وفي ذلك يقول سيد قطب: " القنوت : الطاعة عن إرادة وتوجه ورغبة  
 ومحبة ، لا عن قسر وإرغام وتفلت ومعاظلة ! ومن ثم قال قانتات ولم يقل طائعات  
 لأن مدلول اللفظ الأول نفس وظلاله رغبة ندية " (٣)

(١) محمد يوسف عبد : قضايا المرأة في سورة النساء مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٢) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق ، ج ٥ ، ص ٦٥٤ - ٦٥٥

(٣) المرجع نفسه ، ج ٥ ، ص ٦٥٢ .

فهى طاعة حب ومودة لاطاعة إذعان وخوف ورهبة . وهى طاعة إرادىة  
 لاطاعة جبرىة ، طاعة للزوج مستمدة من طاعة الله ، لذا فالمرأة الصالحة  
 طائعة لزوجها فى حضوره فى غير ما يغضب الله ، ومحافضة على نفسها فى غيابه  
 وحضوره بما أمر الله أن يحفظ .

وبما أن الأولى بالمرأة أن تكون مصدر مودة ورحمة وسكن لزوجها لذا  
 فإن التربىة القرآنىة ، فى الآىة السابقة لم تسند النشور إلى المرأة إسناداً  
 يدل على أن ذلك من شأنه أن يقع منها ، بل عبرت عنه بعبارة تومىء إلى  
 أن الاصل الموافق لنظام الفطرة هو عدم وقوعه ، وأن وقوعه هو خروج عن الأصل  
 وعن ما ينبغى أن تكون عليه المرأة ، المؤمنة الصالحة ، وذلك بالقول : ﴿وَأَلْتَمِسِ  
 تَخَافُونَ نَشُورَهُنَّ﴾ (١)

وهذا ما ينبغى أن يفرضه الآباء والأمهات والمربون جمىعهم فى نفس  
 الفتاة منذ الصغر ، فلا تنخدع بقول من يقول : إن طاعة الرجل فىما يأمر تخلف  
 لاىنسجم وروح العصر ، ومع ما تطالب به المرأة من الحرية والاستقلال (٢)

وذلك لأن طاعة المرأة لزوجها فى ظل الإسلام لىست طاعة عمياء أوقهرىة  
 بل هى طاعة واعىة مستنيرة طاعة لا تتعارض مع استقلالها الدينى ، إذ لىس للمرأة  
 أن تطىع زوجها فىما يغضب الله ، فلا طاعة لمخلوق فى  
 معصىة الخالق ، طاعة لا تتعارض مع حرىتها الفكرىة إذ أن للمرأة أن تبدى  
 رأىها فى جمىع الشؤون المتعلقة بالأسرة ، ومن واجب الزوج التشاور معها  
 والأخذ برأىها إن رأى فى ذلك مصلحة الأسرة . طاعة لا تتعارض مع استقلالها  
 الاقصادى إذ أن للمرأة حرية التصرف فى مالها وأملكها الخاصة دون تدخل  
 من زوجها إلا إن رأت هى ذلك .

(١) محمدرشىد رضا : حقوق النساء فى الإسلام ( نداء للجنس اللطىف ) د . ن . ت .

(٢) محمد عقلة : نظام الأسرة فى الإسلام . مرجع سابق . ج ٢ . ص ١٨ .

وهي تجنى ثمار هذه الطاعة في حياتها فطاعتها لزوجها تجعلها  
تحظى بمكانة عالية في نفسه ، وتستأثر بعواطفه واهتماماته ، ونيل ما تطلب  
منه فيخيم على العلاقة بينهما المودة والمحبة والسعادة والرض والاحترام  
وينشأ الأبناء في ظل هذه الأسرة في راحة وطمأنينة (١)

والأهم من ذلك ما تحظى به المرأة من رضا الله وجزائه طاعتها  
لزوجها لقوله عليه الصلاة والسلام: " أيميا امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت  
الجنة " (٢) إنه ثمن كبير ، يستحق أن يسخر المرءون وسائلهم لتربية الفتاة  
على القيام بهذه الطاعة ، إنه الجنة التي فيها ملاعين رأيت ولا أذن سمعت  
ولا خطر على قلب بشر (٣) لذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الزوج  
فقال عليه الصلاة والسلام " لو أمرت أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد  
لزوجها " (٤)

٤- مكان المرأة الطبيعي هو المنزل :

لقد كفلت الآية السابقة للمرأة سكنها ونفقتها وجميع مستلزماتها  
فجعلتها من اختصاص الرجل ، وذلك كي يتوفر لها من الجهد والوقت وهدوء البال  
ما يساعدها على القيام على تربية أبنائها فوظيفة الأم ليست قاصرة على إنجاب  
الأبناء للمجتمع ، وإنما تعهد هؤلاء الأبناء بالرعاية النفسية والجسمية  
والعقلية ، وتلقينهم المبادئ والقيم الإسلامية ولم يكن عبثاً أن يكفـل  
الإسلام للمرأة جميع مستلزماتها ، ويضعها موضع المسؤولية في البيت ، حيث يقول  
عليه الصلاة والسلام :

(١) محمد عقله : نظام الأسرة في الإسلام ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٠ - ٢١ .  
(٢) ابن ماجه : سنن ابن ماجه ، مرجع سابق ، ج ١ ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج  
على المرأة ، حديث ١٨٥٤ ، ص ٥٩٥ .

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤٤٢ .

(٤) ابن ماجه : المرجع السابق ، ج ١ ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة ، حديث

" ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتة. فالأمير  
الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيتته،  
والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم،  
والمرأة راعية على بيت بعلمها وولده وهى  
مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو  
مسئول عنه ألكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيتته" (١)

وحيث تقوم المرأة برعاية بيتها وزوجها وأولادها الرعاية الصحيحة ،  
تستطيع أن تنتج أبناء يخدمون دينهم ووطنهم . وفي ذلك يقول توفيق على وهبة:

" المرأة الراعية فى بيت زوجها هى التى تقدم  
لبلادها الجنود الذين يدافعون عنه ويحيمونه  
من أعدائه ، والأطباء الذين يحاربون المرض،  
والمهندسين الذين يعملون البناء، والساسة  
والقادة وكل الذين يخدمون الوطن فى كل  
المجالات" (٢)

وحتى تتمكن المرأة من القيام برعاية بيتها وأولادها وزوجها  
على أكمل وجه فإن عليها أن تتعلم جميع العلوم التى تمكنها من القيام  
بهذه الرعاية على الوجه الصحيح، فكلما زاد نصيب المرأة من هذه العلوم  
زادت قوة استعدادها للقيام بالدور المناط بها ، لذا ينبغى أن تتلقى الفتاة  
تعليماً مختلفاً عن تعليم الفتى، تعليماً يؤهلها لتكون أما مثالية، ومربية فاضلة،  
وزوجة سالحة، وربة منزل ناجحة . وفى ذلك يقول السيد محمد على نمر :

" ينبغى أن يراعى الآباء والمربون والحكومات  
استعداد المرأة، وأن يوجهوها إلى العلم  
الذى يتفق مع رسالتها الفطرية فى إدارة البيت

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق ج١٢. كتاب الإمارة (فضيلة الأمير

العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق) . ص ٢١٣ .

(٢) توفيق على وهبة : دور المرأة فى المجتمع الإسلامى . مرجع سابق . ص ١٤٣ .

وتربية الأولاد ، وينبغي ألا نستهيين بهذا الجانب فالطفل يحتاج في تربيته إلى معرفة لا بما يتصل بتغذيته وإعداد جسمه فحسب ، بل الأمر أعظم من ذلك ، فإن وراء الجسم جوانب كثيرة فهناك الجانب الروحي والجانب العقلي وهذا يتطلب دراسات كثيرة ، منها النفسية والتربوية كما يتطلب معرفة العقيدة الصحيحة التي يشب عليها الطفل" (١)

فالمرأة في الإسلام تتعلم مختلف العلوم التي تفيدها من أجل أن تؤدي الدور المطلوب منها تجاة ربها وبيتها . أما عمل المرأة خارج المنزل فقد أباحه الإسلام عند الضرورة التي تقتضيها حاجة المجتمع (\*) أو حاجة امرأة بعينها (\*\*). أما الأصل في الإسلام بالنسبة لعمل المرأة فهو قوله تعالى: \* وَكُنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ \* (٣) حيث قال القرطبي " معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد دخل غيرهن فيـه بالمعنى .... والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة" (٤)

إلا أن دعاة تحرير المرأة يقولون : يجب أن تشتغل المرأة لأنها نصف المجتمع وحبسها في المنزل فيه شل لحركتها وتعطيل لطاقتها ونتائجها العلمى والفكرى . ويرد محمد محمد حسين على هؤلاء بقوله .

" وللمفسدين والمخدوعين ممن يسمون (أنصار المرأة) حجج ومزاعم أكثرها مبنى على المغالطة، وأشهر مغالطاتهم في ذلك ما يزعمونه من أن عكوف المرأة على منزلها فيه تعطيل لنصف المجتمع وقولهم هذا مبنى على أن المرأة ليس لها عمل في المنزل

- 
- (١) محمد على نمر : إعداد المرأة المسلمة : جده . دار السعودية للنشر والتوزيع ط ٢ . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م . ص ٤٨ .  
 (\*) كتعليم البنات وتمريض وتطبيب النساء .  
 (\*\*) عدم وجود عائل أو عدم كفاية ما يعولها به عائلها .  
 (٢) محمد قطب : شبهات حول الإسلام . مرجع سابق . ص ١٣٧ - ١٣٨ .  
 (٣) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .  
 (٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق ج ١٤ . ص ١٧٩ .

والواقع أن وظيفتها في تدبير شؤون البيت ورعاية  
الزوج والولد وقضاء حاجاتهم المتنوعة تستغرق كل  
وقتها لو أدت على وجهها ، بل إن وقتها يضيـف  
بها في بعض الأحيان (١)

وبالتالي فإن عمل المرأة في بيتها ليس شأناً لحركتها ولا تعطيلاً لطاقتها  
ونجاحها العلمي والعملى والفكرى ، بل هو تربية وتوجيه لها ، لبذلها  
في الطريق الصحيح ، والذي يؤدي إلى صلاح الثروة البشرية .

وبذلك فإن مكوث المرأة في المنزل ليس إهداراً لكرامتها بل محافظة  
عليها ، لتحافظ هي بالتالى على إنتاجها البشرى ، فلا تكل أمر تربيتهـم  
إلى الحاضنات والخادمات ، لتذهب هي للعمل خارج البيت . وفى ذلك يقول  
السيد محمد على النمر :

" إن هجر المرأة لبيتها إلى عمل فى مصنع أو متجر  
تاركة أولادها في يد الخدم خسارة فادحة ، وهى  
تصل الأمة إلى ما تصبو إليه من شباب قوى يبني  
مجدها ، إذا تركت أبناءها ينشؤون على أخلاق  
الخدم " (٢)

لذا فإن على المرأة المسلمة أن لاتستجيب لدعاة فلالها عن الطريق  
الصحيح الذى رسمه الله لها ، والذى يتلاءم مع فطرتها وتكوينها ، ولتعلم  
أن تربيتهـا لأبنائها أئمن وأنفع للمجتمع من عملها خارج المنزل ، فتحمى  
الجيل الناشئ من أن يصيبه ما أصاب الجيل الغربى الذى خاض تجربة خروج  
المرأة للعمل ، والذى يصفه محمد محمد حسين بقوله :

---

(١) محمد مجمد حسين : المجتمع المختلط . فى حسن البنا : المرأة المسلمة

• د • ن • ت • ص • ١٦٦ •

(٢) السيد محمد على النمر : إعداد المرأة المسلمة . مرجع سابق • ص ٥٣ •





## النموذج الرابع

تربية المرأة بالأحداث لتحفظ زوجها في غيابه

عملت التربية الإسلامية على تهيئة جميع الظروف لإقامة مجتمع مؤمن نظيف، مبتدئة بغرس الإيمان بالله والذي يعتبر أكبر دافع للعمل على ما فيه رفاه واجتناب ما فيه سخطه، ثم شرعت جميع التدابير الوقائية التي تحمي المجتمع المسلم من ارتكاب الجريمة فيه .

فبالنسبة لجريمة الزنا فقد شرع الله في كتابه وسنة رسوله من التدابير الوقائية التي من شأنها الحد من حدوثها مالا يسمح وقت البحث لعرضه بالتفصيل (\*). ومن هذه التدابير أمر كل من الرجل والمرأة بغض النظر، والاستئذان عند دخول المنازل، والاستئذان فيها في أوقات معينة، وأمر المرأة بالحجاب وخفض الصوت، وعدم ابداء زينتها لغير محارمها، وحث كل من الرجل والمرأة على الاسراع في التزوج، ومنح الرجل الحفا في التزوج مثنى وثلاث ورباع، وتطبيق من شاء من زوجاته، ومنح المرأة الحق في طلب الطلاق من زوجها إذا كان مصاباً بإحدى العاهات التي تحول دون المعاشرة الزوجية، ومنحها الحق بالمخالعة من زوجها إذا أبغضته، وتحريم الزنا والتهويل من أمره وجعله من أكبر الكبائر وقرنه بالشرك بالله وقتل النفس حيث قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ  
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ  
ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ  
فِيهِ مُهَانًا ﴾ (١)

فالزنا من أخطر الجرائم وأكبرها وفاعله مقترف أكبر جرم وأصعبه، حيث أنه بفعلته هذه هتك الأعراض... وندس الشرف... وفضح الحرائر... ووصمه—

(\*) انظر - كامل الدقى : منهج سورة النور في إصلاح النفس والمجتمع . جده؛

دار الشروق . ط ٢ ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م . ص ٢٣٤ - ٢٧٢

- سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٨ . ص ٢٥٠٦ - ٢٥١٧ .

(١) سورة الفرقان : آية ٦٨ - ٦٩ .

بالعار ... وخان الآباء والأبناء والأزواج .. وخلط الأنساب . لذلك فقد شدد الله جل جلاله فى طرق إثبات هذه الجريمة حتى لايقوم الناس على الترامى بهذا

(١)  
الأمر الخطير ليشفى بعضهم غليله من بعض . فقال تعالى :  
﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ  
شُهَدَاءَ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً  
أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن  
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَمْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)

فأوجبت هذه الآية إقامة ثلاث عقوبات على من قذف مُحصناً أو مُحصنة دون أن تكون لديه بينة على ذلك . وأولى هذه العقوبات هى العقوبة البدنية وهى الجلد ثمانون جلدة ، وثانى هذه العقوبات أدبية وهى رد شهادة القاذف ، لأن جزاء اللسان الذى تناول على أعراض الناس ونال منها أن يقطع أثره فلا يعتمد بما يقول ، أما العقوبة الثالثة فهى عقوبة دينية وهى وصمه بالفسق والخروج عن أمر الله وطاعته ، فعلى قدر عظم الذنب تعظم العقوبة . فإذا كان هذا حال من رمى بالزنا فكيف يكون حال مقترضه ! ولقد شدد الله فى عقوبة القذف وجعلها قريبة من عقوبة الزنا وذلك لما فى القذف من فضح للعفيفات وإشاعة للفاحشة فى المجتمع . فالجماعة لاتخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة بقدر ماتخسرها بشيوع الاتهام والترخص فيه . إلا أن الزوج قد يضطر إلى رمى زوجته صيانة لشرفه ، وحفاظاً على نسه . وقد يكون صادقاً فى رميها مستيقناً من فعلها لكنه غير قادر على إثبات ذلك عليها ، لمثل هذه الحالة شرع الله للعنان

فقال تعالى :  
﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ  
إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ  
الصَّادِقِينَ . وَالْخَمْسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ  
مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُونَهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ

(١) كامل الدقس : منهج سورة النور فى إصلاح النفس والمجتمع . مرجع سابق . ص ص

٤٠ - ٤٢ .

(٢) سورة النور : آية ٤ - ٥ .

(٣) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق ج١ ص ٢٤٩٠ - ٢٤٩١ .

شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَقَسَبَ  
اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* (١)

في هذه الآيات فرج للأزواج وزيادة مخرج ، فإذا قذف الرجل زوجته بالزنا ولم تكن له بينة تثبت صدقه يلاعنها . كما أمر الله عزوجل بأن يحضرها إلى الإمام أو الحاكم فيدعى عليها بما رماها به ، فيحلفه الحاكم أربعاً بالله إنه لمن الصادقين ، تقوم مقام الأربع شهداء ، ليدفع عن نفسه حد القذف ، إضافة إلى ذلك فإن عليه أن يحلف في المرة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين . فيتوجب عليها بذلك حد الزنا ، ولا يدفع عنها هذا الحد إلا أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين . (٢)

ذكر العلماء حادثتين في سبب نزول هذه الآيات جميعها أوردها البخاري

في صحيحه بقوله :

" حدثنا : اسحق حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأوزاعي قال : حدثني الزهري عن سهل بن سعد أن عويمراً أتى عاصم ابن عدي وكان سيد بني عجلان فقال : كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتلته فتقتلونه أم كيف يصنع سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله - - فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل . فسأله عويمر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره المسائل وعابها ، قال عويمر : والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فجاء عويمر فقال : يا رسول الله وجد مع امرأته رجلاً أيقتلته أم كيف يصنع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أنزل الله القرآن فيك وفسى

(١) سورة النور : آية (٦ - ٩) .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . مرجع سابق . ج ٢ . ص ٢٦٥ .

صاحبتك فأمرهما رسول الله عليه وسلم  
عليه وسلم بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلا عنها" (١)

وقوله :-

" عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف أمراته عند  
النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سماعة، فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم : البينه أو حد فسى  
ظهرك فقال : يارسول الله إذا رأى أحدنا على  
أمراته رجلاً ينطلق يلتمس البينه ، فجعل النبي صلى  
صلى الله عليه وسلم يقول : البينه وإلا حد فسى  
ظهرك ، فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق  
فليُنزلن الله ما يبصرى ظهري من الحد ، فنزل  
"جبريل عليه السلام " وأنزل عليه : \* وَالَّذِينَ يَرْمُونَ  
أَزْوَاجَهُمْ \* فقراً حتى بلغ \* إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* " (٢)

ولقد علق الزرقانى على رواية هاتين الحادثتين بقوله :

" فهاتان الروايتان صحيحتان ، ولا مرجح لإحداها على  
الأخرى ، ومن السهل أن تأخذ بكلتيهما لقرب  
زمانيهما ، على اعتبار أن أول من سأل هو هلال  
ابن أمية ، ثم قفاه عويمر قيل إجابته ، فسأل  
بواسطة عاصم مرةً وبِنفسه مرةً أخرى فأنزل الله  
الآية إجابةً للحادثتين معاً " (٣)

وإلى ذلك ذهب النووى حيث قال : " يحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً فلعلهما

سألا فى وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما " (٤)

وقد صورت الحادثتان السابقتان جريمةً من أبشع الجرائم التى ترتكبها

المرأة وحالةً من أصعب الحالات التى يمكن أن يواجهها الرجل فى حياة الزوجية

وهى رويةً خيانة زوجته له وتدنيها لفراشه وانتهاكها لعرضه ...

(١) البخارى : صحيح البخارى . مرجع سابق . ج ٦ . كتاب التفسير . ص ١٢٥ .

(٢) المرجع نفسه . ج ٦ . كتاب التفسير . ص ١٢٦ .

(٣) الزرقانى : مناهل العرفان . مرجع سابق . ج ١ . ص ١١٢ .

(٤) النووى : صحيح مسلم بشرح النووى . مرجع سابق . ج ١ . كتاب اللعان ص ١٢٠ .

فأما عويمر العجلانى فيعلم أنه لا يطفى نار غيظه فى هذه اللحظة إلاقتل هذه الزوجه الخائنة وشريكها المجرم ، ولكنه وهو فى أشد حالاته غضباً لم ينس حكم الله فى القتل وما سيؤول إليه أمره إن أقدم على ذلك . كما أنه لا يستطيع التصريح بما وجد عليه زوجته مخافة أن يقام عليه حد القذف لعدم وجود شاهد سواه لتلك الجريمة ، ولكنه مع ذلك كله لا يملك أن يسكت ويترك عرضه ينتهك وشرفه يلوث وفراشه يدنس ، فيتجه إلى سيد قومه عاصم بن عدى طالباً منه أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجاً للزوج إذا حلت به هـسذه المصيبة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى اعتاد إجابة الناس عن كل ما يحتاجونه من الأمور الواقعة لهم فى دينهم ، لم يحب عاصم عن سؤاله كراهية أن يقع مثل هذا الأمر الفظيح فى المجتمع المسلم وفى ذلك يقول النووى :

" كان المسلمون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأحكام الواقعة فيجيبهم ولا يكرهها وإنما كان سؤال عاصم فى هذا الحديث عن قصة لم تقع بعد ولم يحتج إليها<sup>(\*)</sup> وفيها شناعة على المسلمين والمسلمات وتسليط اليهود والمنافقين ونحوهم على الكلام فى أعراض المسلمين " (١)

لذلك اتجه عويمر بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالباً حكم الله ورسوله فى هذه القضية .

وهذا أيضاً هلال بن أمية يتعرض لما تعرض له عويمر العجلانى فيسمع بأذنيه ويرى بعينية خيانة زوجته له . فيكظم غيظه ويغلب مشاعره ويغلب تقاليد قومه الموروثة والتي تقضى بغسل العار فى الحال ، بفرب كل منهما بالسيف وتقطيعها إرباً . ولكنه يكبح جماح غضبه ولا يتصرف أى تصرف مع تلك الزوجة الخائنة وشريكها منتظراً حكم الله ورسوله<sup>(٢)</sup> فما إن طلع الفجر حتى أسرع إلى رسول الله

(\*) وذلك لأن عويمر لم يخبره بما وجد عليه زوجته .

(١) النووى: صحيح مسلم بشرح النووى . مرجع سابق . ج ١ . كتاب اللعان . ص ١٢٠ .

(٢) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٨ . ص ٢٤٩٤ .

صلى الله عليه وسلم مخبراً بإياه بما رأى وسمع، فيشتد الأمر على رسول الله فهو قذف بدون شهود، ويشتد الأمر على الصحابة ويقولون الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلالاً ويبطل شهادته في المسلمين .<sup>(١)</sup>

وبالفعل يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهلال : البينة وإلا حد في ظهره فعبير هلال عن فظاعة وهول ما يعانيه الرجل في هذه الحالة بقول الله : ( إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ) لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك أن يأتى بتشريع من عنده فحكم الله واضح فسي حد القذف ليس فيه استثناء للزوج أو غيره . ولكن إيمان هلال بن أمية بالله وعلمه بأنه سبحانه يسمع ويرى، وثقته في عدله وحكمه جعلته طامعاً في رحمته متيقناً من أن الله لن يتركه ليقام عليه الحد مع صدقه فيقول : ( والذى بعثك بالحق إنى لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد ) فإذا الله ينزل استثناء الأزواج من حد القذف ويبرئ ظهري هلال من الحد ويجعل لعويم مخرجاً مما هو فيه .

هكذا أنزل الله تشريع اللعان والناس في أمس الحاجة إليه ، نزل يعالج موقفاً اشتد على الرسول وصعب على صاحبه وعلى المسلمين فاستقبلته النفوس باللهفة وأدركت مافيه من حكمة ورحمة . فالمتأمل في هذا التشريع يجد أنه لم يراعٍ مصلحة أحد الزوجين دون الآخر . فلو بقى حد القذف على ما هو عليه دون أن يستثنى منه الأزواج لوجب على الزوج أن يسكت على غيظ أو أن يربى في حجره ولدًا ليس من صلبه ، وطبعي أنه سيطلق زوجته دون أن تلقى أى عقوبة هي أو عشيقها فتنال بذلك حقوق الطلاق كاملة ، ثم تُترك لتعيش حياة زوجية جديدة مع ذلك العشيق أو مع زوج آخر تخونه كما خانت زوجها الأول . فعرضها مصون وكرامتها محافظ عليها لأن الزوج لم يقذفها أمام الحاكم مخافة إقامة الحد عليه لعدم إتيانه بالشهود ، مع أن الغالب في هذه الحالة صدقه لأن فضيحة الرجل لأهله هي فضيحة له .

(١) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد، في أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح الرباني .

مرجع سابق ج ١٧ . كتاب اللعان . ص ٢٦ .

أما لو قبلت دعواه ضدها مع عدم إتيانه بالبينة ، فإنه في هذه الحالة  
يقام على الزوجة الحد ، مع احتمال براءتها فتعرض للموت رجماً بالحجارة وتلحق  
الفضيحة بها والعار بقومها فتذهب ضحية للظن السن والغيرة الشديدة وكـ  
الطين بعيدان عن الحكمة والرحمة والعدل .

من هنا نلمس جانباً من حكمة الله ورحمته وفضله على عباده فيما شرع  
من حكم اللعان ، فقد أتاح بهذا التشريع للرجل أن يثبت صدق دعواه ويبرئ  
ظهره من الحد ، بأن يشهد أربع شهادات يالله إنه من الصادقين بدلاً من أن يكلف  
مشقة الإتيان بأربعة شهود . كما أن هذا التشريع لم يهمل جانب المرأة فأتاح  
لها الفرصة لإثبات براءتها ، وتخليص قومها من الفضيحة والعار ، وروحها من  
الإزهاق ، برد أيمان زوجها بأيمان تقابلها ، ورحم الله الرجل والمرأة جميعاً  
بهذا التشريع ، بالستر على الكاذب منهما في الدنيا وحمايته من إقامة الحد  
عليه ، مع إتاحة الفرصة له بالتوبة المادقة لينجو بذلك من عذاب الأخرى .<sup>(١)</sup>  
ولولا هذا التشريع لأزهقت الأرواح وسالت الدماء في سبيل الدفاع عن العرض  
والشرف . ففي هذا التشريع الإلهي الحكيم حماية للدماء وصيانة للأعراض وقبسر  
للجريمة في مهدها وصيانة لكرامة الأسرة ، إذ لا يستطيع أحد أن يجزم بصدق الدعوة  
أو كذبتها . ومن الأهداف التربوية التي يمكن استنباطها من الحادثتين  
السابقتين والآيات النازلة فيهما ما يلي :

#### (١) الشعور بمعية الله :

عملت التربية القرآنية بالأحداث على إشعار الناس بأن الله معهم ، حاضر  
شؤونهم كبيرها وصغيرها ، خبير بأحوالهم ، لا يكلفهم عنتاً ولا رهقاً ، ولا يتركهم  
عندما يتجاوز الأمر قدراتهم ، يتطلعون دائماً إلى عونه كلما حلت بهم نازلة أو  
ألمت بهم ضائقة فها هو ذا هلال ابن أمية لا يتصور أن الله يتركه ليقام عليه

(١) كامل الدقس : منهج سورة النور في إصلاح النفس والمجتمع . مرجع سابق ص ١٥٤ .

(٢) محمد على الصابوني : روائع البيان . تفسير آيات الأحكام . مرجع سابق ج ٢ ص ٩٨ .

الحد ، وهو صادق فى دعواه • فيتجلى توحيده واعتماده على الله فيقول قـول  
الواثق المظمئن إلى مولاه: (فليُنزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد ) وبالفعل أنزل الله  
ما يبرئ ظهر هلال ، أنزل آيات تتلى وتشريعاً يطبق ، تشريعاً خاصاً بالأزواج يتناسب  
مع دقة الحال وحرص الموقف • فـشعر الجميع برحمة الله وعدله وأن الله معهم  
وأنهم ليسوا متروكين لأنفسهم إنما هم فى عناية وكفالتة (١)

هذا الشعور بمعية الله هو الذى يوقظ الضمير ، ويجعل المسلم يحس  
برقابة الله سبحانه وتعالى على ما ينوى ، وأنه سيحاسبه على ما يفعل وبالتالي  
فهو أكبر رادع للنفس عن ارتكاب الجريمة ومجاهدة شهواتها وعدم الاستجابة  
لها إلا من طرق الحلال • ولعل ما ذكره عمر بن الخطاب من قول المرأة التى غاب  
عنها زوجها للقتال فى سبيل الله دليل على ذلك ، حيث سمعها أثناء تفقده ليلاً  
لاحوال الرعية تنشد قائله :

" تناول هذا الليل وأزورّ جانبه  
(\*)

وأزقنى الأضجيع الأعبه ...

فوالله لولا الله لاشّ غيـره

لنقض من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيباً موكـلاً

(٢)  
بأنفاسنا لايفتر الدهر كاتبه "

فرقابة الله هى أكبر قوة قاهرة ومسيطرة على شهوات النفس ، كما قال  
الإمام الغزالي " الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى ، جرت إلى اقتحام  
الفواحش " (٣)

فلو شعرت المرأتان فى الحادثتين السابقتين برقابة الله عليهما ، ولو  
تمكنت تقوى الله من نفسيهما ، لما أقدمتا على ارتكاب الفاحشة ولما تمكن أحد  
من قهرهما على ذلك مهما بلغ من فسوق ، ولما انتشر فى المجتمع ما انتشر عنهما

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن • مرجع سابق • ج ١٨ • ص ٢٤٩٤ •

(\*) قوى واشتد • أنظر (لسان العرب • ج ٤ • ص ١٨) •

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم • مرجع سابق • ج ١ • ص ٢٦٩ •

(٣) الغزالي ، أبو حامد : أحيا علوم الدين • مرجع سابق • ج ٢ • كتاب آداب النكاح • ص ٢٨ •



فدور المرأة بالتشجيع على ارتكاب هذه الجريمة أو منعها أكبر من الرجل، لأنها هي التي تملك زمام هذا الأمر، وفي ذلك يقول كامل الدقس :

" إن الذى بيده زمام الأمر كله المرأة التى إذا صلحت صلح المجتمع كله ، ولأن الرجل لا يمارس جريمته بدون امرأة ، فلو صدت المرأة الرجل لما كان هناك جريمة أصلاً ، ولا يستطيع أحط أنواع الرجال خُلُقاً أن ينال من امرأة شيئاً ، إذا هى تحصنت بشرفها وعفافها واعتصمت بخُلُقها وإيمانها " (١)

وبالتالى فإن الطريق لميانة المجتمع الإسلامى من أن ترتكب فيه هذه الجريمة هو العناية بتربية المرأة تربية إسلامية صحيحة ، والعمل على تنمية تقوى الله ورقابته فى نفسها ، واستخدام جميع الوسائل التربوية الإسلامية لتحقيق ذلك . فالمرأة أهم عنصر فى المجتمع ، فى صلاحها صلاح المجتمع ، وفى فساده فسادها فساد ، وإدراك أعداء الإسلام للدور الخطير الذى يمكن أن تقوم به المرأة فى فساد المجتمع جعلهم يوجهون وسائلهم وإمكاناتهم وطاقتهم للعمل على فساده ، وإبعادها عن دينها ، وتسهيل ارتكاب الفاحشة على نفسها ، كما هو ملاحظ فى وسائل الإعلام المختلفة التى تدعوا بمختلف الصور لتحرر المرأة وتصورها بصور مخالفة لتعاليم الدين الإسلامى .

لذا فإن على المرأة المسلمة أن تدرك أن الصيحات التى أخذت تعلق فى كل مكان وتنادى بتحررها الغرض منها هو فساده وفساد أمتها الإسلامية .

## (٢) ضبط النفس والامتناع التام لحكم الله ورسوله :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب " . وقد صور موقف كل من عويمر العجلانى وهلال بن أمية فى الحادثتين السابقتين ، كىـف

(١) كامل الدقس : منهج سورة النور فى إصلاح النفس والمجتمع . مرجع سابق . ص ٦٥ .

(\*) أى الذى يصرع الناس .

(٢) مالك : موطأ الإمام مالك . مرجع سابق . كتاب الجامع ( ماجاء فى

الغضب) ، حديث ١٦٣٨ . ص ٦٥٢ .

أثرت التربية الإسلامية في النفوس العربية الغيرية والشديدة الانفعال التي لاتفكر طويلاً قبل الاندفاع والتي تثور لأتفه الأسباب، فجعلتها نفوساً مطمئنساً راضية بقضاء الله تعالى تكبح جماح غضبها حتى في أخرج المواقف منتظرة حكم الله ومعتقدة أن الخير كل الخير في ما شرعه الله .<sup>(١)</sup>

هذا التماكك للنفس والامتثال التام لأوامر الله في جميع الأمور كبيرها وصغيرها، هو ما يجب أن يسعى المرءون جميعهم لتحقيقه، مستخدمين في ذلك جميع الوسائل التربوية لإقناع الناس جميعهم حكومة وشعباً بكمال المنهج الرباني، وخطر الابتعاد عنه، ومافى القوانين الوضعية من تناقض وقصور.

### (٣) تطهير المجتمع وصيانة الأعراض:

بعد أن أقام الرسول محمد عليه الصلاة والسلام شرع الله في التلاعن بين هلال بن أمية وزوجته في الحادثة السابقة، منع عليه الصلاة والسلام أن ترمى الزوجة أو ولدها بالزنا، وذكر أن عقوبة من يفعل ذلك ستكون إقامة الحد عليه .<sup>(٢)</sup>

فالمراة بتلاعنها لم يقم دليل قاطع على ارتكابها الجريمة، فمنع الناس من قذفها فيه صيانه لعرضها من تكرار التهجم عليه، وحماية لمشاعرها من التعرض للآلام الفظيعة التي تصيبها من جراء ذلك الاتهام . إضافة إلى ذلك فإن اطراد سماع الناس لتلك التهم يهون في الحس بشاعتها، ويجعل المجتمع مرتعاً خصباً للفتنة والهلاك، وحافزاً لذي النفوس الضعيفة والمتحرجة على ارتكاب تلك الفاحشة التي كانوا يستقذرونها.<sup>(٣)</sup>

إضافة إلى ذلك فإن منعه عليه الصلاة والسلام الناس من قذف المراة أو ابنها بعد الملاعنه فيه جانب تربوي آخر المقصود به المراة، وذلك أنها لو كانت فعلاً

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١٨ . ص ٢٤٩٣ - ٢٤٩٤ .

(٢) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد . في أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح الرباني

مرجع سابق . ج ١٧ . كتاب اللعان . ص ٢٧ .

(٣) سيد قطب : المرجع السابق . ج ١٨ . ص ٢٤٩٠ - ٢٤٩١ .

أقدمت على تلك الجريمة ، فإن رميها بها فى كل حين يجعل نفسها تعيش فى الجريمة ولا تخرج منها وتستمر فى دائرتها ، وربما كان فى ذلك دافع لها على تكرار هذه الجريمة ، أما نسيان الناس لجريمتها وعدم ذكرهم لها مع ما تشعر هى به من ندم وخوف من أن يلحق بها ما دعت به على نفسها من غضب الله يجعلها مقدمة على التوبة ، حريصة على نفي ما لحق بها من عار فى الدنيا بإثبات حسن سلوكها ، مصرة على إنقاذ نفسها من غضب الله فى الآخرة بصدق توبتها .

فالإسلام يهدف دائماً إلى تهذيب النفوس وتطهير المجتمع ، لذا فإن على المرَبِّين العمل على شغل أوقات فراغ من يقومون على تربيتهم فى العمل أو الحديث الذى فيه صلاحهم ، ونهيه عن الغيبة والنميمة واللغو والذى عادة ما يقود إلى القذف ، وتدريبهم على التحدث بلغة سليمة لا تقودهم إلى الإساءة إلى الآخرين أو الخوض فى أعراضهم .

=====

## تربية المرأة بالأحداث لتكون زوجة سالحة

- (١) قال عليه الصلاة والسلام " الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" والزوجة الصالحة هي التي تكون سكوناً لزوجها -- عوناً له لاعليه -- تبتغى مرفاته -- تربط مصيرها بمصيره -- ورضاها برضاها -- لا تفتش له سراً ولا ترهقه بغيرتها.. ولا تكلفه فوق طاقته -- تتنازل عن أهونها كي لاتعيقه عن أداء رسالته ومهمته في هذه الحياة وهي الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه، تكون في جميع أحوالها مسلمة مؤمنة قانته عابدة سالحة . وقد عملت التربية القرآنية على تربية أمهات المؤمنين وقدوة النساء المسلمات في كل زمان ومكان على التحلى بهذه الصفات ، فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ . إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهْرٌ . عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَلْبَسْنَ عِذَاتٍ سَخَّاتٍ تَيْبَاتٍ وَابْتِغَاءً لِمَا

بدأ الله الآيات السابقة بعتاب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على منعه وتحريمه على نفسه ما أحله الله له طلباً لمرضاة زوجته ، ثم صرح سبحانه بأنه غفر لرسوله عليه الصلاة والسلام ، ورفع عنه اللوم ورحمه وصار ذلك التحريم

(١) مسلم . صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق . ج ١٠ . كتاب الرضاع . ص ٥٦ .

(٢) منيسر محمد الغضبان : إليك آيتها الفتاة المسلمة . الأردن : المكتبة المنسار .

ط ٢ . ٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م . ص ١٤٦ .

(٣) سورة التحريم : آية ( ١٥ ) .

(\*) انظر سبب نزول الآيات ص ٢٩٢ - ٢٩٣ في هذا الفصل .

الصادر منه سبباً لشرع حكم عام لجميع الأمة أوضحه سبحانه بقوله: ﴿ قَدْ قَرَضَ  
 اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ \* أى شرع لكم أيها المؤمنون كفارة تنحل بها أيمانكم  
 وعقب على ذلك بقوله: ﴿ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ \* أى متولى أموركم  
 ومربيكم أحسن تربية فى أمور دينكم ودنياكم قد أحاط علماً بظواهركم  
 وبواطنكم شرع لكم من الأحكام ما يعلم أنه موافق لمصالحكم ومناسب لأحوالكم  
 فهو الحكيم فى جميع ما خلقه وما حكم به . ثم يشير سبحانه وتعالى إلى الحادثة  
 التى كانت سبباً لنزول الآيات السابقة بقوله: ﴿ وَإِذْ أَسْرَ السَّيِّئُ إِلَى بَعْضِ  
 أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا - - ﴾ \* الآية . ثم وجه سبحانه الخطاب للزوجتين الكريمتين  
 حفصة وعائشة رضى الله عنهما واللاتى كانتا السبب فى تحريم النبی صلى الله  
 عليه وسلم على نفسه ما يجب ، فعرض عليهما التوبة وعاتبهما على ماجرى منهما  
 وأخبرهما أن قلوبهما قد ( صفت ) أى مالت وانحرفت عما ينبغى لهن من الورع  
 والأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ  
 فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ \* أما ﴿ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴾ \* أى تعاونا على ما يشق عليه  
 ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ \* وفى هذا  
 أكبر فضيله وشرف للرسول الكريم حيث جعل الله سبحانه وتعالى نفسه الكريمة  
 وخواص خلقه أعواناً للرسول ومظاهرين له ، فمن كان هؤلاء أنصاره فهو المنصور  
 وغيره مخذول . وفى هذا أشد التحذير للزوجتين الكريمتين رضى الله عنهما .  
 ثم خوفهما أيضاً بحالة تشق على النساء جميعاً وهى طلاقهن ، واستبدال الزوجات أخريات مكانهن  
 زوجات خيراً منهن جامعاً بين القيام بالشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة مداومات  
 الطاعة لله وتاثيرات عما يكره سبحانه بعضهن ثيبات وبعضهن أبكاراً (١)

(\*) هذه الكفارة أوضحها سبحانه فى سورة المائدة : آية ٨٩ حيث قال تعالى:  
 ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ  
 فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَوْ كِسْفَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ  
 رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ... ﴾ \* الآية .

(١) السعدى : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان . مرجع سابق ص ٧٠٧ . ص

وقد أورد العلماء أكثر من حادثة سبباً لنزول الآيات السابقة فأورد مسلم في صحيحه الحادثة التالية بقوله :

" حدثني محمد بن حاتم ، حدثنا حجاج بن محمد ، أخبرنا ابن جريج ، أخبرني عطاء ، أنه سمع عبيد بن عمير ، يخبر أنه سمع عائشة تخبر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً قالت : فتواطأت أنا وحفصة أن آيتنا ما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل أني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير (\*) فدخل علي إحداهما فقالت ذلك له ، فقال : بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ، ولن أعود له ، فنزل ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنْ تَتُوبَا ﴾ لعائشة وحفصة " ﴿ وَإِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ لقوله : بل شربت عسلاً " (١)

وأضاف النسائي في سننه سبباً آخر لنزول الآيات السابقة بقوله :

" أخبرني إبراهيم بن يونس بن محمد حرمي (هولقنيه) قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها ، فلم تنزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ إلى آخر الآية " (٢)

وقال ابن حجر العسقلاني " يحتمل أن تكون الآية نزلت في السببين معاً " (٣) وقصة تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة على نفسه رواها الدارقطني بسنده عن ابن عباس عن عمر أنه قال :

(\*) مغافير جمع مغفور وهو صمغ جلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط ( أنظر النووي في صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٧٥ )

- (١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي . مرجع سابق ج ١٠ . كتاب الطلاق . ص ٧٣ - ٧٥ .  
 (٢) النسائي : سنن النسائي . مرجع سابق ج ٧ . كتاب عشرة النساء . باب الغيرة . ص ٧١ - ٧٢ .  
 (٣) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي : فتح الباري شرح البخاري . مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده . ١٣٧٨ هـ -

" دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بأم ولده مارية فصي بيت حفصة،  
 فوجدته حفصة معها، فقالت له: تدخلها بيتي!  
 ما صنعت بي هذا من بين نساءك إلا من هوانى عليك  
 فقال - لها: " لا تذكرى هذا لعائشة فهي على حرام  
 إن قربتها " قالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهى  
 جاريتك فحلف لها لا يقربها، فقال النبي صلى الله  
 عليه وسلم: " لا تذكرى لأحد، " فذكرته لعائشة، فألى  
 لا يدخل على نساءه شهراً، فاعتزلهن تسعاً وعشرين  
 ليلة، فأنزل الله عزوجل: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ  
 لَكَ ﴾ الآية (١)

ولقد زار عمر بن الخطاب الرسول عليه الصلاة والسلام فى خزانتة التى  
 اعتزل فيها نساءه وقد ذكر ما حدث فى هذه الزيارة فى حديث طويل أذكر منه  
 فى ما يلى قوله :

" دخلت عليه حين دخلت وأنا أرى فى وجهه الغضب  
 فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء  
 فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل  
 وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقل  
 ما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله  
 يصدق قولى الذى أقول ونزلت هذه الآية آية التخيير  
 ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِمَّا قَدَّمْتُمْ لِخَيْرَاتِكُمْ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ أَن تَرْضَكُوا وَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ لَإِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾  
 تَظْهَرُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّىٰ  
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٢﴾

الآيات النازلة فى الحادثتين السابقتين عالجت قضيتين مهمتين حدثتا فى  
 بيت الرسول عليه الصلاة والسلام وذكرهما منى محمد  
 الغضبان، وأقوم فيما يلى بعرضهما بايجاز:

- (١) الدارقطنى، على بن عمر: سنن الدارقطنى • بيروت: عالم الكتب • ط ٤ • ١٤٠٦هـ  
 - ١٩٨٦م • ج ٤ • كتاب الطلاق والايلاء وغيره • حديث ١٢٢ •  
 ص ص ٤١ - ٤٢ •  
 (٢) مسلم: صحيح مسلم بشرح النووى • مرجع سابق • ج ١٠ • كتاب الطلاق •  
 ص ص ٨٣ - ٨٤ •

القضية الأولى هي قضية تحريم ما أحل الله ، فلم يقبل الله سبحانه —  
وتعالى أن يقوم رسوله والقدوة لخلقه بتحريم ما أحل الله له على نفسه —  
فعاتبه على ذلك ولم يعاقبه وإنما غفر له ، لكن الأمر لم ينته بمعاتبة الرسول  
علية الصلاة والسلام تلك المعاتبة الخفيفة ، وذلك لأنه أقسم أن لا يقرب جاريتيه  
أو لا يذوق عسله ، أقسم بتحريم هذه المباحات على نفسه والواجب يقتضى أن يفى  
الإنسان ويبر بقرمه ، فكيف يرسل الله صلى الله عليه وسلم ، لكن الآية الثانية  
جاءت تمنعه من ذلك وتلزمه أن يكفر عن يمينه ويثقل منه . فيعلم الجميع بذلك  
أن ما أحله الله لا يجوز حرمان النفس منه عمداً وقصدًا إرضاءً لأحد مهما كانت  
منزله ، فإذا كان هذا الحال بالنسبة للذى منع نفسه مما أحل الله فكيف  
بالذين يقدمون على ما حرم الله طلباً فى رضا رئيس أو عزيز !!

هذا بالنسبة لقضية تحريم ما أحل الله ، أما بالنسبة للقضية الثانية  
قضية السر ، فإن موضوع السر فى الحادثتين السابقتين ليس ذا بال ، فهو لا يتعلق  
بأسرار الدولة أو الدعوة ، وإنما هو أمر خاص بطبيعة الحياة الزوجية .  
إلا أن حفصه رضى الله عنها لم تستطع أن تفيط أعصابها على السر وتكتمه فنقلته  
إلى رفيقتها فى المظاهرة واستكتمتها إياه ، فأطلع الله نبيه على ذلك  
فتصرف مع زوجته رضى الله عنها بمنتهى الحكمة والرفق ، لم يضربها رضى الله  
عنها ، ولم يعنفها وإنما أخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة ولم يخبر بجميعة  
مع معرفته له وذلك تكراً منه .

ولكن مع هذا لا تلوم أم المؤمنين رضى الله عنها نفسها على إقشائها  
للسر ، بل تلوم رفيقتها ، إذ كيف تبوح بسر استكتمتها إياه فتقول للرسول  
عليه الصلاة والسلام (من أنباك هذا) ، لتتوجه إليه باللوم والتعنيف . فكان  
الجواب الذى فاجأها أكبر من تصوراتها ، فلم تكن تتصور أن القضية من الخطورة  
إلى الحد الذى تتدخل فيه السماء . فقد تدخل الله لصالح نبيه ، وكشف له  
إخبارها بالسر . عند ذلك خشية أن تكون فى هذه القضية هلاكها وأن ينتقل هذا  
الخبر من حدود تلك الغرفة الصغيرة إلى العالم بأكمله ، فيعلم الجميع ما



أقدمت عليه وهي أم المؤمنين والقُدوة لنساء المسلمين، وخافت أن ينزل الله فيها قرآناً يتلى يبين ما كان منها وما أوجبه الله عليها من عقوبة، وبالفعل كان ماخشيتَه رضى الله عنها فإذا بالوحي ينزل مشيراً إلى ما أقدمت عليه داعياً إليها ورفيقتها رضى الله عنهما إلى التوبة والكف عن التظاهر والتعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فصحيح أن الغيرة من طبع المرأة خاصة إذا شاركها في زوجها نساء غيرها، لكن هذا لايعنى أن نقيم لها الأعدار فيما تقوم به من أعمال بسبب هذه الغيرة لأن الغيرة كغيرها من المشاعر الإنسانية يمكن تهذيبها وتربيتها والترفع بها، وإلا أرهق النساء أزواجهن بالغيرة وإحاقة المؤامرات، لهذا كان الخطاب صارماً في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلَّى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ فإن لم يتبن عن إتعاب النبي وإحراجه فإن معسكر الإيمان كله فذهن، الله تعالى جلت قدرته، وأمين الوحي جبريل وصالحوا المؤمنين والملائكة جميعهم، فمن ياترى بقى معهن؟؟؟

ليس هذا فحسب بل خوفهن بأن يوقع عليهن عقوبة أخرى تمعب على كسل امرأة محبة لزوجها، وهي إيقاع الطلاق بهن، واستبدال مكانهن بزوجات أفضل منهن، حيث قال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَائِمَاتٍ تَعَبَّاتٍ عَعِيدَاتٍ سَيَّحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ فلما سمعن رضى الله عنهن هذا التخويف وهذا التأديب من الله لهن، بادرن إلى العمل بما فيه رضى الله جل جلاله ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الوصف منطبقاً عليهن فصرن أفضل نساء المؤمنين (١)

من هذه المعالجة يمكن استنباط توجيهات تربوية منها :

(١) منير محمد الغضبان : إليك أيتها الفتاة المسلمة . مرجع سابق . ص ١٤٥-١٦٣

(١) تربية المُرَبَّيْنِ من خلال تربية قدوتهم .

كان من الممكن أن تمر الحادثتان السابقتان دون أن يعلم بهما أحد، لكن التربية القرآنية قامت باستغلال تلك الأحداث للعمل من خلالها على تربية الرجال والنساء، من خلال تربية الرسول عليه الصلاة والسلام الذي قال تعالى عنه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> ومن خلال تربية زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين .

فلو لم يعاتب الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة نبيه عليه الصلاة والسلام على تحريمه على نفسه ما أحل الله له ويأمره بالتحلل من هذا اليمين بالكفارة، لكان ذلك ذريعة للأزواج في عمل أي عمل بغير قناعة بغية الحصول على مرضات زوجاتهم . وهذا من شأنه أن ينقل القوامة تدريجياً من الرجل إلى المرأة وفي ذلك من الويل والثبور على الزوج والأسرة ما لا يخفى، ولكن هذا لا يمنع من أن يأخذ الرجل برأى زوجته إذا اقتنع بصحة رأيها وفائدة تنفيذه، فللمرأة الحق في أن تبدى رأيها وتوضح الحجج التي تقويها لكن ليس من حقها أن تفرض على زوجها أن يقدم على عمل، أو تتحاييل للوصول إلى ذلك .

كما أن في تربية نساء النبي رضى الله عنهن تربية للنساء جميعاً، على عدم اتخاذ أي سلوك يحمل الرجل على الإقدام على أمر لا يحبه، أو يمنعه من أمر يحبه، أو يفرض عليه سلوكاً لا يرضاه، أو يحول بينه وبين واجب يؤديه للعباد-وحيث إن الأصل في المرأة عدم الحفاظ على السر إذا كان يتعلق بهواها، لذلك لم تتمكن إحدى زوجات النبي رضى الله عنها من كتمان ما استأمنها عليه صلى الله عليه وسلم من سر عن رفيقتها فأباحت لها به، لكن <sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأحزاب : آية ٢١

(٢) منير محمد الغضبان: إليك أيتها الفتاة المسلمة . مرجع سابق . ص ١٤٢

إطلاع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك ثم نزول الآيات التي تبين مقامات به هذه الزوجة رضى الله عنها ، فيه توجيه لهذه الزوجة الطاهرة ولجميع النساء المسلمات إلى وجوب الحفاظ على السر . وأن ماتشعر به المرأة من رغبة فى إفشاء ما استؤمنت عليه من سر ، يمكن التغلب عليه إذا شعرت بمراقبة الله لها .

يمكن من ذلك كله استنتاج أن القدوة غير منزهيين من الخطأ ، فهم بشر تغلب عليهم مشاعر البشر . ونظراً لما للقدوة من أثر فى التربية فإنه يجب الاهتمام بأمر تأديبهم ، ومراقبة سلوكهم ، والعمل على التقويم الدائم لهم . هذا التوجيه التربوى يجدر بالمُربِّين عامة تنفيذه ، فمثلاً فى مجال الأسرة يعتبر عادة الابن الأكبر والبنت الكبرى القدوة لإخوتهم بعد الوالدين لذا فإنه يجب على الوالدين عدم التغاضى عن ما يقوم به الابن الأكبر أو البنت الكبرى من خطأ ولمس الاعذار لهما فيه باعتبار منزلتهما ومكانتهما فى الأسرة ، وإنما على العكس من ذلك ، فإنه يجب أن يقوم الوالدان بعرض خطئهما أمام إخوتهم وتوجيههم توجيهاً يتلاءم مع مركزهم فى الأسرة ، ومع ما أقدموا عليه من خطأ ، فيكون فى هذا التوجيه تربية مباشرة لهذا الابن أو البنت وتربية غير مباشرة لإخوتهم .

كذلك يجب على المعلمين والمعلمات مراقبة سلوك الطلاب والطالبات المثاليين والعمل على توجيههم أو عقابهم إذا أقدموا على ارتكاب خطأ يستوجب ذلك .

## (٢) تحلى المرأة المسلمة بصفات الزوجة الصالحة .

خوف الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة نساء النبي رضى الله عنهن بأنه لو طلقهن ، سيبدله زوجات خيراً منهن يتصفن بصفات تليق بالمنزلة التى سيوضعن فيها ، حيث قال تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيَتَاتٍ تَعْلَمْنَ عِلْمًا سَلِيمًا تَتَّبِعْنَ مَا أَرْسَلْنَا وَإِلَيْهِنَّ يَرْجِعْنَ أَمْوَالُهُنَّ بِغَيْرِ حَسَابٍ ﴾ ، والله سبحانه وتعالى وسع علمه كل شئ ، علم أن رسوله صلى الله عليه وسلم لن يطلقهن ، ومع ذلك ذكر هذه الصفات ، ليكون بذلك التخويف أبلغ فى النفس وأقوى على زجرها

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن ذكر تلك الصفات ما هو إلا تربية لهن رضى الله عنهن عن طريق الإيحاء والتلميح للتحلى بتلك الصفات، وتربية لكل زوجة من الزوجات على التحلى بها وهذه الصفات وضحاها مشير محمد الفضبان وأقوم فيما يلي بعرضها بايجاز وهي:

- أن تكون زوجة مسلمة أى تسلم نفسها لله ، وتسير وفق أوامره فى لباسها وزينتها - - وفى علاقتها بزوجها وأولادها والأخرين من حولها ... فلا تعمّل عملاً مهما كان صغيراً أو كبيراً حتى تزنه فى ميزان الله جل جلاله .

- أن تكون زوجة موءمنة أى أوصلها إسلامها إلى الإيمان التام ، فأصبحت قلبها عامراً بالإيمان وسلوكها نابعاً من هذا القلب مطابقاً لما يغمره من إيمان .

- أن تكون زوجة قانتة أى لا تكتفى بالإلتزام بأوامر الله التعبدية وملزمة طاعته ، بل تؤدى ذلك كله فى سكون لله ، فيكون فى عبادتها روح ، وفى طاعتها لذة مناجاة لربها سبحانه .

- أن تكون زوجة تائبـة تعلم أن نفسها ضعيفة ، وقد يدفعها ضعفها هذا إلى اقرار ذنب من الذنوب أو خطأ من الأخطاء ، فتكون دائمة المراقبة لها فإذا أفلتت من زمامها فى لحظة من لحظات ضعفها ، وارتكبت ذنباً من الذنوب لا تتمادى فيه ، ولا تصر عليه وتلتمس الأعذار فى ذلك ، بل تسارع فى الاستغفار والتوبة منه ، وتعقد العزم على عدم العودة إليه .

- أن تكون زوجة عابـدة تعلم أنها ما خلقت إلا لعبادة الله جل جلاله وأن ربها سبحانه قال فى كتابه الكريم: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) وتعلم أن العبادة غير قاصرة على أداء الشعائر التعبدية فقط. وإنما هى شاملة لكل عمل تقوم به ، فقد قال ربها عز وجل لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وبالتالى فهى حريصة على أن تكون حركاتها وسكناتها وفق منهج الله ، وخالصة لوجهه الكريم ، إضافة

(١) سورة الذاريات : آية ٥٦

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٢ .

إلى ذلك فهي مداومة على أداء الشعائر التعبدية حريصة على القيام بها  
بكل خشوع وطمانينة .

- أن تكون زوجة سائحة لا تكتفى بصيام شهر رمضان، وإنما هي حريصة على  
صيام النوافل فتشعر بما يشعر به الفقراء (\*) والمحتاجون فيدفعها ذلك إلى الترفع  
عن شهوات الدنيا، فبدلاً من أن تبذل مالها في جمع الملابس والعطور والفاخر  
من الأثاث، تبذله لهؤلاء المحتاجين والفقراء، لم لا وهي قد شعرت في نهارها  
بما يقاسون من ألم الجوع . ولا يبعد أن تكون الزوجة السائحة هي المهاجرة  
إلى الله ورسوله أو هي التي هجرت ملذات هذه الدنيا ومفاتها في سبيل  
الله (١) .

هكذا تريد التربية القرآنية للزوجة المسلمة أن تكون، وهذا ما يجيب  
أن يسعى إلى تحقيقه كل من تولى أمر تربية الفتاة المسلمة، مستخدمين في  
ذلك جميع الوسائل التربوية اللازمة، ولهذا أمر الرسول عليه الصلاة والسلام  
الرجال بالتزوج من المرأة المتدينة لأن في دينها صلاح زوجها وأبنائها  
وبالتالي مجتمعها، حيث قال عليه الصلاة والسلام :

" لا تزوجوا النساء لحسنهن . فعسى حسنهن أن  
يرديهن . ولا تزوجوهن لأموالهن . فعسى أموالهن أن  
تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرماء (\*)  
سوداء ذات دين أفضل " . (٢)

=====

(\*) بعد أخذ موافقة زوجها، أو في حالة غيابه عنها لقوله صلى الله عليه وسلم:  
" لاتصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً، من غير شهر رمضان، إلا بإذنه " ( أنظر

سنن ابن ماجه، ج١- كتاب الصيام، حديث، (١٧٦) . ص ٥٦٠ .

(١) منير محمد الغضبان : إليك آيتها الفتاة المسلمة . مرجع سابق . ص ١٦٥ - ١٦٧  
(\*) أي مقطوعة بعض الأنق ومثقوبة الأذن .

(٢) ابن ماجه : سنن ابن ماجه . مرجع سابق . ج ١ . كتاب النكاح . باب تزويج  
ذات الدين . حديث ١٨٥٩ . ص ٥٩٧ .

## النموذج السادس

## تربية المرأة بالأحداث على الزهد فى الدنيا

لقد خص سبحانه وتعالى الرجال بالقوامة على النساء بسبب ما أودع الله فيهم من قدرات توهمهم لتولى القوامة، وبسبب تكليفهم بالنفقة على النساء حيث قال تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَعَلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَّا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ (١)

والنفقة الواجبة على الرجل تجاه المرأة تتضمن تأمين الطعام، والمسكن والملبس . دون تقتير أو إسراف كما قال تعالى ممتدحاً عبادة المؤمنين بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٣) إلا أن النساء جبلن بطبعهن على حب التزين فى الملبس والمسكن . لذا فقد عملت التربية القرآنية على تربية النساء على الزهد فى هذه الدنيا ، والترفع عنها ، وعدم الإنغماس فيها ، والانشغال بها مبتدئة بأمهات المؤمنين ، والقدوة الدائمة للنساء المسلمات زوجات النبي رضى الله عنهن ، فقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَلزَّوْجِ أَكْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا . وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤)

أمر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات نبيه عليه الصلاة والسلام بسان يقول لزوجاته رضى الله عنهن : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ أى إن كنتم تردين هذه الحياة الدنيا ، وما فيها من زينة ، وترفين لحمولها ، وتغضبن لفقدائها ، فلا حاجة لى بكن وأنتن على هذه الحال ، فتعالين أمتعن باعطائكن شيئاً مما عندى من هذه الدنيا ، وأفارقكن

(١) سورة النساء : آية ٣٤ .

(٢) محمد عرفة : حقوق المرأة فى الإسلام . مرجع سابق . ص ٦١ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٦٧ .

(٤) سورة الأحزاب : آية ٢٨ - ٢٩ .

بدون مفاضة ولا مشاتمة بل بسعة صدر وانشراح بال ، أما إن كنتن تردن الله  
ورسوله والدار الآخرة ، ولن تكترثن لسعة الدنيا وضيقها ويسرها وعسرها وقنعتن  
من رسول الله بما تيسر ولم تطلبين منه ما يشق عليه ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ  
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، فرتب سبحانه وتعالى الأجر على الإحسان لأنه هو السبب  
الموجب للأجر لالكونهن زوجات الرسول لأن ذلك لا يفيدهن شيئاً مع عدم الإحسان .<sup>(١)</sup>

والحادثة التي كانت سبباً لنزول هذه الآيات أوردها مسلم في صحيحه

بقوله :

" حدثنا زهير بن حرب ، حدثنا روح بن عبادة ، حدثنا  
زكرياء بن إسحاق ، حدثنا أبو الزبير ، عن جابر بن  
عبد الله ، قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوساً ببابه لم  
يؤذن لأحد منهم ، قال : فَأُذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ ، ثُمَّ  
أَقْبَلَ عَمْرٌ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فوجد النبي صلى الله  
عليه وسلم جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً ، قال  
فقال ، لأقولن شيئاً أضحك النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال : يارسول الله لو رأيت بنت خاتمة<sup>(\*)</sup> سألتني  
النفقة فقلت إياها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وقال : هن حولي كماتسرى  
يسألتنى النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ  
عنقها ، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما  
يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ماليس عنده ، فقلن : والله لانسأل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم شيئاً أبداً ليس عنده ثم اعتزلهن  
شهرًا او تسعاً وعشرين ، ثم نزلت عليه هذه الآية  
﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجُكُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْمُحْسِنَاتِ  
مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ قال فبدأ بعائشة فقَالَ:  
ياعائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن

(١) السعدى : تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان . مرجع سابق . ج ٦ . ص ٦٠

لاتعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك، قالت : وما هو  
 يارسول الله فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يارسول الله  
 أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة  
 وأسألك أن لاتخبر امرأة من نساءك بالذى قُلتُ،  
 قال : لاتسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله  
 لم يبعثنى مُعَنَّتًا ولا مُتَعَنَّتًا ولكن بعثنى مُعَلِّمًا  
 مُيسِّرًا " (١)

صورت الحادثة السابقة مشهداً من مشاهد بيت النبوة، فنساء النبي رضى الله  
 عنهن واللاتى صبرن على شغف العيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمهن  
 بوفعه المادى عليه الصلاة والسلام، ما أن رأين الغنائم تنهال على المسلمين  
 بعد أن فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين حتى تحرك فيهن الميل الطبيعى  
 البشرى للتزين واللبس والتمتع بطيبات هذه الحياة، فانطلقن إلى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم واجتمعن حوله يطالبينه بزيادة النفقة، لأن الأمر أصبح  
 ممكناً بسبب وجود الغنائم، كما أن الله قد أحل لهم وللمسلمين جميعاً الأكل  
 من تلك الغنائم، حيث قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) وقال جل جلاله : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ  
 خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ  
 بِاللَّهِ ﴾ (٣) الآية. إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستقبل هذه المراجعة  
 بالترحيب وإنما استقبلها بالأسو والحنن، فقد آلمن قلبه بما طالبن به وهو  
 الذى يريد لهن أن يترفعن عن الانشغال بهذه الدنيا.

ولكن عمر بن الخطاب لم يحتفل أن يرى الهم والحنن يعلمان وجه رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم دون أن يفعل شيئاً . فأخذ يحدثه كيف أن زوجته

- 
- (١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ج١٠ . كتاب الرضاع . ص ٨٠ - ٨١ .  
 (٢) سورة الأنفال : آية ٦٩ .  
 (٣) السورة نفسها : آية ٤١ .



طالبته بزيادة النفقة وأنه لم يتقبل ذلك منها وفربها ، فضحك عليه الصلاة والسلام ، وأخبر عمر بسبب همه وحزنه ، إلا أن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما لم يحتملا أن يتسبب بناتهما وبقية زوجات النبي رضى الله عنهن فى إحزان الرسول عليه الصلاة والسلام وإيلامه ، فقام كل واحد منهما إلى ابنته ليفربها قائلين : ( تسألان رسول الله ما ليس عنده ) فهما يعلمان علم اليقين أن رسول الله لم يستأثر لنفسه شيئاً من تلك الغنائم وإنما أنفقها فى سبيل الله ، عند ذلك قلن رضى الله عنهن : ( والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أبداً ليس عنده ) .

ومع أنهن قلن ذلك إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرهن شهراً كاملاً ، لأن القضية ليس أن يكون عنده أو لا يكون ، وإنما القضية هى قضية التغلب على شهوات هذه النفس والترفع عن هذه الدنيا ، والانشغال بما هو أهم وبما هو أجدر بهن أن ينشغلن به وهن على هذه المكانة العالية من المسلمين ، حيث إنهن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد سبق فى النموذج السابق القول بأن الرسول عليه الصلاة والسلام اعتزل نساءه عندما تظاهرت عليه حفصة وعائشة رضى الله عنهما ، وفى ذلك يقول ابن حجر العسقلانى " اختلف الحديثان فى سبب الاعتزال ، ويمكن الجمع بأن يكون القفيتان جميعاً سبب الاعتزال " .

وبعد هذا الهجر الذى قاسين فيه رضى الله عنهن ، ما يمكن أن تقاسيه مثلهن إذا ترفع عنها نبيها وزوجها ، جاءت الآيات تأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخيرهن بين ما طالبين وبين ما يريد لهن . إلا أن التريية القرآنية المتضمنة فى هذه الآيات مع أنها تركت لهن مطلق الحرية فى الاختيار ، إلا أنها لم تتركهن دون توجيه وإرشاد ، بل عبرت عن التخيير الوارد

(١) سيد قطب : فى ظلال القرآن . مرجع سابق ج٢٢ . ص ٢٨٥٢ - ٢٨٥٤ .

(٢) ابن حجر العسقلانى : فتح البارى بشرح البخارى . مرجع سابق ج١٠ . ص ١٤٠ .

فيها بأسلوب يوحى إلى تلك الزوجات الظاهرات بالطريق الصحيح ، لتساعدهن فى عملية الاختيار ، فلاتترك نفوسهن تتنازع فيها الرغبة فى العيش مع النبى مع مافى هذه المعيشة من كفاف ، أو التمتع بالمباح فى هذه الحياة . فبدأت الآيات بما طلبن ، معبرة عنه بقوله تعالى : ﴿ إِن كُنْتُمْ تُرَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا زِينَتًا ﴾ فسمت هذه الحياة الأولى بما يليق بها من تسمية بأنها حياة دنيا لاتستحق أن يصرفن اهتمامهن إليها ، وعبرت عن مافيهها من متاع بكلمة زينة لأنه من المعروف أن الزينة هى طلاء خارجى براق لا يصل إلى الجوهر ولا يؤثر فيه لا يبهربه ولا يندفع به ذو عقل ، فكيف بالنساء اللاتى ارتبطت حياتهن بحيياة إمام المتقين والزاهدين والمجاهدين للباطل ولشهوات النفس . فإن اختسرن الانصراف إلى هذه الحياة ومافيهها من متاع زائل ، وأصرين على المطالبة بالتوسعة عليهن فى النفقة ، فإن نتيجة هذا الاختيار ستكون فراق النبى لهن فراقاً جميلاً يليق بمنزلتهن من رسول الله ، ويتمثل فيه خلق الإسلام فى تنفيذ الطلاق حيث قال تعالى : ﴿ فَتَعَالَيْنِ أُمْتِعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا ﴾ لأن زوجات النبى لايلىق بهن أن يشغلن أنفسهن بهذه الدنيا أو أن يأخذن منها أكثر مما يأخذ المسافر من زاد لطريقه . (١)

ثم انتقلت معهن التربية القرآنية فى الآيات السابقة من الاختيار الأول إلى الاختيار الثانى . إلا أنها لم تبدأ بالاختيار نفسه كما بدأت الاختيار الأول (وهو الحياة الدنيا وما فيها من متاع) وإنما بدأتها بسبب اختيار الحياة الآخرة وهو رضا الله تعالى ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ليفهم من ذلك أن الاختيار الأول ليس فيه رضا الله ، ولا رضا رسوله إضافة إلى ذلك عبرت عن هذه الحياة الآخرة بتعبير يوحى بدوامها وثباتها وهو ﴿ الدار الآخرة ﴾ ، لأن كلمة "دار" لدى العرب تدل على البناء الثابت الراسخ وهو البناء الذى يعده الذين ألفوا حياة الاستقرار ، كالعاملين بالزراعة ونحوها . (٢)

(١) حسن باجوده : تأملات فى سورة الاحزاب . مكة . نادى مكة الثقافى . ١٤٠٣ هـ

ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٦٨ - ص ٢٧٦ .

ليس هذا فحسب بل استمرت التربية القرآنية في توجيههن وإرشادهن — لتساعدهن على اختيار الدار الآخرة ، حيث ختمت الآيات السابقة بقوله تعالى: ﴿ أَعْمَدًا لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ففى ذلك إرشادهن رضى الله عنهن بأن المنتظر منهن ليس فقط اختيار الله ورسوله بل الوصول إلى أعلى ما يمكن أن ينتظر من أتقى خلق الله تعالى ، ألا وهو الإحسان ، الذى عرفه صلى الله عليه وسلم بقوله: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (١)

وبعد أن تنزلت هذه الآيات بما فيها من أمر التخيير وما اشتملت عليه من التوجيهات لنساء النبى صلى الله عليه وسلم ، قام عليه الصلاة والسلام بتخيير زوجاته فبدأ بعائشة رضى الله عنها أصغر زوجاته وأحبهن إلى قلبه ، إلا أن خوفه من أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه ، وهو الذى يريد لها أن تعيش معه مستعلية على متاع هذه الدنيا وتشاركه فى تحقيق القيم الأساسية لهذا الدين جعله يشير عليها أن لاتتعجل بقول رأيها حتى تستشير أبويها لثقتها بأن أبويها لن يشيرا عليها بفراقه (٢)

إلا أن تلك الشابة الصغيرة التى تربت فى بيت النبوة ، وفهمت ما فى الآية من توجيهات ، لم تكن لتختار زينة الحياة الدنيا على الله ورسوله والدار الآخرة فصرحت بما اختارته بكل ثقة وجرأة ، واستنكرت أن تأخذ رأى أبويها فيما فىه صلاح آخرتها ، إلا أن غيرتها رضى الله عنها ورغبتها فى الاستئثار بالرسول عليه الصلاة والسلام دفعتها إلى أن تطلب منه عليه الصلاة والسلام أن لا يخبر زوجاته الأخريات أنها اختارته حين يخبرهن . وفى هذه اللحظة تجلت عظمة هذا النبى عليه الصلاة والسلام وحقيقة رسالته فى قوله لها: ( إن الله لم يبعثنى معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثنى معلماً مُيسراً ) فخير زوجاته وأخبرهن باختيار عائشة فاخترن جميعهن رضى الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة .

(١) مسلم : صحيح مسلم بشرح النووى . مرجع سابق ج١ . كتاب الإيمان . ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٤ . ص ١٦٣ .

هذه الحادثة وما نزل فيها من آيات ، تضمنت توجيهات تربوية منهـمـا :-

(١) الدعوة والعلم يتطلبان الزهد فى الدنيا :

عملت الآيات النازلة فى الحادثة السابقة على تربية نساء النبى رضى الله عنهن ، وإعدادهن للرسالة العظيمة المنوطة بهن القيام بها فى هذه الحياة ، والتي صرح بها سبحانه وتعالى فى موضع آخر من السورة نفسها بقوله :

\* وَادْكُرْنَ مَا يُكَلِّفُ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ <sup>(١)</sup> \* والتي قال فيها القرطبي :

" - - أمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن فى بيوتهن ، وما يرين من أفعال النبى عليه الصلاة والسلام ، ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس فيعلموا ويقتدوا " (٢)

وذلك لأن منزلتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم تتيح لهن أن يرين من سلوكه وأن يسمعن من أقواله وأن يتعلمن من أفعاله مالا يتاح لأحد غيرهن . فلو كن منشغلات بهذه الدنيا منصرفات إليها ، فهل كان من الممكن أن يقمن بشئ من هذه الرسالة العظيمة التى قمن بها فعلاً رضى الله عنهن حيث إن مسالا يقل عن ثلث هذا الدين وصل إلينا عن طريق هؤلاء الزوجات الصالحات <sup>(٣)</sup> . وبالتالى بينت هذه الآيات للنساء المسلمات الطريق الذى ينبغى عليهن أن يسلكنه إن أردن أن يكن عالمات بهذا الدين داعيات له ، ألا وهو طريق الزهد والاستعلاء على ملذات هذه الدنيا ، وذلك بتهديب ما يشعرن به من ميل طبيعى للتمتع بهذه الحياة وزينتها ، والتركيز على العلم والدعوة وهن وإن كان لا يمكنهن أن يصلن إلى ما وصلت إليه نساء النبى رضى الله عنهن من مرتبة فى الزهد لكن عليهن أن لا ينجمن فى هذه الحياة ، وأن يأخذن منها بالنصيب الذى لا يتعارض مع الدعوة ويليق بالمرأة الداعية العالمة . وهكذا ينبغى أن يكون العلماء دائماً راغبين عن جمع المال موجهين جل اهتمامهم نحو العلم .

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٤ -

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مرجع سابق . ج ١٤ . ص ١٨٤ .

(٣) حسن باجودة : تأملات فى سورة الأحزاب . مرجع سابق . ص ٢٧٥ .

## (٢) التربية بالإقناع والتوجيه لبالكبت والإكراه :

في الحادثة السابقة نها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر  
رضي الله عنهما عن ضرب زوجته عائشة وحفصة رضي الله عنهما ، فما طالبين<sup>(١)</sup>  
به عبر عن مشاعر طبيعية لديهن ، فالضرب والاكراه والكبت لايجدى في هذه الحالة  
وإنما الذي يجدى هو تربية هذه المشاعر وتهذيبها والترفع بها إلى المستوى  
اللائق بنساء النبي عليه الصلاة والسلام . فقام رسول الله صلى الله عليه  
وسلم باعتزالهن شهراً كاملاً ، معبراً لهن بذلك عن مدى أساه وحزنه ، وعدم رضاه  
عن هذا الطلب ، تاركاً لهن الفرصة للتراجع عن ذلك .

ثم إن التربية القرآنية استغلت هذه الحادثة في تربية تلك المشاعر  
الإنسانية ، وطلبت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخيرهن بين اللـه  
ورسوله والدار الآخرة وبين هذه الحياة الدنيا وزينتها ، اختياراً لا إكراه فيه  
ولكن عُبر عنه بأسلوب يبرز لهن الطريق الصحيح الذي يليق بهن . وبالفعل أثمرت  
هذه الطريقة القرآنية في التربية ثمارها ، فاخترن جميعهن رضي الله عنهن الله ورسوله  
والدار الآخرة .

وبالتالى فإن على المُربِّين تطبيق هذه الطريقة في التربية ، وذلك  
باستخدام جميع الوسائل التربوية التى من شأنها دفع المُربِّين إلى اختيار  
طرق الصلاح والاندفاع إليها ، حتى لو أدى بهم ذلك إلى تقديم التنازلات  
والتضحيات من جانبهم دون تعارض مع السلوك الإسلامى الصحيح .

## (٣) الاعتدال في النفقة :

الآيات النازلة في الحادثة السابقة عملت على تربية النساء على الزهد  
في الدنيا ، وعدم مطالبة الزوج بما لا يطيق من النفقة إن كان معسراً ، وعدم

(١) أحمد بن حنبل : مسند الإمام أحمد ، فى أحمد عبد الرحمن البنا : الفتح

الربانى . مرجع سابق . ج ١٨ . ص ٢٣٦ .

التبذير والإسراف إن كان ميسور الحال . فلا يليق بالمرأة المسلمة أن يكون  
جل اهتمامها منصباً على هذه الدنيا .

إضافة إلى ذلك فإن قناعة الزوجة بالقليل من المال وحسن تدبيرها له،  
له أثر كبير على استمرار الحياة الزوجية واستقرارها . إذ يشعر الزوج بحرص  
زوجته ، وتقديرها لجهوده ، في حين أنه إذا رآها تبذر جهده وعرقه ، يشعر بأنها  
أنانية تأخذ ولا تعطى ، ولا يهتمها ماسيؤول إليه أمره ، لذلك كان تبذير المرأة  
أحد عوامل تفكك الأسرة .

فاقتصاد المنزل يعتمد بالدرجة الأولى على حكمة وتدبير الزوجة ، فسيإذا  
كانت الزوجة اقتصادية حصل التوفير واكتفت الأسرة بمالديها من موارد وإذا لم  
تكن الزوجة كذلك حصل العكس . فسلوك المرأة الاقتصادية والمالي داخل الأسرة  
على قدر كبير من الأهمية ، لأن آثاره لاتقتصر على الأسرة ، وإنما تمتد لتشمل  
المجتمع ، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والديني ، فمن الناحية  
الاقتصادية تعتبر الزيادة في الإنفاق من أهم أسباب التضخم المالي المؤثر  
على إقتصاد المجتمع أما من الناحية الاجتماعية والدينية فإن إسراف الزوجة  
وإلحاحها في مطالبة زوجها بمالاتسمح بإمكاناته بتوفيره لها ، قد يدفع الزوج  
إلى الاختلاس أو السرقة أو الغش أو قبول الرشوة إلى غير ذلك من وسائل  
الكسب غير المشروعة .<sup>(١)</sup>

وهذا ما كان يدركه نساء السلف ، لذلك كن يسعين دائماً إلى أن يكن عوناً  
لأزواجهن على الكسب الحلال ، ومن ذلك ما ذكره الإمام الغزالي حيث قال :  
" كان الرجل إذا خرج من منزله ، تقول له امرأته أو ابنته : إياك وكسب  
الحرام ، فإننا نصبر على الجوع والفر ، ولا نصبر على النار " (٢)

(١) مروان ابراهيم القيسي : دراسات في الأسرة في الإسلام . د . ن . ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .  
ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) الغزالي ، أبو حامد : إحياء علوم الدين . مرجع سابق . ج ٢ . كتاب آداب النكاح .

لذا فإن من واجب كل من ولى أمر تربية الفتاة المسلمة وخاصة المدرسة لأنها المؤسسة التربوية المنتظمة التي تمكث فيها الفتاة فترة طويلة، فمن واجبها تربية الفتاة على الزهد والقناعة، وإعدادها لتكون زوجة صالحه، وتعليمها أساليب التوفير، وطرق تدبير شؤون المنزل بأقل نفقة ممكنة وتدريبها عملياً على ذلك من خلال مشاركتها في إعداد جداول ومشاريع تمكن من تحقيق ذلك. إضافة إلى ذلك فإنه يجب العمل على إقناع الفتاة المسلمة بضرورة البعد عن التكلفة في اللبس والزينة، لأن انصرافها إلى ذلك هو أحد الطرق التي تخطط الصهيونية لإفسادها عن طريقة<sup>(١)</sup>، والمعلمة خير قدوة لتلميذاتها في ذلك، فإذا ساهمت في الأنشطة الخيرية ولم تبالغ في زينتها، وجمع لباسها بين الحشمة والأناقة في المظهر والبساطة في الثمن، فإن سلوكها هذا لهو من أكبر الوسائل التربوية الفعالة في تدريب تلميذاتها على عدم المفاخرة والمبالغة في الملابس وأدوات الزينة، وبذل الزائد من الأموال في أوجه الإحسان.

=~==~==~==~==

---

(١) محمد علي نمر: إعداد المرأة المسلمة. مرجع سابق. ص ١٢٤.

"النتائج والتوصيات"

---



" " النتائج " "

---

توصلت من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج والتي من أهمها ما يلي :

- (١) لكي يتم الاستفادة من القرآن الكريم في تربية مجتمعنا المعاصر تربية إسلامية صحيحة لا بد من التفكير والتدبر في كل آية من آياته والاستعانة في ذلك بكتب التفسير . فكل آية من آيات القرآن الكريم هي كنز ذاخر يستخرج منه المرء ما ينشده من فوائد بقدر ما يبذله من جهد في التنقيب عنها .
- (٢) استغلت التربية القرآنية الأحداث الواقعة في المجتمع استغلالاً عظيماً كان من أجل شماره إخراج خير أمة أخرجت للناس .
- (٣) تضمنت الآيات النازلة لمعالجة الأحداث الواقعة في المجتمع العديد من الوسائل التربوية مثل الترغيب والترهيب .. العقوبة .. العقول ... إلى غير ذلك من الوسائل التربوية الأخرى . وبالتالي تميزت هذه الوسيلة القرآنية في التربية عن غيرها من الوسائل بأنها إضافة إلى شمولها لوسائل تربوية متعددة وعدم اقتصرها على وسيلة تربوية واحدة فقد استغلت ما يحدث في النفس من انفعال في ظل الحادثة لغرس التوجيه المناسب فيكون تأثر النفس بذلك التوجيه عميقاً والأمل في التزام النفس به كبيراً .
- (٤) اهتمت التربية القرآنية بالأحداث بالجانب الإيماني وجعلته أولى خطوات مسيرتها في تربية الناس ، تلك التربية التي أسفرت عن آثار عظيمة في النفس والمجتمع شهد لها التاريخ وسطرها بأحرف من نور .
- (٥) وضحت التربية القرآنية بالأحداث قدرة الأخلاق الإسلامية على توجيه جميع المومسات الموجودة في المجتمع وتحقيق النجاح والانضباط والاستقرار المنشود لها وهي بالتالي تفوق الأخلاق الوضعية التي تحقق مصلحة فئة معينة من الناس على حساب الآخرين لأنها من وضع بشر فلا يمكن أن ترقى لما في

الأخلاق الإسلامية والريانية من كمال .

(٦) المرأة هي نصف الأمة وهي المسؤولة عن تربية وإعداد النصف الآخر وبالتالي فهي أمة بأسرها . لذلك استغلت التربية القرآنية الأحسن في الواقعة في المجتمع للعمل على تكريمها والرفع من مكانتها وتربيتها تربية تمكنها من بناء مجتمع إسلامي قوي وتحصنها من دعاوى أعداء الإسلام الموجهة إليها .

=

## " التوصيات "

تضمن هذا البحث العديد من التوصيات التي كانت توضح كيف يمكن الاستفادة في الوقت الحاضر من المبادئ والتوجيهات التربوية المستنبطة من الآيات النازلة في كل نموذج على حده وفيما يلي عرض موجز جداً لأهمها:

- (١) على المُربِّين عامة الاهتمام بالتربية الإيمانية وجعلها المنطلق والأساس في تربيتهم للمُربِّين وذلك لأنها الركيزة الأولى والأساسية في التربية . فمتى تم تربية المُربِّين تربية إيمانية صحيحة سهل بعد ذلك توجيههم وتقبلهم والتزامهم بأي سلوك أو عمل إسلامي يطلب منهم .
- (٢) على المعلمين والدعاة وخطباء المساجد والمُربِّين عامة استغلال الأحداث العامة الواقعة في المجتمع، و الأحداث الخاصة الواقعة في الأسرة، أو المدرسة، أو أي مؤسسة تربوية أخرى لتثبيت المبادئ الخلقية الإسلامية، وتقديم التوجيهات اللازمة من خلالها .
- (٣) في ضوء ماورد في هذا البحث من نماذج من التربية القرآنية بالأحداث عن المرأة ، وبما أن تركيب المرأة الجسمي وواجبها الاجتماعي يختلف عن الرجل فإنه من الضروري إعداد مناهج تعليمية خاصة بالمرأة تعدها إعداداً جيداً يوجهها للقيام بالواجب المنوط بها بنجاح .
- (٤) تجنيد جميع الوسائل في مختلف المؤسسات الموجودة في المجتمع لإيضاح كمال المنهج الرباني وثباته وشموله وما يحققه تطبيقه في الوقت الحاضر من صلاح الأفراد والمجتمعات حتى تفضح أمامه كل المناهج الوضعية البراقة فلا ينخدع الناس ببريقها ولا ينقادون وراءها .
- (٥) على المُربِّين عامة والدعاة خاصة من خلال الأحداث الواقعة مخاطبة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والاستناد إلى الحجج العقلية والنقلية بما يلائم المستوى العقلي للمستمعين لما لذلك من أثر عظيم في إقناعهم .

## المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير :

١- ابن كثير ، إسماعيل :

تفسير القرآن العظيم : بيروت : دار المعرفة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادى :

تفسير أبي السعود . بيروت : دار احياء التراث العربى . د . ت .

٣- الألويس البخداوى ، شهاب الدين محمود :

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم . بيروت :

دار الفكر . ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٤- الجمل ، سليمان بن عمر العجيلى :

الفتوحات الإلهية " بتوضيح تفسير الجلالين

للدقائق الخفية " . مصر : مطبعة عيسى البابى

الحلبى وشركاة . د . ت .

٥- الخازن ، علاء الدين على بن محمد :

لباب التأويل فى معانى التنزيل . مصر :

المطبعة البهية . د . ت .

٦- السعدى ، عبد الرحمن بن ناصر :

تيسير الرحمن فى تفسير كلام المنان ، تحقيق

محمود زهرى النجار . الرياض : الرئاسة

العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد . ١٤٠٤ هـ .

٧- السيوطى ، جلال الدين :

الدر المنثور فى التفسير بالمأثور . بيروت :

دار الفكر . ١٤٠٣ هـ .

٨ - الطبري ، محمد بن جرير :

تفسير الطبري . بيروت : دار الفكر . ١٣٩٨ هـ .

١٩٧٨ م .

٩ - الفخر الرازي ، محمد بن عمر :

التفسير الكبير . بيروت : دار إحياء التراث

العربي . ط ٣ . د . ت .

١٠ - القرطبي ، محمد بن أحمد الانصاري :

الجامع لأحكام القرآن . مصر : مطبعة دارالكتب

المصرية . د . ت .

١١ - سيد قطب :

في ظلال القرآن . جده : دار العلم للطباعة

والنشر . ط ١٢ . ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٢ - محمد الأمين الشنقيطي :

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .

الرياض : الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء

والدعوة والإرشاد ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١٣ - محمد علي الصابوني :

روائع البيان تفسير آيات الأحكام . دمشق :

مكتبة الغزالي . ط ٢ . ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

ثالثاً : كتب الحديث

١ - ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي :

فتح الباري بشرح البخاري . مصر : شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده : ١٣٧٨ هـ .

١٩٥٩ م .

- ٢- ابن ماجة ، عبد الله بن محمد القزوينى :
- سنن ابن ماجة . تحقيق وتعليق محمد فـواـد  
عبد الباقي : القاهرة : دار الحديث . د . ت .
- ٣- أبو سليمان الخطابي ، حمد بن محمد :
- معالم السنن . فى الحافظ المنذرى : مختصر  
سنن أبى داود . تحقيق محمد حامد الفقى  
لاهور : مطبعة السنة المحمديه . ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م .
- ٤- أحمد بن حنبل الشيبانى :
- مسند الإمام أحمد . فى أحمد عبد الرحمن البنا :  
الفتح الربانى . ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل  
الشيبانى . القاهرة : دار الشهاب . د . ت .
- ٥- أحمد عبد الرحمن البنا :
- بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى . فى  
أحمد عبد الرحمن البنا . الفتح الربانى  
ترتيب مسند الإمام أحمد الشيبانى . القاهرة :  
دار الشهاب . د . ت .
- ٦- البخارى ، محمد بن إسماعيل :
- صحيح البخارى . بيروت : دار إحياء التراث  
العربى . د . ت .
- ٧- الترمذى ، محمد بن عيسى بن سوره :
- الجامع وهو سنن الترمذى تحقيق وتعليق  
إبراهيم عطوه عوض . بيروت : دار إحياء التراث  
العربى . د . ت .
- ٨- الحافظ المنذرى ، عبد العظيم بن عبد القوى :
- مختصر سنن أبى داود . تحقيق محمد حامد الفقى .  
لاهور : مطبعة السنة المحمديه . ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م .

- ٩- الدارقطني ، على بن عمر :  
سنن الدارقطني • بيروت : عالم الكتب •  
ط ٠٤ ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م •
- ١٠- الدارمي ، عبدالله بن عبد الرحمن :  
سنن الدارمي • تحقيق عبدالله هشام • باكستان :  
حديث أكاديمي ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
- ١١- النسائي ، أحمد بن شعيب :  
سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي • بيروت :  
دار الفكر ١٣٨٤ هـ - ١٩٣٠ م •
- ١٢- مالك بن أنس بن مالك :  
موطأ الإمام مالك • رواية يحيى بن يحيى الليثي  
إعداد أحمد راتب عرموش • بيروت : دارالنفائس  
ط ٠٧ - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م •
- ١٣- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج :  
صحيح مسلم بشرح النووي • مصر : المطبعة  
المصرية ومكاتبها • د • ت •
- رابعاً : المعاجم :
- ١- ابن سيده ، على بن إسماعيل :  
المخصص ، مصر : المطبعة الكبرى الأميرية • ١٣١٩ هـ
- ٢- ابن منظور ، محمد بن مكرم :  
لسان العرب • بيروت : دار صادر • د • ت •
- ٣- الرازي ، محمد بن أبي بكر :  
مختار الصحاح • مصر : المطبعة الأميرية • ط ٣ •  
١٣٢٩ هـ •



٤- الزبيدي ، محمد مرتضى الحسينى :

تاج العروس . مصر : المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ

٥- الزنجانى ، محمود بن أحمد :

تهذيب الصحاح . تحقيق عبد السلام محمد هارون

وأحمد عبد الغفار . مصر : دار المعارف . د . ت .

خامساً : المصادر .

١- ابن الجوزى ، الحافظ جمال الدين عبد الرحمن :

سيرة عمر بن عبد العزيز . مصر : د . ن . ت .

٢- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم :

النبوات . مصر : إدارة الطباعة المنيرية .

١٣٤٦ م .

٣- " " " " " " :

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . يقدم له

وأشرف على طبعه على المدنى . مصر : مطبعة

المدنى . د . ت .

٤- " " " " " " :

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . جمع

وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . المملكة

العربية : السعودية : الرئاسة العامة لشؤون

الحرمين الشريفين . د . ت .

٥- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الجليل ومحمد بن عبد الوهاب :

مجموعة التوحيد . تصحيح عبد الله بن إبراهيم

الأنصارى . د . ن . ت .





٢٢- سليمان : بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب :

تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد .  
الرياض : مكتبة الرياض الحديثة . د . ت .

سادساً : المراجع

١- أبو بكر جاير الجزائرى :

منهاج المسلم . بيروت : دار الفكر . ط ٠٨ . ١٣٩٦ هـ .  
٠ م ١٩٧٦ .

٢- أبو الحسن الندوى :

نحو التربية الإسلامية الحرة " فى الحكومات  
والبلاد الإسلامية " بيروت : مؤسسة الرسالة  
ط ٤ . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٣- أحمد الهاشمى :

جواهر الأدب فى انشاء وأدبيات لغة العرب  
مصر : مطبعة السعادة . د . ت .

٤- أحمد بن عبدالعزيز الحصين :

المرأة المسلمة أمام التحديات القصيم : دار  
البخارى . ط ٠٥ . ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م

٥- أحمد عيد الرحمن إبراهيم :

الفضائل الخلقية فى الإسلام . الرياض : دار العلوم .  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٦- أحمد محمد جميل :

محاضرات فى الثقافة الإسلامية . د . ت . ط ٤ .  
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٧- أحمد موسى البكري ، عكاشة أحمد الجعلى :

أسس الجغرافيا الطبيعية للصف الأول المتوسط .

المملكة العربية السعودية : الرئاسة العامة .

لتعليم البنات . ط ١٠ - ١٤٠٧ هـ .

٨- أسعد سليمان عبده وآخرون :

الجغرافيا العامة للصف الثانى الثانوى

الأدبى . المملكة العربية السعودية : الرئاسة

العامة لتعليم البنات . ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٩- البهى الخولى :

المرأة بين البيت والمجتمع . القاهرة : مكتبة

دارالعروبه ، ط ٣ . ١٣٨٤ هـ . ١٩٦٥ م .

١٠- أنور الجندى :

قضايا العصر "ومشكلات الفكرتحت ضوء الإسلام . بيروت :

مؤسسة الرسالة . ط ٢ . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١١- بشير حاج التوم :

تأصيل تربية المعلم . مكة : د . د . ت . ١٤٠١ هـ -

١٩٨١ م .

١٢- توفيق على وهبه :

دور المرأة فى المجتمع الإسلامى . الرياض : دار

اللوأء . ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .

١٣- جابر عبدالحميد ، أحمد خيرى كاظم :

مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، القاهرة :

دار النهضة العربية . ١٩٧٨ م .

١٤- حسن باجوده :

تأملات فى سورة الأحزاب . مكة : نبادى مكة  
الثقافى . ١٤٠٣ هـ .

١٥- زهير محمد شريف كحاله :

القرآن الكريم رؤية تربوية . عمان : دار الفكر .  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

١٦- سيد قطب :

العدالة الاجتماعية فى الإسلام . مصر : مطبعة  
عيسى النبابى الحلبى وشركاه . ط ٦ . ١٣٨٣ هـ  
١٩٦٤ م .

١٧- ص . قيس وآخرون :

العلوم للمف الأول المتوسط : المملكة العربية  
السعودية : الرئاسة العامة لتعليم البنات .  
ط ٢ . ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

١٨- صالح عبدالعزيز :

التربية وطرق التدريس . مصر : دار المعارف .  
١٩٦٥ م .

١٩- عبدالرحمن حسن حنيكه الميدانى :

العقيدة الإسلامية وأسسها . دمشق : دار القلم .  
ط ٣ . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

٢٠- عبدالرحمن الصابونى :

نظام الأسرة وحل مشكلاتها فى ضوء الإسلام .  
دمشق : دار الفكر . ط ٤ . ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

٢١- عبد الرحمن نحلاوي :

أصول التربية الإسلامية وأساليبها " في البيت والمدرسة

والمجتمع " . دمشق : دار الفكر . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٢٢- " " " " " "

التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، الرياض

مكتبة أسامة . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م .

٢٣- عبد الرحمن صالح عبد الله ، حلمى محمد فوده :

المرشد فى كتابة البحوث التربوية . مكة :

مكتبة المنارة . ط ٥ . ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

٢٤- عبد العزيز السلطان :

الكواشف الجليلة عن معانى الواسطية . المملكة

العربية السعودية : دار البحوث العلمية

والإفتاء والدعوة والإرشاد . ط ١٢ . ١٤٠٢ هـ -

١٩٨٢ م .

٢٥- " " " "

الاسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطة .

د . ك . ط ١٢ . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٢٦- عبد اللطيف فؤاد إبراهيم :

المناهج " أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها "

القاهرة : مكتبة مصر . ط ٤ . د . ت .

٢٧- عبد المتعال محمد الجبرى :

المرأة فى التصور الإسلامى . القاهرة : مكتبة

وهبة . ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٢٨- على عبد المنعم عبد الحميد :

الإيمان كما يصوره الكتاب والسنة . الكويت :

دار البحوث العلمية . ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢٩- على عبدالواحد وافي :

حقوق الإنسان في الإسلام . القاهرة : دار نهضة

مصر . ط ٥ . ١٣٩٨ هـ ١٩٧٩ م .

٣٠- على معبد فرغلي :

محاضرات في الأخلاق الإسلامية والإنسانية "

راجعه عبد العزيز عبدالله عبيد ، القاهرة :

مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٣١- كامل الدقس :

منهج سورة النور في إصلاح النفس والمجتمع

جده : دار الشروق . ط ٢ . ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٣٢- كمال أحمد عون :

المرأة في الإسلام "مكانتها وجهادها وحقوقها

وواجباتها وطريق نهضتها ونهضة الأمة بنهوضها"

الرياض : دار العلوم . ط ٢ . ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

٣٣- مجموعة من الخبراء :

العلوم للصف الرابع الابتدائي : المملكة

العربية السعودية : الرئاسة العامة للتعليم

البيئات . ط ٣ . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٣٤- " " " " " "

العلوم للصف الثاني المتوسط . المملكة العربية

السعودية : الرئاسة العامة لتعليم البنات

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .



٣٥- مجموعة من الخبرات :

العلوم للصف الثالث المتوسط . المملكة العربية

السعودية : الرئاسة العامة لتعليم البنات

ط ٠٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٣٦- محمد أحمد إسماعيل المقدم :

عودة الحجاب " المرأة بين تكريم الإسلام

وإهانة الجاهلية " . الرياض : دار طيبة . د . ت .

٣٧- محمد الصباغ :

لمحات في علوم القرآن : المكتب الإسلامي .

د . ت .

٣٨- محمد الغزالي :

نظرات في القرآن . القاهرة : دار الكتب

الحديثة . ط ٠٢ ١٣٨٣ هـ .

٣٩- " " " :

خلق المسلم . دمشق : دار القلم . ط ٠٦ ١٤٠٦ هـ

١٩٨٦ م .

٤٠- محمد بن عبد الله عرفه :

حقوق المرأة في الإسلام . بيروت : المكتبة

الإسلامي . ط ٠٣ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٤١- محمد رشيد رضا :

حقوق النساء في الإسلام " بنداء للنفس اللطيف "

د . ت .

٤٢- محمد سعيد رمضان البوطي :

من روائع القرآن . بيروت : مكتبة الفارابي

ط ٠٥ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٤٣- محمد شديد :

منهج القرآن في التربية : بيروت : مؤسسة الرسالة .  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٤٤- محمد عبيد العظيم الزرقاني :

مناهل العرفان في علوم القرآن : مصر : دار إحياء الكتب العربية . ط ٣ . د . ت .

٤٥- محمد عقلة :

نظام الأسرة في الإسلام . عمان : مكتبة الرسالة للحديث . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٤٦- محمد علي الصابوني :

التبيان في علوم القرآن . دن . ط ٣ . ١٤٠٠ هـ

٤٧- محمد علي نمر :

إعداد المرأة المسلمة . جدة : دار السعودية للنشر والتوزيع . ط ٢ . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م

٤٨- محمد قطب :

شبهات حول الإسلام . القاهرة : دار الشروق ط ١١ . ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٤٩- " " :

منهج التربية الإسلامية . بيروت : دار الشروق . ط ٧ . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

٥٠- " " :

واقعنا المعاصر . جدة : مؤسسة المدينة . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ٥١ - محمد محمد أبوشهبة :  
المدخل لدراسة القرآن : ط ٠ ٢ ٠ ٠ د ٠ ن ٠ ت
- ٥٢ - محمد محمد حسن :  
المجتمع المختلط في حسن البناء : المرأة المسلمة . د ٠ ن ٠ ت ٠ ر
- ٥٣ - محمد منير مرسى :  
التعليم العام في البلاد العربية : القاهرة :  
عالم الكتب . د ٠ ت ٠ ٠
- ٥٤ - محمد ناصر :  
الفكر التربوي العربي الإسلامي : الكويت  
وكالة المطبوعات ١٩٧٧ م
- ٥٥ - محمد يوسف عبد :  
قضايا المرأة في سورة النساء . بحث ماجستير  
بكلية الدعوة واصل الدين . الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة . ١٤٠١ هـ . نشر في الكويت :  
دار الدعوة . ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٥٦ - محمود الشريف :  
الإسلام والأسرة . د ٠ ن ٠ ت ٠
- ٥٧ - محمود شلتوت :  
الإسلام " عقيدة وشرعية " القاهرة : دار الشروق .  
ط ٠ ١٣ ٠ ١٤٠٤ هـ ١٩٨٥ م .
- ٥٨ - مروان إبراهيم القيسي :  
دراسات في الأسرة في الإسلام : د ٠ ن ٠ ١٤٠٥ هـ -  
١٩٨٥ م .

٥٩- مصطفى السباعي :

المرأة بين الفقه والقانون . بيروت : المكتب  
الإسلامي . ط ٥ . د . ت . .

٦٠- مقدا ديالجن :

التربية الأخلاقية الإسلامية . بحث دكتوراه بكلية  
دار العلوم - جامعة القاهرة . نشر في مصر :  
مكتبة الخانجي . ١٣٩٧ هـ . ١٩٧٧ م

٦١- مناع القطاني :

مباحث في علوم القرآن . القاهرة : مكتبة وهبة .  
ط ٥ . ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م

٦٢- منير محمد الغضبان :

إليك إيتها الفتاة المسلمة . الأردن : مكتبة  
المنار ط ٢ . ١٤٠٢ هـ . ١٩٨٢ م